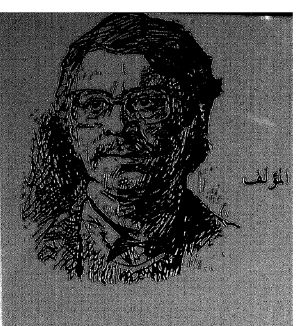
جليل العطية

فندق السعادة

حكايات من عراق صدام حسين

دار الحكمة

المؤلف



- من مواليد الكوت - (واسط) - ١٩٤٠

- انتمى إلى حزب البعث (١٩٥٦) وخرج منه أواخر (١٩٦٨) بعد اعتقاله في (قصر النهاية) بأمر من صدام وقد أطلق على هذا السجن الرهيب اسم (فندق السعادة).

- عمل في عدد من المؤسسات الرسمية والحزبية وشغل عدة وظائف بينها: المستشار الاعلامي للسفارة العراقية في الكويت (٧٢ - ١٩٧٧).

- أتم تحصيله الدراسي في جامعة بغداد/كلية الآداب (١٩٧٢)، ونال الدبلوم المعمق (الماجستير) من مدرسة الدراسات العليا في باريس (١٩٨٠)، ودكتوراه الدولة من السوربون حول رسالته حول (تطور العراق السياسي والاجتماعي ١٩ - ١٩٣٩).

- استقر في فرنسا منذ شباط ١٩٧٨ ولحد اليوم.

- باحث غير متفرغ في منظمة اليونسكو، معهد تاريخ النصوص/باريس.

- عضو في: اتحاد المؤرخين العرب، الاتحاد العالمي للمكتبيين، الجمعية الفرنسية للدراسات العربية... الخ..

- له ١٥ كتاباً معظمها نصوص تراثية محققة نشرت في بغداد، بيروت، الدوحة، الكويت، لندن.

الناشر

فندق السعادة

حكايات من عراق صدام حسين

1 898209 359

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

DAR AL -HIKMA

Publishing and Distribution



88 chalton street London NW1 IHJ. Tel: 071 - 3834037 / Fax: 071 - 3830116

جليل العطية

فندق السعادة

حكايات من عراق صدام حسين



دار الحكمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عن الكاتب والكتاب

بقلم: صلاح عمر العلي

يجتاز المثقفون العرب اليوم أزمة تتحدّى وجودهم وتهدّد علاقاتهم سواء مع النظم السياسية الحاكمة أو مع الجماهير .

والواقع أننا نحتاج في هذه المرحلة الدقيقة الى : شجاعة في التصدي لقضايانا المصيرية والى النظرة الواضحة والموقف الموضوعي.

والشجاعة لاتصدر إلاّ عن رجال شجعان .

رجال يتمتعون بمستوى جيّد من النزاهة والجرأة والوعي والمسؤولية. إنّ دور المثقف يزداد أهمية بمقدار تمتعه بهذه الصفات .

و د.جليل العطية – مؤلف هذا الكتاب – واحد من مثقفينا الذين تصدّوا للدكتاتورية والتسلط بشجاعة وتجرد .

عرفته منذ اكثر من ثلاثين عاماً ، صديقاً ورفيق نضال وطني يقارع كل أشكال القهر والقمع...

آمن بالمبادىء التي احتضنها حشد من أبناء جيلنا، لانها كانت تجسّد آمالهم وأحلامهم وتطلعاتهم ...

ولو تحققت تلك المبادىء – لكنّا قطعنا شوطاً طيّباً في مضمار التقدم الحضاري والانساني .

لقد تعمقت معرفتي بـ(العطية) وترسّخت حتى انني تردّدت في كتابة هذه السطور ، خوفاً من تأثيرات هذه الصلة الحميمة !

على أنني لااحتكر حق معرفة (أبي محمد) فهو شخص معروف على نطاق واسع في العراق والوطن العربي ...

فلقد مارس العمل الصحفي في وقت مبكر ، واشتهر عموده اليومي الذي كان يكتبه تحت توقيع (جهين) واضافة الى الصحافة . . .

نشر العديد من الدراسات والبحوث في المجلات العربية المتخصصة وحقق واصدر العديد من الكتب التراثية التي تحوّلت الى مصادر لاتستغني عنها المكتبة العربية .

(فندق السعادة : حكايات من « عراق صدام حسين ») كتاب يشتمل على مختارات ممّا كتبه في السنوات الاخيرة ، وخاصة مابين (٩٠ - ١٩٩٣) وسبق لمجموعة من هذه المقالات أن نشرت في عدد من صحف المعارضة وغيرها بينما تنشر بعضها أول مرة .

أخر هذه الصحف جريدة (الوفاق) لسان (تجمع الوفاق الوطني الديمقراطي العراقي) والتي لايزال يواصل الكتابة فيها بانتظام ، اسبوعياً .

هذه المقالات كان محورها (قصر النهاية) سيىء الصيت او (فندق السعادة) كما يسمّيه ، فكتب سير عدد من الشهداء والضحايا من الشخصيات العراقية والعربية لمعارضتهم صدام حسين ونظامه الاسود إضافة إلى مقالات أخرى تعرّي أسرة (المافيا) الحاكمة وتعالج مايتعرض له الشعب العراقي من اضطهاد وقهر باسلوب واقعي قريب من تصوير « الكاميرا » . . . كتبها المؤلف باسلوبه الأدبي الساخر الموّثق ، المتميز وفيه تتجلى براعة الكاتب وحرص المؤرخ الاجتماعي على تسجيل حقبة دقيقة من تاريخ العراق المعاصر .

لجليل اسلوب شفاف يشدّ القارىء ، يضحكه تارة ، ويبكيه اخرى ويكتشف القارىء بين سطور مقالاته رائحة الوطن : وعشق دجلة والفرات . . . ولا ابالغ إذا قلت إنه أسلوب نادر متميّز في الصحافة العربية .

(فندق السعادة) كناية رمزية ساخرة لـ :

(قصر النهاية) . . .

نسبة إلى السجن الرهيب الذي أشرف على إعداده (صدام حسين) ، شخصياً منذ سنة ١٩٦٨ . . .

اختار (صدام) الاشخاص الذين يديرونه كما اختار لجان التحقيق والتعذيب وفق (مواصفات) حدّدها بنفسه واغلبهم ممن يعرفهم - هو - شخصياً .

وقد استقبل هذا السجن المرعب طيلة ربع القرن الماضي عدداً هائلاً من الشخصيات العراقية مدنيين وعسكريين ، تعرضوا إلى التعذيب والاضطهاد ، وصفّي الكثيرون منهم في (أحواض التيزاب) وغيرها.. فذهبوا الى ملاقاة وجوه ربهم يشكون ظلم صدام حسين وعصابته .

ولعل من المناسب أن اذكر حادثاً كنت أحد شهوده :

ففي أحد أيام ربيع سنة ١٩٧٠ تلقيت معلومات تفيد بأنَّ الدكتور شامل السامرائي - وهو شخصية معروفة سبق له أن شغل منصب وزير الداخلية - معتقل وقد تعرض الى تعذيب شديد في (قصر النهاية) ...

طرحت الموضوع في أحد اجتماعات (مجلس قيادة الثورة) الذي كنت أحد أعضائه يومذاك .واعترف (صدام حسين) بانَّ (السامرائي) معتقل لكنه نفى أن يكون قد تعرض الى التعذيب !!

ودار نقاش في (الجلسة) حول ضرورة اطلاق سراحه والتأكد من سلامته من التعذيب واخيراً تم الاتفاق على :

اطلاق سراحه في اليوم التالي ، على أن يتوجه الى (القصر الجمهوري) عدد من (اعضاء المجلس) لفحصه !

وتم اختياري - انا صاحب الشكوى - مع عضو آخر هو طه ياسين الجزراوي .

ذهبنا في الوقت المحدّد ، وإذا بي أجد (الدكتور شامل) في حالة اعياء شديد ، فأصرّرت على كشف ملابسه ،وإذا بي أجد آثار التعذيب على معظم أنحاء جسده ! كان ظهره شبه مكسور ورفض الكلام خوفاً من إعادته الى (قصر النهاية)! وعندما حضرنا اجتماع (المجلس) لتقديم شهادتنا زعم (الجزراوي) أنه وجد (الدكتور شامل) سالماً ، معافى خلافاً لشهادتي التي أغضبت - صداماً - وجماعته .

إثارة هذا الموضوع وغيره من الممارسات والخروقات والتستر على الاجرام من قبل صدام والبكر كان من الاسباب المباشرة التي ادّت الى

(اعفائي) من مناصبي الرسمية والحزبية ،كما هو مشهور .والغريب ان (قصر النهاية) لم يوفّر حتى منتسبي (حزب البعث) الحاكم نفسه ! ، وكان جليل العطية أول من (دشّنه) من (البعثيين السابقين) وسيجد القارىء لمحات ممّا شهد بنفسه وسمع عما جرى ويجري في دهاليزه ودروبه .

(فندق السعادة) أو (قصر النهاية) ليس سجناً عادياً ... بل انه :

- مدرسة للاجرام ... أو جامعة للرعب...

مدرسة (سادية) غريبة في الفكر السياسي وقد تطورت خلال السنوات الماضية حتى اضحت تجسد (ستراتيجية) صدام حسين في تعامله مع الشعب العراقي فحول عراقنا الذي يئن تحت حكمه التسلطي الى :

(قصر نهاية) او :

(فندق سعادة) بتعبير جليل العطية !

إنني أدعوكم الى تمضية (ليلة) مع (الفندق) قبل أن يهدّمه شعبنا على رأس (مؤسسه) !

مقدِّمة المؤلف :
فندق السعادة وأنا

(١)

كانت ليلة الاربعاء / الخميس الموافقة للاول / الثاني من شهر آب ١٩٩٠ من اسوأ الليالي ، واشدّها وطأة ...كانت - ليلة بيضاء - بالنسبة لي .حاولت أن انام في نحو منتصفها - كما اعتدت كل ليلة - فلم اوفق ... ورحت اتذكر ما اوردته (قنوات التلفزة) المختلفة - ومحطات الاذاعة ، كانت كلها تؤكد وجود حشود كثيفة تتجه نحو الحدود العراقية الكويتية ...وبينما أنا كذلك - أيقظني هاتف صديق عزيزمن (فيينا) فجراً وإذا به يذهلني بـ :بدء عملية غزو (الكويت) من قبل نظام صدام حسين !فتحت التلفزيون وأنا في قمة الغضب ...قالت لي صغرى بناتي :لماذا تغضب ياأبي،؟

كانت محطة C.N.N تنقل لقطات عن تقدم (الدبابات) داخل الكويت كانت ابنتي تعتقد - لِصغر سنّها - أنه : (نصر) ! ولهذا ينبغي أن أفرح! تحلّق أفراد أسرتي حولي ذاهلين فقلت لهم :

-هذه بداية الدمار للكويت والعراق ... ولا يعلم إلاّ اللّه ماذا سيجري بعد ذلك ...وها هي ثلاثة اعوام قد مرت مثقلة بالمآسي والكوابيس والاحزان ... !

وما خفي سيكون أدهى وأمرّ وأعظم !

في تلك اللحظة قررت الانضمام الى (المعارضة العراقية) بشكل رسمي ، تلك القوى التي كنت احترمها واقدر شجاعتها في مقارعة الدكتاتورية .

قررت العودة الى المعترك السياسي الصدامي - بكسر الصاد - !

(٢)

في خريف سنة ١٩٥٦ انضممت الى (حزب البعث) ...

كنت واحداً من الخلية الاولى التي انشأها (الحزب) في الكوت، مدينتي ، ومسقط رأسي ...

جذبتني شعاراته (الجميلة) ، وأفكاره (المثالية) ...

كان المدّ الوطني والقومي في أوج غليانه ...

وكان عبد الناصر يلهب قلوب الشباب العرب في تحدّيه للغرب ، واستنهاضه أمة العرب .

هكذا رحت ابشرّ بافكار (البعث) حتى سقوط النظام الملكي وبعد ذلك احتدمت الصراعات بين القوى السياسية ، فانتقلت أسرتي الى بغداد

(١٩٥٩) حفاظاً على حياتي ! - وهناك واصلت العمل السياسي والدراسي والوظيفي ... ورحت اتحسس بغداد وعوالمها المثيرة، الغامضة ، اكتشفت فيها آفاقاً رحبة ، لم تكن تتوفر في مدينتي الصغيرة ... في بغداد تعرفت الى صفوة رجال المجتمع وذقت طعم السجن ...

وفي الاول من تشرين الثاني ١٩٦٨ اوعز (صدام حسين) باعتقالي، وأرسل من جاء ليعصب عيوني بمنديل ويحشرني في سيارة (لاند روفر) عتيقة ...

وعندما شعرت باننا وصلنا مكاناً ما ، سمعت همسات وتساؤلات :

- هو ...

- لايمكن أن يكون !

وعندما رفع (أحدهم) المنديل عن عيوني اكتشفت أنه (ر) أحد أصدقائي في الطفولة والفتوة !

أنا اذاً في (قصر النهاية) هذا القصر الذي كان يدعى - قصر الرحاب -عاشت فيه الاسرة الملكية حتى الرابع عشر من تموز١٩٥٨ حيث شهد القصر نفسه نهايتها كما هو معروف ..

ولهذا دعي بـ (قصر النهاية) ...

وفي اليوم الثالث من اعتقالي سميته :

فندق السعادة ...

على طريقتي في التنكيت فهو من (الاضداد) ، كما أنه ، رمز يمكن أن نتحدث به بعد ذلك إن كتب اللّه لنا النجاة !

وقد اعجب عبد الرحمن البزاز - رحمه اللّه - شريكي في الغرفة يومذاك بهذه التسمية ، وسألته إن كان قد قرأ كتاب (السعادة والاسعاد) لمحمد بن يوسف العامري (من علماء القرن الرابع الهجري) ؟

فبهت لانه لم يكن يعرف أسلوبي في الهزل والجدّ والذي اعتدت عليه طوال حياتي .

اعود الى (قصر النهاية) فاقول إنني شاهدت خلال ثلاثين يوماً ، من الاهوال والرعب مايعجز عن وصفه القلم !

تعرفت خلال تلك الفترة الى صفوة المجتمع العراقي ... حاورت عبد الرحمن البزاز ، الذي كان قلّما يبتعد عن سجادة الصلاة ، وناقشت عبد العزيز العقيلي والذي كان لايقلّ عن (أبي عامر) في الورع وتأدية الصلوات ... وذاكرت آخرين ممّن لا أُريد تعداد أسمائهم الآن ...

وخرجت من (القصر) وفي ذهني حكايات مرعبة ... ودخلت بيتي الذي لايبعد سوى أمتار عن السجن الرهيب وأنا :-

- إنسان آخر!

حاولت مقابلة (الرئيس احمد حسن البكر) الذي تربطني به صلة قوية غير أنه اعتذر ...

وظللت اجرّب أن أصل اليه - فطلب مني - بواسطة صديق ثالث - أن اكتب له رسالة أشرح فيها ماجرى ..

عندها تأكد لي انه ضالع في الجرائم وفي احسن الفروض انه

(محاصر) من قبل صدام وزمرته !

في هذه الأثناء كنت قد التقيت بعدد من قادة (الحزب) وكوادره ممّن اثق بهم ..

كان بينهم عبد الخالق السامرائي ، محمد محجوب ، مرتضى سعيد الحديثي وغيرهم ...

قلت لهم إن (قصر النهاية) سيكون قبراً لكل شرفاء العراق ، وبضمنهم العناصر الشريفة من (حزب البعث) نفسه !

بعد ذلك استطاع عدد منهم (ابعادي) خارج العراق !

وفي حزيران ١٩٧٢ التحقت بوظيفتي كمستشار صحفي في السفارة العراقية في الكويت ...

وفي تموز ١٩٧٧ عدت الى بغداد نهائياً بعد انتهاء مهمتي .

ومرة اخرى التقيت (الرئيس البكر) ...

تمت المقابلة في دار احد الاصدقاء :

وفجأة سألني :

- لماذا عدت ؟

- انتهت المدة الرسمية ياسيدي .

عندها شتم طارق عزيز الذي كان مسؤولاً عن الاعلام .

ثم اعترف لي بما يشبه الهمس قائلاً :

- الامور فلتت ، ولم اعد املك إلاّ الاسم ! قال هذا بأسى متطلعاً الى صورة تتصدر الصالة التي كنّا نجلس فيها !

(كانت الصورة تضمّه و(السيد النائب) صدام) !

نصحني (البكر) بالعودة الى الخارج بأي ثمن ووعدني بالمساعدة .

وتمّ ذلك فعلاً ..

وبينما كنت اعدّ أوراقي ومستنداتي للالتحاق باحدى الجامعات الفرنسية كـ (طالب دكتوراه) ، فوجئت باحالتي الى محكمة (حزبية)!

كانت صلتي بالحزب قد انقطعت منذ ساعة إصدار صدام حسين قرارا باعتقالي في (قصر النهاية) .

شكلّت لجنة برئاسة (عبد الغني عبد الغفور) - عضو مايدعي بـ القيادة القطرية (ووكيل وزارة الشباب في حينه) للتحقيق معي !

كانت التهم مرتبكة – التلفيق – ولكنها بالنسبة للنظام كافية لتصفيتي مع التشهير !

احدى هذه التهم انني على صلة وثيقة بـ :

السيد مهدي الحكيم ...

كان المغفور له (السيّد) يقيم يومها في (دولة الامارات)... وتدخل (البكر) لوأد هذه التهم المتهافتة .

وفي بواكير سنة ١٩٧٨ قدمت الى فرنسا حيث انصرفت الى الدراسة والبحث والتنقير وتحقيق المخطوطات وفي الوقت نفسه اتابع

(قادسية البؤس) وارصد عذابات العراقيين واسجلها ضمن اوراقي ووثائقي .

عملت في الصحافة وفي بعض المؤسسات المرموقة كاليونسكو وغيرها وبقيت محافظاً على استقلالي السياسي والفكري ... وتعرضت الى مضايقات من قبل « سفارة النظام » رددتها ، واعانني على ذلك عدم انتمائي لحزب معارض وذات يوم اتصل بي (نوري المرسومي) و(حميد سعيد) وذكرا انهما يحملان لي دعوة لحضور (المربد) !

واوضحا لي ان ثمة تعليمات تقضي بأن المدعويين العراقيين يدخلون العراق ويخرجون منه آمنين ، سالمين مهما كانت تهمهم ... الخ .

لم اكتف بهذه (الوعود) بل اجريت اتصالات فهمت منها أن (صداماً) يتحاور سرّاً مع السيد جلال الطالباني وغيره ... ولهذا فهو محتاج الى ان (يبرهن) على أنه مستعد لل(التسامح) حتى مع معارضيه: وتراءى لي شبح أمي المريضة التي كانت تصرّ على رؤيتي بعد انقطاعي عنها سنوات عديدة ...

وقبل ذلك كنت قد حرمت من المشاركة بتشييع جثمان أبي – رحمه اللّه – وقراءة الفاتحة على قبره .

وبعد أن فكرت ملياً ، واتصلت بالمنظمات المعنية بحقوق الانسان في كل من فيينا والقاهرة وباريس لبيّت (الدعوة) .

وفي بغداد حللنا في فندق (الشيراتون) وتركته لـ (انزل) الى القاع ... الى عمق المجتمع العراقي ...

وخلال أيام كبرت في ذهني المأساة التي يعيشها الشعب العراقي في ظل صدام حسين مفجر الحروب والمغامرات !

وسيجد القارىء الكريم بعضاً ممّا اختزنته الذاكره خلال صفحات هذا الكتاب ، وادخر البعض الاخر للايام القادمات إن بقيت في العمر فسحة من الزمن باذن اللّه .

قلت إن السبب المباشر لعودتي الى العمل السياسي ، ومعارضة النظام الدكتاتوري جاءإثر غزو النظام للشقيقة الكويت وباشرت فور ذلك التعبير عن آرائي بما انشر في الصحف هنا وهناك وآخرها جريدة « الوفاق »

كتابي (فندق السعادة ... حكايات من « عراق صدام حسين ») يضم طائفة من المقالات التي كتبتها في السنوات الماضية وقد يخالفني القارىء الكريم في شيء ولعل الذاكرة او الوثائق خذلتني في بعض التفاصيل ، وربما يمتلك القراء معلومات ، قد تكون مفيدة لي مستقبلاً سأكون في غاية الامتنان إن وجه لي من يهمه الأمر تصحيحاً او توضيحاً او معلومات جديدة .

يمكن مراسلتي على العنوان المثبت في ختام هذه المقدّمة .

اخيراً لايسعني إلاّ أن اردّد الآية الكريمة :

﴿ ربَّنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾

واللّه الموفق .

العنوان:

Dr. AL-ATTIYA
P.O.BOX: 114 Greenford
Middlesex UB 68yp (UK)
England

مــدرســة القصــر

ثمة مدرستان تحكمان العراق اليوم . إحداهما منحت نفسها السلطات المطلقة : التشريعية والتنفيذية ، بعد أن جمدت الدستور والمؤسسات الدستورية هي : مدرسة صدام .

أما الاخرى فمدرسة (روحية) مهمتها مباركة المدرسة الاولى، وإضفاء صفة القداسة على ممارساتها دون مناقشة، وهي ذيل للاولى، ولا تملك أية سلطات .

الثانية اسمها : مدرسة عفلق

الغريب أن المدرستين تقعان في منطقة واحدة (الحارثية)، ولم يكن ذلك مصادفة ، فالاعتبارات الامنية ، تظل هاجس كل تحركات النظام .

مقر مدرسة صدام معروف عنوانه :

– قصر النهاية .

وكل العراقيين يعرفون (قصر الرحاب) الذي شهد نهاية الاسرة الهاشمية التي حكمت العراق بين سنتي ٢١ – ١٩٥٨ .

عندما عاد صدام من القاهرة في ربيع ١٩٦٣ ... استقبله عدد من أصدقائه ممن اتخذوا ذلك القصر مقراً للتعذيب وتصفية المعارضين .

هكذا انتقل الى القصر – ليد شن عودته برؤية انهار الدم ،

منذ ذلك الوقت وقع صدام في :

سحر القصور ... هو المحروم . الموزع الاقامة – حتى تموز ٦٨ – بين بيت الخال – طلفاح – وبيت العم – أوكار الحزب !

بين ٦٤ – ١٩٦٨ عاد قصر(الرحاب – النهاية) الى الدولة ...

استثمرته مصلحة السياحة بعض الوقت ...

شغلته مصلحة المعارض وقتاً آخر ...

بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ كان من مهمات صدام الستراتيجية استعادة القصر ، ولم يجد صعوبة في استصدار قرار رئاسي سري بذلك .

وهكذا راح يقضي نهاراته في (القصر الجمهوري) ...

... أما لياليه فراح يمضيها في (قصر النهاية) ...

وما (بين القصرين) يتبدد في (مطعم فاروق) وغيره من المواقع اللائقة بـ « السيد النائب ».

وفي خلال سنوات :

توسع قصر النهاية .

أضيفت اليه ردهات واقبية زحفت في كل الاتجاهات ، وأتت على مساحة مهمة من (معرض بغداد الدولي) من طرف ، و(قناة الخر) من جهة أخرى ...

وزود القصر بأدوات وأجهزة بإشراف عدد من خبراء - الغستابو والموساد .

وبنى مؤسس المدرسة قصوراً له تحت الارض ولاخرين من مساعديه ولم يكتف بذلك بل بنى جداراً اسمنتياً ظاهراً وصل الى مشارف المطار الدولي الجديد الذي يحمل اسمه .

كل هذه التوسعات و (المنجزات) نفذتها شركات عالمية متخصصة كانت حصة الالمان متميزة فيها .

ولاسباب مختبرية بحتة ، استقبل القصر الالوف من أبناء شعبنا من مختلف الاتجاهات والطبقات والفئات الاجتماعية ، والاعمار والعناصر

وذلك خلال العقدين الماضيين ولو نطقت جدران القصر وبلاطاته وحجره المعتمة لاستطعنا كتابة تاريخ جيد لهذه الحقبة الحساسة، الحزينة. فلقد قضي الكثيرون تحت التعذيب ، وذاب آخرون فضاعت شهادات كثيرة الى الابد !

أما الاحياء ممن كتب الله لهم مغادرة القصر ، فلعل الكثيرين منهم يؤثرون الصمت بانتظار غياب صاحب المدرسة .

قصر النهاية ، رمز يميزّ هذا العهد ...

فهو سجن واحد ، والعراق اليوم مشحون بالسجون والمعتقلات الجديدة والمجددة .

ولقد تخطّت السجون والمعتقلات الحدود القطرية الضيقة فشيّدت شبيهات لها في الحروب والمغامرات في كل من الجارين الشرقي والجنوبي :

إيران والكويت .

السؤال الذي يخطر في بال المخضرمين من العراقيين هو :

– كيف استطاع صدام بناء امبراطوريته من داخل قصر النهاية ؟

– لماذا لم يتنبه الآخرون لخطورة هذا القصر ، الذي كانوا ضحيته في وقت لاحق ؟

أترك التفاصيل لمناسبة أخرى ، فأصل الى النتيجة وهي أن :

– أحمد حسن البكر يتحمل المسؤولية الكبرى .

فبصفته مسؤولاً عن المكتب العسكري ... تخلى عن مسؤوليته الى ابن عشيرته المدني صدام .

وانشاء جهاز للمخابرات جزء من مهمة التنظيم العسكري ... هكذا سيطر صدام على القوات المسلحة التي تضم الجيش والشرطة والامن... الخ ..

ولايتم تأسيس جهاز مخابرات الابوجود ضحايا متهمين... وهم الشعب العراقي كله وبضمنهم عناصر الحزب الحاكم نفسه ...

كان الحزب الحاكم يمتلك معلومات تشكل خيطاً لشبكات تجسس حقيقية تعمل لحساب قوى معادية ... جعل القبض على عناصرها مناسبة ، بعد أن أعتقل العشرات من المعارضين لسياسته على قاعدة ضرب عدة عصافير بحجر واحد .

هكذا بدأت حمامات الدم ... ولم تنته الى اليوم .

كان عبد الخالق ابراهيم السامرائي – القائد البعثي الوحيد الذي وعى خطورة أن يتحكم صدام بمقدرات العراق والعراقيين متخذاً (قصر النهاية) أداة لتنفيذ مخططاته التصفوية ، فكتب مقالة في (الثورة) لسان الحزب الحاكم أوائل السبعينات رفض فيها : سجن الحزب في قصر النهاية .

فهم صدام انه المعني بها ، فأصدر حكمه بإعدام عبد الخالق ، وكل من يؤيده ، ولم يوفق في تنفيذ الحكم إلاّ بعد اعتلائه الكرسي الاول في

(تموز ١٩٧٩)

مدرسة صدام خاضعة لمزاج صاحبها ، فلقد مرّ بادارتها العشرات ثم غابوا أو غيبوا أو أحيلوا الى التقاعد في أحسن الاحوال – سعدون شاكر – مثلاً .

وهي تدار اليوم ، بإشراف صاحبها طبعاً ، من كل من :

١– سبعاوي إبراهيم – رئيس جهاز المخابرات [ثم صابر الدوري] .

٢– وطبان إبراهيم – وزير داخلية النظام .

٣– علي الكيمياوي حسن المجيد وزير دفاعه .

٤– عدي صدام حسين وأخيه قصي .

٥– حسين كامل .

هذه المافيا التي تدير قارب صدام المثقوب يتوقع شعبنا أن تلقى الجزاء الذي تستحقه في مقر قصر الشؤم .

مـدرســة الاشــرار

ماذا يعني تعيين وطبان ابراهيم التكريتي وزيرا للداخلية ؟

وماذا يعني تعيين علي الكيمياوي حسن المجيد وزيرا للدفاع ؟

وماذايعني طرد حسين كامل وزيرالدفاع والتصنيع و. .و.. وغيرذلك؟

كل هذا يعني اشياء كثيرة .. ولا يعني اي شيء !

فعراقنا الجريح سفينة تحترق على يد ربانها المتهور ! وشعبنا الذي تشغله هموم كثيرة سببها هذا الربان الارعن لم يعد يهمه معرفة بيادق الشطرنج التي تتحرك بكل الاتجاهات لسد الفتوق الكثيرة التي اصابت السفينة ، غير انها جميعا لم تفعل اي شيء ، فالسفينة غارقة في الوحل والرياح تمزق صواريها من كل صوب .

الشلة المتحكمة بمقدرات شعبنا تنتمي الى :

مدرسة صدام ...

وهي مدرسة لا مثيل لها في علمي التربية والاخلاق .... ولا يعترف بها العالم اليوم .

ولا ذكر لهذه المدرسة في قاموس المدارس ، لانها سرية.

مكان هذه المدرسة معروف اسمه :

قصر النهاية ...

واذا كانت ازمة المدارس قد امتدت واشتدت بحيث ان بعض مدارس (مدينة الثورة) ـ مثلا ـ تضم ثلاث مدارس في البناية الواحدة ...

فان مدرسة صدام من المدارس الفريدة في العالم حيث انها تفتح ابوابها لطلبتها ٢٤ ساعة يوميا !

فلا غرابة ان يزداد عدد خريجيها !

مدير مدرسة صدام اليوم : سبعاوي ابراهيم الحسن ... رئيس المخابرات ، اخ غير شقيق لصاحب المدرسة... وهو واحد من خريجي هذه المدرسة...

والذين اداروا هذه المدرسة نعرف منهم :

* صدام حسين نفسه ... ولا احسب انه يحتاج الى تعريف ... يكفي انه (القائد الضرورة) .

* برزان ابراهيم الحسن : وهو اخ غير شقيق لمؤسس المدرسة، واعماله اشهر من ان نعرف بها ... وعندما حدث خلاف عائلي ، ابعد من ادارة المدرسة الى جنيف للاشراف على الشبكة الارهابية التي يديرها الجهاز خارج العراق وللاشراف على الارصدة الضخمة ، السرية التي يملكها صاحب المدرسة من عائدات النفط وعمولات السلاح والصفقات الاخرى .

* فاضل البراك ... تولى ادارة المدرسة عدة سنوات وهو يعمل الان بمعية سيده كمستشار امني (ثم صفي لاحقا لاسباب مجهولة -معلومة).

* علي حسن المجيد ... من خريجي المدرسة المعروفين ... بدا حياته نائب ضابط فاشل وعندما نجح في المدرسة رقي الى عدة مناصب بينها ادارة الامن العام . واشتهر بمجزرة حلبچة التي راح ضحيتها خمسة الاف مواطن . وتولى ادارة الكويت بعد احتلالها المشؤوم . غير انه لم يتحمل (طوز) الشقيقة الجنوبية فاصيب بحساسية ، ولهذا عوضه صاحب المدرسة بمبلغ بسيط خمسة وعشرين مليون دينار . ونشر المرسوم الخاص بها في (الوقائع الرسمية) .

* عدي نجل صاحب المدرسة ... تدرب على يد اعمامه ، واثبت مقدرة على تنفيذ المهمات التي اوكلت اليه ، ومن أخرها قتل حامي الهدف الرياضي رعد حمود ، واعدام عدد من تجار(الشورجة) ممن رفضوا دفع (الخاوة) المطلوبة منهم .

* قصي نجل صاحب المدرسة .. تدرب على يد اعمامه الاشراف على تنفيذ احكام الاعدام بمجموعة من المتهمين بالمشاركة في الانتفاضة الباسلة في معتقل الرضوانية ببغداد .

* حسين كامل ... بدا حياته نائب عريف ثم انخرط في الحماية الشخصية ، وتزوج (رغد) ابنة صاحب المدرسة ليصعد نجمه . تولى وزارة الصناعة وادارة التصنيع العسكري ، ثم اعتلى وزارة الدفاع . تقدر ثروتة الشخصية بمليارين ، اعفى فجاة من جميع مسؤولياته ،

[ثم عادت حليمة الى وظائفها القديمة !!] .

* محمد حمزة الزبيدي ... بدأ حياته مضمدا في مستشفى الحلة ، نال شهادة تربوية بسيطة ثم اجتاز دورة في مدرسة سيده وعندما قامت انتفاضة أذار المجيدة قام بسحق - ابناء ذي قار - الناصرية- - فكوفيء بتعينه رئيسا لوزراء النظام .

* عبد الرحمن الدوري ... ضابط فاشل ، شغل مناصب دبلوماسية في موسكو وغيرها وعين مديرا عاما للأمن ومحافظا للنجف ، وعندما انفجرت الانتفاضة ، ضرب العتبات المقدسة بالمدفعية وطلب تزويد دائرته بشقاة يحسنون التعذيب والصفع والركل فكوفىء بتعيينه عضواً بما يسمى بـ(القيادة القطرية) .

مدرسة صدام ، خرجت الكثيرين ممن يصعب حصرهم هنا ، ولكن شعبنا يعرفهم فردا فردا فلكل تاريخه المعروف ، والعريق في الاجرام والنهب والسطو والاغتصاب ، وقيل ان صاحب المدرسة دعا خريجيها لاجتماع عائلي ، للتداول في مهمات المرحلة الراهنة ، ومتطلبات

التلاحم والتنسيق من اجل منع اي تحرك جماهيري ضد ، المدرسة ، وصاحبها وقرر المجتمعون اختيار اب روحي لها وبشكل (ديمقراطي) نزيه، اختاروا اكبرهم سنا ، واهمهم تجربة وخبرة .

وبعد اخذ ورد اتفقوا على اختيار رئيس فخري للمدرسة.

وتبين انه يدعى - خير (الله) طلفاح مسلط ، ويلقبه شعبنا بـ(حرامي بغداد وضواحيها).

حلـــم

(قصر الاحلام) أحدث روايات الكاتب الالباني البارز إسماعيل كادري ، حققت نجاحاً هائلاً ... تقوم فكرة الرواية على تصور قيام الدولة العثمانية في القرن الماضي ، بتأسيس وظيفة تقصي أحلام رعاياها ، فأنشأت لذلك مركزاً أساسياً في العاصمة ، أطلقت عليه اسم (سراي تابير) اي (قصر النوم) ، وجعلت لهذا المركز فروعاً ، ومكاتب في كل البلدان التابعة للامبراطورية ، وظيفتهم تسجيل أحلام الناس لدراستها والافادة منها ، ووضع التفاسير لها ... ويتم كل اسبوع اختيار الحلم – المفتاح عن أهم ماتنبىء به هذه الاحلام ، مما يتعلق بشؤون الدولة الداخلية والخارجية ، وصاحب الحلم الذي تتحقق نبؤته يكافئه السلطان ، أما الغاية الحقيقية من تسجيل أحلام الناس فهي الدخول الى أعماقهم .

يقول كادري في تصريح له إنه حاول تشريح الاستبداد في بلاده فدراسة الحلم من الأشياء التي لم تفعلها أكثر اجهزة استخبارات البلدان الاستبدادية !

يبدو أن السيد كادري يجهل ، ان (مخابرات صدام) قد مارست هذا العمل – رصد أحلام الناس ... فعلاً وهاكم التفاصيل !

بعد أن انتزع صدام السلطة وقفز الى رئاسة الجمهورية وزع عناصر أجهزته الامنية والمخابراتية في أنحاء العراق – لتقصي ردود الفعل ومحاولة رصد العناصر الكثيرة التي لم ترحب بتسلمه منصب

(الرجل الاول) في العراق . وقد رفعت له تقارير كثيرة ، استوقفه منها تقرير مدير أمن بغداد ، الذي أعتمد على تقرير كتبه المسؤول عن جانب الرصافة ، والمستند الى تقرير كتبه مسؤول مقاهي شارع الرشيد،

المعطوف على تقرير كتبه المسؤول عن (مقهى حسن عجمي) المقهى التاريخي الذي يفضله المتقاعدون من رجال العلم والادب والفن والسياسة وغيرهم . التقرير لخص أهم ما التقطته أذنه وخلاصته أن شخصاً كان يلعب النرد بجواره روى لزملائه انه حلم في الليلة السابقة، بأن انقلاباً عسكرياً حدث في العراق ، وإن الدبابات تقدمت ... وانه حاول اجتياز دار الاذاعة الواقعة في منطقة الصالحية ببغداد والتي يسكن قربها ، غير ان ضابطاً خشناً منعه من ذلك .. الخ ...

يضيف التقرير : ان أحدهم سأله هامساً :

ومن كان الرئيس الجديد ؟

فيرد بسذاجة : لاأدري إلا انه أسمر !

في المساء داهم (زوار الفجر) راوي الحلم واودع (قصر النهاية) حيث أمضى أسابيع عديدة ، تعرض خلالها الى تعذيب جسدي ونفسي فظيعين وبعدما تأكد للزمرة ، انه ساذج (وعلى نياته) البسيطة أطلقوه وعندما وجد نفسه حراً أقسم على الاضراب عن الجلوس في المقاهي ... وظل يعاني من الارق ... فلقد كانت الكوابيس تؤرقه ... وظل يرفض النوم لئلا يفاجأ بحلم انقلابي جديد !

الـــذبـــابـــة

تابعت باهتمام المقابلة التي أجرتها بعثة القناة التلفزيونية الفرنسية الثانية مع صدام حسين مساء الاحد ٢ (كانون الثاني) ١٩٩١، والتي استغرقت نحو (٥٠) دقيقة .

المذيعة الفرنسية روت للملايين من المشاهدين تفاصيل التفتيش الذي تعرضت له البعثة من قبل جهاز الحماية الشخصي (لبطل القادسية) والتي أخرها تعقيم أيدي الجميع (بالمطهرات) الصحية !

ولست هنا بصدد التعقيب على الحوار ، وردود (صدام) ... الخ .

غير انني لاحظت ، وكذلك غيري :

أن (ذبابة) صغيرة ، ظهرت فجأة ، وراحت تحوم بكل وقاحة على وجه (القائد الذي لايقهر) لفترة ، وفشل في طرد هذا الضيف الغريب (الذبابة) تركت البعثة الفرنسية .

وتركت (العباقرة) من الحاشية الحاضرين ، والذين كانوا يجلسون وينتزعون (مقتطفات) من أقوال سيدهم (المفكر) ،لاتحاف الباحثين والمحللين بها ، لتسليط الضوء عليها .

وألحت على (قرص) خدود (القائد) ومداعبته في وقت غير مناسب... ومن يدري؟!

سرح خيالي (الخبيث) وتصورت مايمكن أن يحصل لهذه (الذبابة) اللعينة .

ترى كيف تسللت؟ وما هدفها؟ ومن سهل لها الدخول في المخبأ السري (للقائد العملاق)؟

فور انتهاء المقابلة استدعى جميع مسؤولي الاجهزة الامنية : مدراء ورؤساء المخابرات والامن والاستخبارات وحماية أمن القصر ، والحماية الشخصية .

وطلب منهم (سيدهم) :

التحقيق في أمر تسلل هذه (الذبابة) .

هل هي مرسلة من الولايات المتحدة ؟

من البيت الابيض أو الكونغرس ؟

أجاءت من لندن ؟

هل هي مجندة من الحلف الاطلسي ؟

فكر (القائد) قليلاً .

وطلب وزير الصحة . وقال له :

عبد السلام أجر الفحص الفوري عليها وعليّ ؟

شحب وجه الوزير وقال :

ياسيدي : استطيع أن أفحصك ولكنني لاأستطيع فحص (الذبابة)، فإن هذا خارج تخصصي .

وباشارة صغيرة ، تولى (مدير الامن العام) اعتقال الوزير فوراً .

– تساءل مدير الاستخبارات مع نفسه .

هل يجوز أن يعجز وزير صحة عن فحص (حشرة) ؟

بعد ذلك دُعي مسؤول الطاقة الذرية :

طُلب منه فحص (الذبابة) لمعرفة إذا كانت تحمل إشعاعات نووية غريبة .

في اليوم التالي ترأس (صدام اجتماعاً للقيادتين وطرح المخاطر التي يتعرض لها (العراق العظيم) بسبب هذه (الذبابة) المجهولة الهوية والاهداف .

اعتقلت في ملجأ خاص .

وجند فريق لحمايتها .

وفريق لفحصها .

وفريق لدراسة طرق تسللها الى المقر السري (لقاهر الامبريالية والرجعية) .

وفريق يبحث عن شركائها في الجريمة .

في اجتماع القيادتين قال طه الجزراوي (قائد الجيش الشعبي)

- ياسيدي أنا أقترح إعدامها ، إذا ثبت انها ليست ملوثة ...

قال طارق عزيز :

- أنا أعارض الرفيق طه ، فلا بد من الاستفادة منها ، انها (ورقة رابحة) دبلوماسياً .

وهنا نطق (نائب رئيس مجلس قيادة الثورة) عزة إبراهيم قائلاً :

- لابد من استشارة رجال الدين ، فلا يجوز إعدامها في هذه الاثناء تم أحكام غلق الحدود .

وتولى الفريق المكلف بتتبع خط قدومها .

أخيراً ثبت أن (الذبابة) المقصودة كانت ولدت في حديقة الحيوانات بالكويت ،ووصلت الى بغداد ضمن مجموعة من الحيوانات التي نهبت منها .

كانت (الذبابة) متمددة على ظهر(ظبي) نادر أكله مشوياً (الاستاذ عدي) في سهرة حمراء .

وتوسلت (الذبابة) (بولي العهد) أن يطلق سراحها ولانها لاتصلح للأكل وهي بريئة ، وجاءت للنزهة والسياحة .

وافق (الاستاذ) بعد تردد - وتسللت لتحط على رأس (القائد الضرورة)

عمـــاد :

الكتــابـــة علــى الجــــدران

- عماد

- ماذا ؟

- دعينا لحضور تنفيذ الحكم به غداً .

- « دعيتم » ؟ !

هل هي حفلة أنس وطرب ؟ !

هل جننت أخي ؟ !

- أقـول إن المسـؤول أبلغ جـمـيـع سكان الحي بالحـضـور فـي السـاعـة السادسة من صباح غد لمشاهدة عملية تنفيذ حكم الاعدام به ، وهدّد (المسؤول) كل من لايحضر بالعقاب الشديد .

سقطت الدموع من عيني الحاج عبد وحوقل واستغاذ بالله .

« عـمـاد » شـاب في الخامسـة عـشرة ... طالب مـجـتـهـد في الثـالث المتوسط .

في احدى مدارس حي العامل ببغداد ...

أبوه موظف كادح - محدود الدخل - خدم الدولة سنوات طويلة - دون أن يتمكن من بناء بيت أو شراء شقة ...

كان يتنقل من حي لآخر ... وبعد جهود جبارة حصل على قطعة أرض صغيرة ...

وأخـيـراً وفـق في بناء بيت مـتـواضع في حي العـامل ... وهو من الأحياء الشعبية الحديثة التي أنشئت في جانب الكرخ .

لم يكن لوالد « عماد » صلة بالسياسة ، غير أنه وفي عهد صدام تعرض لمضايقات شديدة ... وهدد بالفصل من العمل .

حاول كثيراً اقناع مسؤوليه أنه لايصلح للعمل الحزبي ، غير أن أحداً لم يسمع كلامه .

وذات يوم ناداه مديره ، وفاتحه بالموضوع ...

- ياسيدي لم أدخل حزباً سياسياً في حياتي ... وأنا مع النظام و

(السيد الرئيس - حفظه الله - قال إن جميع العراقيين (بعثيون) على طريقتهم الخاصة)..

انتفض المدير قائلاً :

- متى قال سيادته - هذا الكلام ؟

- قاله فور تسلمه رئاسة الجمهورية وسمعته بأذني في التلفزيون و.. و..

- هذا كلام قديم !

- ثمة متغيرات جديدة ... التعليمات عندنا باختصار تؤكد أن شركتنا تنتج مواد حساسة - ولهذا لامكان لغير الحزبيين فيها ... وأنت صاحب عائلة - يجب أن تراعي مصلحتك ...

-فكر - أبو عماد - وشاور زوجته ثم أخبر مديره بالموافقة على الانتماء للحزب الحاكم مع الرجاء بمراعاة ظروفه ...

بعد أسابيع كلف بمسؤولية النقابة في الشركة ...

ومرة أخرى حاول أن يتملص فلم يتمكن .

وبعد الخسائر الفادحة التي تكبدتها القوات المسلحة العراقية أثر استعادة عبادان من قبل القوات الايرانية - طلب من جميع الحزبيين والنقابيين الالتحاق ب (الجيش الشعبي) .

حاول الرجل أن يتمرد وذهب الى مديره :

- ابني عماد لايزال في المتوسطة ، وأنا مسؤول عن إعالة زوجة المرحوم أخي وأطفاله و .. و.. لم تجد توسلاته ..

في خلال أيام تسلم بدلة الجيش الشعبي « وبعد تدريب عسكري لم يستغرق أكثر من أيام التحق (بالجبهة) .

في غياب الأب نهض « عماد » بمسؤولية الأسرة وواصل الدراسة في الوقت نفسه ، مما جعله يكتسب سمعه جيدة بين أقرانه ومعارفه .

ولم تمض سوى أسابيع حتى تسلم سكان حي العامل جثث ضحاياهم من احدى المعارك .

كان « أبو عماد » ضحية قنبلة انفجرت قربه ..

فوجىء « عماد » بالنبأ - واجتاحه الغضب ...

وكان عليه ترك الدراسة - للعمل غير أنه لم يفعل ...

وفوجىء سكان الحي ذات يوم بشعارات كبيرة على جدران مدرسة الحي والمستوصف ومركز الشرطة :

على المدرسة كتب :

- الموت لصدام .

وعلى مركز الشرطة :

- يسقط النظام الدموي .

سارع مسؤولو المنظمة والامن لابلاغ الجهات المختصة ...

وخلال ساعات وصل خبراء من الامن العامة :

- صورت الشعارات

-فحصت جيداً ثم محي أثرها ...

في نفس الوقت بوشر بالتحقيق بعد أن طوقت المنطقة .

ساد القلق السكان وأحسوا بالشر..

استدعي جميع الطلبة الى غرفة المدير ، وطلب منهم كتابة سطور في وريقات صغيرة قدمت لهم ..

أرسلت الوريقات الى اللجنة ، ثم الى المختبر الجنائي ...

بعد يومين القي القبض على « عماد » ..

انتزع من فراشه في الساعة الواحدة فجراً .

بكت أمه ، وارتفع عويل جدته ...

تهمة « عماد » كتابة الشعارات المعادية ... عذب تعذيباً قاسياً .. فأعترف ...

كان يصرخ :

– نعم ... أنا فعلت ذلك

سأله المحقق :

– لماذا ؟

– لان صدام حسين قتل أبي .. وقتل الكثير من العراقيين في هذه الحرب المجنونة ...

صفعه المحقق حتي أغمي عليه .

ذهبت أمه الي أحد المحامين من معارفها ، فقال لها بعد أن بلغه الخبر :

– وفق القانون – لايمكن الحكم عليه .. إنه قاصر ، دون الثامنة عشرة لم تطمئن الأم ..

حاولت أن تتوسط هنا وهناك ،لكنها وجدت جميع الابواب مسدودة ..

وفي خلال أيام قدّم الى المحكمة الخاصة ...

..حكم عليه بالسجن المؤبد ..

فرحت الأم ...

غير أنه أعيدت محاكمته من جديد ..فجأة ..وبلا مقدمات ..

وصدر حكم بتنفيذ الاعدام به – وبحضور جميع سكان الحي ..

جنت الأم ..ذهبت الى مسؤول(المنظمة)، قال لها :

– القرار رئاسي !

تبين أن (صدام) اتصل برئيس المحكمة الخاصة فأخبره هذا عن قضية (المراهق عماد) ، فما كان من (بطل القادسية) إلاّ أن طلب إعادة

المحاكمة وتنفيذ الحكم بـ (المجرم الصغير) ليكون عبرة للآخرين

توسل رئيس المحكمة متعللاً بالقانون ،فأجابه سيدّه :

– القانون يعدل مادام الهدف ،وضع حد لكل من تسول له نفسه التطاول على (رئيس الدولة والحزب) والعمر غير مهم !

واقتيد « عماد » لينفذ به الحكم أمام داره وعلى بعد مائة متر بقايا خطه الذي كتبه على الجدار:

– الموت لصدام .

الــزوجــة الثــــانيـــة

- ازدحمت الصالات بالمدعويين ، ولم يصل « المحتفى به » .

- كان (م) يتنقل بين موائد الجميع وعلائم الزهو مرتسمة على وجهه فيوزع الابتسامات والنكات لهذا وذاك وينحني على هذه وتلك مستفسراً عن نوع العطر الذي تستخدمه هذه ، والمحل الذي استوردت بدلتها منه ، تلك .

- هي حفلته الاولى التي يقيمها بهذا المستوى فـ «م » اليوم رقي الى رتبة عقيد واحتل مكانة مرموقة في « الحماية الشخصية » وقد بدأ حياته كضابط صغير ...

خدم القائد (هـ) واستطاع كسب ثقته وذات مساء أطل « صدام » فجأة فتبادل واياه عدة كلمات ...

-وتكررت زيارات « القائد » لموقع القيادة حيث كان يعمل . وفي أحد الايام أطل عليه « طير السعد » ! :

قيل له إن « الرئيس القائد » يطلبه شخصياً .

وعندما استقبله اتفق معه على إرساله في « دورة خاصة » باحدى الدول الاشتراكية حيث بقي فيها ثلاثة شهور ، عاد بعدها لتوكل إليه مسؤولية معينة في « الحماية الشخصية » ... ومنذ ذلك الوقت انهالت عليه المكارم !

وكان القصر الكبير الذي يقيم فيه قرب المطار الدولي أكبر « مكرمة » تلقاها ...

وها هو سيده يزيد في رعايته فقد ناداه منذ أيام وقال له :

- رفيق « م » ساكون ضيفك ... لكنني لن أكون وحدي ... أريد أن أنسى هموم الحرب في حفلة كبرى تضم أكبر قدر من المخلصين وأكبر مجموعة من الحسناوات !

حاول أن يقبل يدي سيده ،تعبيراً عن السرور ، غير أنه تذكر أن هذا من الممنوعات ... وأسرع - حسب الاوامر - الى الاتصال بالسيدة (م) المسؤولة عن الاتحاد النسائي :

- سيدتي اختاري أجمل الجميلات و..و.. ؟

- ولكن كيف والاحوال كما ترى ، والارامل كثيرات و ..و..

- التعليمات هكذا ولتلبس كل واحدة ، فستاناً جديداً ، وحقيبة جديدة، ولتضع أشد العطور تأثيراً و..و..

وراح يضعها في الجو « الانتيمي » الحميم المطلوب توفيره في (الحفلة التاريخية) واتصل بـ (ن) المسؤول عن تشريفات القصور طالباً منه إعداد اللائحة المطلوبة ،فأجابه على ماأراد ..

وراح يفكر في أسباب هذه الدعوه ، وسبب اختياره شخصياً ،غير انه لم يتوصل الى نتيجة ...

في هذه الاثناء ارتفعت الضجة .. لقد وصل « صدام » في زي مدني محاطاً بأربعة من عناصر الحماية .

- راح « القائد المنصور » يتنقل بين المدعويين يجامل هذا ، ويغازل تلك .

كان «ك » يسبقه في « تذوق » أي شيء يفكر بشربه أو أكله ..

وعندما أحس بالجوع طلب من صاحب الدعوة مد السماط على الارض ، لأنه يريدها « دعوة عربية » على البساطة !

واستمر يمازح المدعويين والمدعوات .

وبعد انتهاء العشاء ، أمر بتوزيع « مشروبات معينة » .

عاد الى المرح .

وفجأة لمح صدام تجمعاً نسائياً غريباً . تقدم مستفسراً ، فقيل له :

- « س » أغمي عليها ..

سأل عنها فقيل له إنها زوجة فلان .

كانت « س » قد أحست بالارهاق ، وفي حوالي الثالثة فجراً سقطت على الارض بعد أن راقصت أحد الحاضرين ..

حاول بعضهم إيقاظها إلا انه فشل ... اخترق صدام الحشد ، بعد أن تنحى له الجميع .

وضع يده على خد المغمى عليها بهدوء : وفجأة نهضت !

ارتفعت الزغاريد ابتهاجاً لهذه « المعجزة » .

واستغرب الجميع نجاح « القائد الرائد » في مهمة « سلمية » !

سألها بلهفة :

– هل يمكنك إخباري بحالتك ؟

سيدي عندما وضعت يدك على خدي شعرت كأن يداً حانية تدخلني

« الجنة » ! وعندما فتحت عيوني واجهتني عيونك أحسست بالراحة والطمأنينة والدفء .

قالت ذلك بهمس ورومانسية ..

جَذبها من يديها ، وأنفرد بها في صالة صغيرة .

– « س » جميلة ، أنيقة ، من عائلة بغدادية معروفة ، زوجها « ن » مدير عام إحدى المؤسسات الحكومية .

وفي دقائق اتفقا على كل شيء !

شكا « صدام » من زوجته ،وراح يظهر عيوبها ، ومما قاله عنها :

– إنها طماعة ،رغم انها واحدة من أغنى ثمانين امرأة في العالم ! إنها

(تكريتية مغرورة) ! و..و..و..

– زوجي « ن »؟

– سألت « س » رد « صدام » ضاحكاً

سأرضيه ، طبعاً ! إنه موظف جيد ، وحزبي مثالي !

في اليوم التالي صدر مرسوم يقضي بمنح « ن » صلاحيات الوزراء !

وهو أمر ينفرد به ..

ومنذ ذلك التاريخ :

نالت « س » لقب :

سيدة العراق الثانية .

الحـــــاج

كانت الساعة الثانية فجراً عندما توقفت سيارة (مرسيدس) فخمة أمام أحد دور حي العباس في كربلاء ، وترجل منها ثلاثة أشخاص وهم يتطلعون الى رقم الدار ، للتأكد منه ربما ...

كانت المحلة غارقة في النوم ، ألاّ أن احدى العجائز التي أصابها الارق الشديد بعد التحاق ابنها الثالث (بالقادسية المشؤومة) ، شاهدت السيارة الغريبة ، مدت رأسها مذعورة ، وتمتمت باللعنة على زمرة صدام التي أدخلت الرعب في قلوب هذه المدينة المقدسة ! وتذكرت الوف المواطنين الذين هُجّروا ظلماً الى إيران بدعوى انهم إيرانيو الاصل - واغتصبت بيوتهم وأموالهم - وعذبوا وسجنوا ثم رمتهم الزمر على الحدود كالكلاب السائبة ! وتساءلت مع نفسها : ولكن حتى (الحاج) لم يسلم من رعب صدام ! اللهم لك الشكوى !

نزل الثلاثة من السيارة وقرعوا الجرس بشدة ، ولعدة دقائق ، هب جميع أفراد الاسرة من النوم . وكانت الحاجة أكثرهم يقظة - وراحت تتطلع من الشباك وتحوقل ، وأشفقت على إنهاض الحاج الذي لم ينم إلاّ قبل ساعة فلم توقظه- قالت لنفسها لعله ثمة خطأ أو ربما يستفسرون عن جندي هارب أو أحد أفراد الجيش الشعبي - ردت عليهم من خلف الباب :

-نعم ..هل لديكم استفسار ما ؟

- رد أحد الثلاثة :

- نعم .. نريد الحاج ..وفوراً !

في هذه اللحظة استفاق الحاج مذعوراً وخرج ليفتح الباب ، بينما تبعته الحاجة ..

-تأمرون شيئاً ؟

- قال الحاج بضراعة ؟

- نعم .. ياحاج .. تفضل معنا وفوراً وبلا مناقشة !

توسل الحاج اليهم أن يتركوه ليلبس ملابسه التقليدية (الصاية) و(الكشيدة) ولكنهم رفضوا وطلبوا منه أن يصعد معهم (بالدشداشة)! تضرع اليهم ان يكتب وصيته ، فهو يعرف مصير من ترسل اليه سيارة في مثل هذا الوقت ،غير انهم أجابوه بخشونة ...

- لا تضيع وقتنا ياحاج ! أنت مطلوب ولانعرف أكثر من هذا !

هنا تعالى نشيج زوجته وأطفاله واستفاق كل الساكنين في الشارع على صراخ الحاجة ونحيبها .

الحاج في الخامسة والستين ، قصير القامة ، له محل للحلويات معروف في كربلاء ، ورث المهنة عن أبيه وجده ، ولم يسبق له العمل في المجال السياسي أو الديني - وهو شخصية محبوبة ،ورجل مستور بمعنى الكلمة .

حاول الرجل طيلة الطريق أن يفهم من جلادية شيئاً عن (الجريمة) التي اتهم بها غير انهم قابلوه بالعبوس ... وأخيراً لاحت بغداد بينما كان الحاج يزجي الوقت بقراءة آيات من القرآن الكريم وبعض الادعية وقرب منطقة أبي غريب توقفت السيارة وتقدم احدهم من الحاج ليضع منديلاً خشناً على عينيه .

سالت دموع الرجل وارتجف وهو يواصل الدعاء والتضرع ، وبعد نحو ساعة - هكذا قدر الحاج - ازيل المنديل من عينيه فوجد نفسه داخل مطبخ يدل مظهره على أنه تابع لقصر !

أعطي للحاج كرسي وقدم له الشاي فأعتذر ، خوفاً من أن يدس له السم ، كما حُدّث كثيراً وبعد فترة وجيزة حدث هرج ومرج في المطبخ وإذا بامرأة - عرف فيما بعد انهاالسيدة ساجدة خير اللّه - قرينة صدام حسين تسأله :

- هل أنت الحاج ..؟

طأطأ الحاج رأسه خجلاً وخوفاً وأجاب :

– نعم ياسيدتي !

– قالت السيدة ضاحكة :

– هل صحيح إنك أحسن من يصنع البقلاوة والزلابية في العراق ؟

انفرجت أسارير الحاج وأجاب متلعثماً :

-يقال ... يقال ياسيدتي !

بلهجة آمرة – طلبت منه إعداد كمية من الحلويات (الملوكية).

هدأ الرجل قليلاً ، وطلب توفير المواد والعدة المطلوبة مع مساعدين ... وطيلة ثلاثة أيام بلياليها صنع الحاج العشرات من (الصواني) الحافلة بأنواع الحلويات .

ذاقت أم عدي – أو سيدة المجد كما يحلو لها أن تسمّى ، نماذج مما صنعته أيدي الحاج ، فأعجبت بها كثيراً !

لقد حققت شهوتها الصغيرة ! وبأمكانها أن تدعو صديقتها السيدة

(ن)و(س) و...الخ ... وعندما أتم الرجل مهمته أعيد بنفس

(المرسيدس) ... نفس الوجوه ، نفس الوجوم – غير أن الحاج كان مرتاحاً نفسياً ، رغم التعب المضني ، ورغم أنه لم يسمح له حتى الاتصال بعائلته هاتفياً !

المهم السلامة ، قال مع نفسه ...

وصل الحاج كربلاء عصراً – وعندما اقترب من داره لاحظ أن مكبرات الصوت موجودة ، فلقد أقامت أسرته الفاتحة على روحه ، بعد أن يئس الجميع من عودته سالماً !

بـــرج الثـــــــور

- قـررت المحكمـة الحكم على ... بالسـجن خـمس سنوات ، مع مـراعـاة ظروفها سقطت المحكوم عليها في القاعة ، إعياء .

بعد ساعات وجدت نفسها في إحدى قاعات (سـجن أبي غـريب) ، لم تصدق مديحة ماجرى لها ...

أهو كابوس ام حلم ؟

تذكرت بالتفصيل لحظة الرعب الاولى :

في الثالثة من صباح يوم سبت ، طرق الباب بشدة ، لم تشأ أن تفتح.

أمها مريضة جدا - وابنها الصغير يشكو الما في معدته

- من الطارق ؟

- افتحي الباب أم عمر .

- من أنتم ؟

- زملاؤك في العمل .

استـغربت (مـديحـة) فليس في وظيـفتـها مـايوجب الاستـفسـار في شيء، كما أنها لاتعرف أصوات الطارقين .

- لا أعرفكم ... اتركوني في مصائبي .

- سنكسر الباب الآن .

تعالت ضجة .

وبـعد لحظات دخل (زوار الـفجـر) ليـبـعـثـروا كل شيء دون اسـتـئـذان ووسط ذهول صاحبة البيت ...

استفاقت أم مديحة لتحاول الصراخ - غير أن نظرات التهديد التي وجهها (الزوار) كانت كافية لشل حركتها ...

راحت تتوسل بهم .

- ياسادتي ، ابنتي بعيدة عن السياسة ... إنها مازالت حزينة منذ أن « أستشهد » زوجها قبل ستة شهور و ...

قاطعها أحدهم .

- ياسيدتي لدينا أمر باستدعاء ابنتك - للاجابة على بعض الاستفسارات ..

لاتقلقي .

وفي الطريق الى مديرية الامن حاولت المسكينة أن تعرف تهمتها ، ولكنها لم توفق .

لعله اشتباه بالاسم.

قالت لنفسها ...

مديحة موظفة - مجدّة - محبوبة من قبل جميع زملائها ، تهوى النكتة - سريعة البديهة .

قبل الحرب ، حازت على جائزة أحسن نكتة في الحفل السنوي الذي أقامه نادي المنصور ...

في التحقيق عرفت أن أحدهم شغب عليها ، ونقل تعليقها ...

- حقير

-تمنت لوضربته بالحذاء قبل أن يرفع (تقريره)

سألها المحقق :

- ماذا تقصدين بتعليقك أثناء « يوم الميلاد » الذي يحتفل به « كل الشعب »؟

ردت بأسى :

- ياسيدي ، لاأقصد شيئاً .. مداعباتي معروفة ، وسجلي نظيف و..و..

- تهمتك خطيرة إنها التطاول على (بطل القادسية)

- صمتت ، ولم تدر بماذا تعقب ؟

- في (سجن أبي غريب) زجت في (جناح التأديب – قسم النساء).

طوقتها السجينات الاخريات ،ورحن يمطرنها بالاسئلة :

- ماهي النكتة التي جئت بسببها الى هنا ؟

تطلعت اليهن – نافية :

- لم أرو نكتة ... جئت بسبب (تعقيب) ! .

- لا بد أنه (تعقيب) يستحق خمس سنوات !

تعالى ضحك السجينات .

سألت (مديحة) التفاصيل ، قالت لها (س)

- اسمعي ، جناح التأديب أكبر الاجنحة في السجن .

- عجيب ...

- ما عجيب ألاّ الموجود خارج السجن !

مرة أخرى ساد الضحك القاعة .

وردت احداهن على سؤال السجينة الجديدة ، قائلة :

- تتراوح الاحكام بين السجن المؤبد وأبرز المحكومين (الدكتور ...) وهذه النكت خاصة (بالقائد المنصور)

أما أقل الاحكام فإنها خاصة (بالحزب) أو (السيد النائب) .

- لا أكاد أصدق ...

قالت مديحة ، وهي تفكر بعشرات النكات التي أطلقتها طيلة سنوات الحرب .

وحمدت ربها – لانها لم تصل الى (الاجهزة الامنية المختصة) ...

وانفجرت ضاحكة وهي تستذكر بعض النكات القوية ،وبعملية حسابية بسيطة تبين لها أنها لو أحيلت الى المحاكم لبلغ مجموع الحكم عليها : السجن بما لايقل عن ٥٠٠ سنة !!

أما (الذنب) الذي كلّفها خمس سنوات من عمرها ويتمّ ابنها الوحيد ، فإنها في ٢٨ نيسان -وهو

يوم الميلاد .

قالت بحضور عدة أشخاص :

أنا سعيدة لأنني أكتشفت أن رئيسنا من مواليد (برج الثور) .

العمـــامـــة

١٩٧٩ ـ ١٩٨٠

أجهزة صدام كانت في أقصى درجات الانذار (ج) كما يسمه الحزبيون وأكثر هذه الأجهزة حركة ونشاطا : المخابرات .

فقد انفجر الزلزال الايراني ليهز المعادلات في الشرق الاوسط

سقط الشاه ، الامبراطور الاسطورة ، ومؤسس أقوى الجيوش الحديثة في الشرق الاوسط بل (الجيش الخامس) في العالم .

« الثورة الاسلامية » نجحت بعد أن قدمت المئات من الضحايا ، غير انها في الوقت نفسه ، ارتكبت أخطاء وسلبيات وتجاوزات .

منها : انها همشت القوة العسكرية الضاربة التي بناها الشاه .

ومنها : تمزيق مؤسسة (السافاك) التي كانت تخنق المواطن الايراني حتى الوريد .

وشرعت القيادة الجديدة بإنشاء جيش وطني جديد .

كانت « الثورة الاسلامية » مفاجأة غير متوقعة لصدام .

فكل تقديرات مخابراته واجهزته الأمنية كانت تؤكد أن الشاه باق على (عرش الطاووس) . وإن « الثورة » مجرد (رغوة صابون) عابرة . على هذه الأسس تصرف :

استقبل (فرح ديبا) باعتبارها (إمبراطورة) ، في الوقت الذي كانت فيه أنهار الدماء تسيل في طهران ، وكل المدن والقرى الايرانية .

طرد الامام الخميني من النجف الاشرف ، خلافا لكل الأعراف ، والتقاليد العربية والاسلامية والقيم الانسانية والذوق الحضاري أيضاً !

وشن حملة اعتقالات واسعة في صفوف مقلديه وأنصاره في أنحاء العراق . وعندما انتصرت (الثورة) وتسلم (الخميني) السلطة وسط حماس كبير ، أسقط في يد صدام ... ولم يدر مايفعل...

وأخطأ عندما تلكأ في تهنئة القادة الجدد !

كانت برقية التهنئة التي أرسلها عادية ، لأنه يجهل حقائق الجغرافيا والتاريخ !

فروابط الجيرة و ١٢٠٠ كيلومتر من الحدود المشتركة بين البلدين يجب أن تمنح الأولوية في سياسة - (بغداد - طهران) - ووجود (شط العرب) ينبغي أن يحسب له ألف حساب ... وجاء جواب البرقية بمنتهى البرود ، بل انه تضمن عظات ونصائح بين السطور !

وكابر صدام !

قام بجولات في أنحاء العراق ! بدأها بمدينة الثورة في بغداد - التي منحها اسمه استهتاراً ، في محاولة لاستجداء عواطف أهلها ، وقال في خطاب القاه فيها :

إن خبراء النفط اكتشفوا وجود بحيرة نفط هائلة تحت باطن المدينة ووعد السكان بمشروعات خيالية لم ينفذ منها في وقت لاحق سوى الهدم، واطلاق اسمه واسم حزبه على شوارعها ومدارسها والمؤسسات الموجودة فيها !

وفي جولة في الاهوار القى خطابا في هذه المنطقة التي يزورها للمرة الاولى (أمر) بإيصال الكهرباء الى جزيرة منقطعة عن العالم، اكثر من ذلك (كرم) سكان الجزيرة بجهاز تلفزيوني ملون لكل منهم عندها (صفق) له هؤلاء البسطاء الذين يزورهم (رئيس) الدولة للمرة الاولى .

الطريف أن شيخاً مسناً منهم نهض وقال ما معناه :

نشكرك ياسيدي على جهاز التلفزيون لأننا سنتمكن من رؤية الامام الخميني والتبرك بطلعته ومعرفة أخباره !!

بعد ذلك قرر إرسال وفود الى طهران وقم ...

من هذه الوفود مجموعة من رجال الدين يمثلون مختلف الطوائف وبعد سلسلة إتصالات مكثفة وافقت السلطات الجديدة في إيران على استقبال الوفد .

ذهبوا في باص سياحي وفي (قصر شيرين) نقطة الحدود العراقية - الايرانية توقف (الباص) لانجاز ختم الجوازات .

لاحظ الضابط المختص أن جميع جوازات أعضاء الوفد جديدة وصادرة في يوم واحد ، ومن مكتب واحد

شك في الامر ، فأجرى اتصالات هاتفية وسرعان ماجاء الضوء الاخضر بالسماح للوفد بالدخول مع الترحيب بـ (ضيوف الامام) كان الوفد يتكون من ١٣ شخصاً ، أغلبهم في أواسط العمر .

وصل الوفد طهران وفي اليوم التالي توجهوا الى مدينة (قم) حيث مقر (الامام الخميني) .

استقبلهم هناك أحد المسؤولين وخصص لهم من يرافقهم وييسر شؤونهم .

وحان وقت الصلاة ، فتوجه قسم منهم لأداء الصلاة بينما اعتذر آخرون بسبب طول السفر الذي أجهدهم (!)

كان مقر (الخميني) خلية من النشاط فقد جاءت وفود من أنحاء العالم لتحية(مرشد الثورة الاسلامية) .

في اليوم الثالث استقبل (الامام) الوفد .

ساد الصمت لحظات قبل أن يتكلم (الامام) ويشكرهم وقال إنه يرتبط بالشعب العراقي بعلاقات روحية ... نابعة من روح الاسلام ونظر الى أعضاء الوفد جيداً ... وحاول أن يعرف ولو واحداً من هؤلاء

(المعممين) بعمامات بيض وسود غير انه لم يوفق .

لقد عاش (الامام) فترة طويلة في العراق ، ودرس ودرّس في النجف حيث كان يردها العشرات من رجال الدين من أنحاء العراق للتشاور والزيارة ...

كان رئيس الوفد قد أعد خطبة مكتوبة لتحية (الثورة الاسلامية) غير انه كان ينتظر الاشارة .

وفجأة لمعت في ذهن (السيد) فكرة :

تقدم نحو أعضاء الوفد ونزع عماماتهم جميعاً ، ووسط دهشتهم وذهولهم قال :

معذرة   هل تستطيعون (لف) هذه العمائم ثانية ؟

وسقط الوفد (الديني الصدامي) في الامتحان .

فجميعهم عناصر أمنية ،لا صلة لهم بالدين ولا رجاله ، (لُفّت) لهم العمائم في (مديرية أمن بغداد) على عجل ، وفاتهم اجتياز دورة لهذا الغرض !

المصفـــوع

الصفع : ضرب القفا بالكف مبسوطة .

ويسمي البغداديون الصفعة : كفخة ، فصيحة .
ومن أغنياتهم : معلّم – بتشديد اللام – على الصدعات كَلبي (قلبي) .

– الاصل في الصفع : أن يكون للتأديب ، ثم سرعان ماتحول الى الاهانة والايذاء !

– وقد عيّن بعض الخلفاء مجموعة أطلق عليهم اسم :

– الصفاعنة –.

وهؤلاء يتولون صفع من يغضب عليهم الخليفة .

قال أبو حيان التوحيدي : إذا رأيت رجلاً خرج من عند الوالي وهو يقول :

– (يد الله فوق أيديهم) .. فاعلم أنه قد صفع !

حدثني أحد أصحاب المطابع البغدادية أنه تقدم بطلب السماح بطبع هذه الآية وغيرها فلم يوفق !

وبعد أن جرب أكثر من (واسطة) استدعاه مدير الرقابة في وزارة الثقافة والاعلام قائلاً :

– اسمع ثمة تعليمات جديدة تقضي باضافة (حفظه الله) الى

(الرئيس القائد) أولاً ، ثم رفض نشر (يد الله فوق أيديهم) وعندما لاحظ (المدير الهمام) استغرابي قال :

هذه الآية تفسر ضد النظام صراحة .. لماذا لاتطبع :

- لئن شكرتم لازيدنكم ؟ !

عندها سحبت طلبي ، وخرجت من عنده وأنا أستغفر اللّه ، صاباً

اللعنات على هؤلاء المجرمين الذين يريدون (تأليه طاغيتهم)بأي شكل.

كان الأطباء البغداديون ، يستعملون الصفع - لعلاج اللقوة - بأن يصفع المصاب باللقوة ، صفعة شديدة ، على غفلة ، من ضد الجانب الملقو

ليدخل قلب المصفوع مايحميه ، فيحول وجهه ضرورة بالطبع الى حيث صفع ، فترجع لقوته .

قال الاستاذ عبود الشالجي : اللقوة : تسمّى الآن ببغداد : الشرجي - يراد به الهواء الشرقي - والمصاب باللقوة يقولون عنه :

ضربه الشرجي .

ومنذ سنوات أصيب (لص الدورة) خير اللّه طلفاح بالشرجي

وعندما عجز الاطباء عن معالجته ، وصفت له عجوز ساحرة تقيم في أحد أحياء الكرخ تعالج هذا المرض على طريقة القرون الوسطى فوافق على ذلك ، فما كان منها الاّ أن تناولت نعالاً ضخماً ، وبصقت عليه ثم صفعت وجه (خال صدام) صفعة ارتجت لها أركان الحيّ ، شفى على أثرها!

وسبب تسمية البغداديين ، من أصيب باللقوة بأنه ضربه الشرجي لانهم يحسبون أن اللقوة ، أي الاسترخاء ، في أحد شقّي الوجه ، يحصل من الهواء الشرقي ، لأن الهواء الشرقي في العراق ، حار ، خانق مصدر لانواع الأذى .

و(سليمة كرفته) أو (سليمة أخذته) شتيمة محرفة عن السلامي وهي الريح الشرقية .

وفي الثمانينات تولى (علي حسن المجيد) مديرية أمن النظام فعمل

على (توسيعها) بحيث أصبحت تضم عشرات المعتقلات . حدثني صديق كتب اللّه له الحياة بعد أن أمضى فيها نحو سنتين :

- أن المجيد يختار الجلادين المشرفين عليها - وفق امتحان غريب :وهو تحمل أكبر عدد هائل من الصفعات !!

- ويشتمل معتقل (الهيئة التحقيقية) على قاعة ضخمة تضم المتهمين

بتأييد المعارضة ، ويتلذذ (المجيد) بحضور (حفلات تعذيبهم) بالصفعات التي تتميز باصداء موسيقية غريبة !

- حدثني صديق كويتي أن (الكيمياوي) نفذ خطته في (ستراتيجية

الصفع) على الاشقاء الكويتيين حيث كان يشرف على تعذيبهم في احدى المدارس التي حولها الى (مختبر تعذيب) !

الصفع أول مراحل التعذيب - وعشق (المجيد) له جاء من خلال تلمذته على سيّده وابن عمه !

فبعد انقلاب تموز ١٩٦٨ باشر الدكتا تور انشاء جهاز مخابرات النظام متخذاً (قصر النهاية) مقراً له .

ولم يكتف بالاشراف على تعذيب المعتقلين من المعارضين ، بل اتخذ غرفة خاصة مزودة بكامرات تلفزيونية سرية (يتفرج) منها على القادة والكوادر والرموز الاجتماعية الذين كانوا يعتقلون باشارة منه!

كان يتلذذ بتعذيبهم بدءاً من الصفع ... وانتهاء بالطلب منهم :

- المواء كالهررة !

- والنباح كالكلاب

- والسير كالقرود الخ ...

كان (القائد الضرورة) يختار بنفسه الجلادين الذين ينفذون هذه الجرائم المقززة ، بحق شخصيات يكن لها شعبنا الاحترام والتجلة .

وهو بهذه الوسائل ينفس عن حقد سيكولوجي دفين ضد هذه الشخصيات المرموقة .

ودارت الايام دورتها : -

تفجرت (قادسية البؤس) ثم توقفت ...

ثم اندلعت (أم المعارك) التي انتهت بـ :

- أم المهالك .

ثم بصم – بصام – على كل القرارات الدولية المذلة والمهينة التي أفقدت عراقنا الاستقلال والكرامة .

وبقي (القائد المنصور) يتلقى الصفعات والركلات من كل مكان بعد أن حصر بين خطّي عرض بسيطين ، وبهذا فقد نال لقباً جديداً هو :

– القائد المصفوع !

درهـــــم

... حكمت المحكمة الخاصة بالسجن خمس سنوات على ... (كاظم) محمد عبد النبي ... مراعية ظروفه الشخصية .

انهار المحكوم عليه ، وسقط في اغماءة عميقة .

منذ شهور ، وهو ينتظر أن يتقرر مصيره .

التحقيق معه لم يستغرق كثيراً .

ناقش الشهود ، وأفحمهم ما أنساه مشكلته .

في كل يوم يحاول أن يحرك قضيته ،فلا يجد من يستمع اليه .

وذات مساء توسل بالمسؤول :

– ياسيدي أنا رب عائلة كبيرة ، وأمي ضريرة ، أنا المعيل الوحيد لها .

– أين تسكن ؟

– في المدينة ؟

– المدن كثيرة ، حدّد يامعيدي !

– مدينة الثورة .

– تأدب ، لاتوجد في خارطة العاصمة مثل هذه المدينة ، الفظها باسمها الصحيح الحديث .

– مدينة صدام

– صمت (كاظم) وابتسم في أعماقه ، فهو يعرف جيداً أن هذه المدينة أنشئت في بداية الستينات ، قبل أن تتولى (الزمرة) التسلط على عباد الله .

- أعاده المسؤول الى واقعه ، ليسأل .

- ماهي تهمتك ؟

ياسيدي لم أفعل أي شيء على الاطلاق ، أنظر أوراقي اشتريت سيارة (فورد) لنقل الركاب من بغداد ... (مدينة صدام) ، وكنت أتقاضى أقل الاجور ! الحياة صعبة ، ومعاوني سرقني ، و ...

- هذه تفاصيل ، ولكن حدد لي بالضبط تهمتك ؟

- لست متهماً ، صدقني ، قيل لي أن مشكلتي فكاهية .

- أنت تتصور هكذا ومشكلتك تتعلق (ببطل القادسية) نفسه ؟

- صمت الرجل البسيط ، وعاد الى زنزانته ، وهو يتعثر في مشيته .

راح يستمع الى قصص معتقلين وصلوا تواً .

شباب تخلفوا عن الالتحاق بالحرب .

شاب اتهم بالبصق على صورة (القائد المنصور) .

جاره أصابه أرق شديد ، فقد أرسلت له زوجته (الاتحادية) ورقة طلاق

راح يروي مأساته ، وكيف أن زوجته لفقت تهمة ضده بمعاونة أحد المتنفذين .

أحد زملائه سأله :

- هل تعرف شيئاً عن تاريخ هذا المعتقل ؟

- لا ياأخي ! لانني لاأتدخل بالسياسة و...

- هذا المعتقل كان جزءاً من (أصطبل) خيول الامير عبد الاله ، الوصي على العرش و ...

- لم يدهش (كاظم) لهذا الخبر العادي ، وتحول مكان (خيل) الى (بشر) مسألة اعتيادية تحت ظل هذا النظام القاسي .

- في مساء رمادي ، مر مسؤول اخر ، ضمن جولة تفتيشية ، قيل انه يحمل صلاحيات واسعة .

تدافع المسكين ليشرح حكايته، غير مخلصين (للحزب وللقائد) هناك نشاط معاد ، ستدفعون ثمنه قريباً .

– ولكنني غير متهم بالسياسة !

– موقفك من الخدمة العسكرية ؟ هل تطوعت ؟

– خدمت ثم أعفيت بسبب كوني المعيل الوحيد لعائلة تتكون من ١٢ فرداً .

– رد المسؤول بحزم :

– كان يجب أن تتطوع ... شبابنا يموتون في الجبهة ، وأنت تتهكم ؟

– صمت ، لانه لم يفهم العبارة الاخيرة .

حاول أن يستثير النوازع الانسانية عنده ، لكنه لم يوفق ...

ذهب الى المحكمة ، ليفاجأ بالقرار الرهيب ...

أما (جريمته) التي حكم عليه بسببها ، وعرضت أسرته للتشرد ، وأدت الي وفاة والدته العجوز فهي :

بعد صدور أمر ابدال اسم مدينة الثورة الى (مدينة صدام) ، نادى على الركاب المحتشدين في موقف السيارات بالباب الشرقي ، منبهاًانه يعرض سعراً مخفضاً جداً ، حاذفاً اسم المدينة ، صارخاً بأعلى صوت.

ياناس ، يابلاش ، صدام بدرهم !

تنزيلات على العيد !

الــــــدقــــاق

الدكّة : كلمة عامية فصيحها : الدقة .

ولقد نال هذه الكلمة – الابدال – مثل الكثير من الالفاظ العامية العراقية ، فانتهت الى كلمات تختلف أصواتها في حرف أو أكثر .

قال ابن فارس : ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ،ويقولون : مدحه وهدحه . فرس رفل . رفن وهو كثير مشهور وفي العامية العراقية أمثلة كثيرة على إبدال حرف من حرف . ومن هذا : كَام وكَعد وتنور مشجور .

وأصولها : قام ، قعد ، تنور مسجور .

ولكلمة (الدكّة) دلالات عديدة ، فمن معانيها :

الوشم (شامة ودكّه بالحنج) ، والضرب (دكّوه دكّه قوية) ، والاداء

(يدك تحية) ، والصنع (دك الموصل) والعزف (يدك عود)

ومن معاني (الدكّه) : الواقعة أو الحدث .

وهناك دكّات وقعات تنسب الى مدينة أو منطقة أو أشخاص ، ومن أشهر الدكات : دكة الغربية .

قال الدكتور على الوردي إنها اشتهرت في بداية الحرب العالمية الاولى عندما خاضت الدولة العثمانية الحرب ضد روسيا في ساحة (أرضروم)

وزج الالوف من العراقيين في أتون حرب ضارية لاشأن لهم بها ، وقد أدت الى وفاة نحو عشرين ألفاً منهم قضي الكثيرون منهم نتيجة الامراض الفتاكة والبرد القارس الذي لم يعتده العراقيون.

ومن كنايات بغداد :

– دقة بدقة ، ولوزدنا زاد السقا ، وهي كناية عن مقابلة السيئةبمثلها.

– ودقداقي : كناية عن المزعج المسرف في السؤال وفي التنقير .

قال الاستاذ عبود الشالجي هي من الفصيح : دقق الحساب ، اي استعمل فيه الدقة وإمعان النظر .

– دكة الشعيبة : وقعت إثر الحرب التي دارت بين الاتراك والمجاهدين العراقيين من جهة وبين الانكليز الغزاة من جهة أخرى ..

وقد أدت هزيمة الاتراك الى انتحار قائدهم العسكري سليمان باشا .

–أبو الثوم : أحدث الالقاب التي أطلقها شعبنا على القائد المهزوم صدام وأصله :

دكاك الثوم بعكوسه : وهو الذي يقحم نفسه في المشكلات ثم يختفي !

– ودكة خزعليه : تقال عن المعركة الحامية وهي تنسب الى عشيرة خزاعة (الخزاعل) ولصديقة الملاية أغنية شهيرة خاصة بها .

– دكة العشرين : يقصد بها ثورة العشرين التي انطلقت من(الرميثة)

– ودكة الجسر– نسبة الى وثبة ١٩٤٨ وقد غنى المطرب الكبير محمد القبانجي من كلماته .

خذ من دروس الزمن	درس الزمن يجري
وأحفظ حكوك الوطن	حك الوطن يجري
واللي انكتب بالسما	في أرضنا يجري

– دك (دق) أصبعتين : كناية عمن أصابه سرور ودق الاصبعين يقوم به الراقص ، وقد دق (العوج بوي) صدام حسين مؤخراً أصبعتين وبضع رصاصات ابتهاجاً بهزيمة جورج بوش وانتصار بيل كلينتون !

– الدك يفك اللحيم :

كناية تشير الى أن استمرار الظلم والاضطهاد يولدان الانفجار .

– دق صدره :

أحدث ألقاب عزة ابراهيم الدوري نائب رئيس ما يدعى بمجلس قيادة الثورة ،وهذه الكناية تطلق على من يعد باجابة الطلب والوعد

بالمعونة . ودكاك الصدر هو التعبير العامي المعروف لمثل هؤلاء الذين هم عبارة عن أشخاص مجردين من كل شيء.

- دق أبو طبل :

كناية عن انتهاء أمر يبعث انتهاؤه على السرور والانشراح ، وقد يقال بقصد الاستهزاء والسخرية .

- دق البرزان ببيتهم :

كناية عن القوم إذا تفرقوا ، وتمزق شملهم ، ذلك لان البرزان (البوق) كان ينفخ به في المحلة ، في العهد العثماني ، إذا حصل حريق في أحد البيوت ، لكي يجتمع الناس - فيساعدون في إطفاء الحريق ...

- دقة الدقات أو دكة الدكات :

هي (أم المهالك) بلا منازع و(بطلها) يسمّى : الدقاق أو صاحب الـ ٩٩ لقباً أو عابر الشط أو المستر اوكي .

الصـــابـــر

قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون)

يعني : اصبروا على ماافترض الله عليكم وصابروا عدوكم .

وقال الرسول (ص) : الصبر ستر من الكروب ، وعون على الخطوب .

وقال عبد الله بن عباس (رض) : أفضل العدة الصبر على الشدة .

وللعامة إيمان عميق بأن عاقبة الصبر : الفرج .

في أحد أيام الخريف ١٩٧١ لفتت نظري ضجة كبيرة في شارع المتنبي برصافة بغداد ، ويعدّ هذا الشارع بؤرة ثقافية لتميزه بكثرة المطابع ووفرة المكتبات ودور النشر وإدارات الصحف والمجلات ، هرعت الى مكان الحادث وإذا رجال الشرطة والامن يطوقون مطبعة صغيرة وصاحب المطبعة بين ثلاثة من ذوي الشوارب الكثة وهم يضربونه على مرأى الناس وسمعهم .

كانت الدماء تسيل من صاحب المطبعة وهو يصرخ ويستعطف :

– ياناس ، هذه اللوحة أطبعها منذ ثلاثين سنة ،ولم يعترض عليها أحد! سحبت إجازة صاحب المطبعة واعتقل وشردت عائلته ، وكانت تهمته طبع لوحة فسرت تفسيراً سياسياً هي :

– الصبر ... مفتاح الفرج !

والصبر نبات ورقه طويل يكثر في الحجاز واليمن .

قال الشاعر :

ولئن تصبك مصيبة فاصبر لها   عظمت مصيبة مبتلى لايصبر

وذكر الله سبحانه وتعالى – الصبر في القرآن في تسعين موضعاً .

وصبر وصابر وصابرين أسماء .

وخلدت صديقة الملاية أمين صندوق البصرة " صبري افندي " في إحدى أغنياتها الشعبية ! وأمانة الصندوق وظيفة معروفة وهي تابعة لوزارة المالية .

ويلاحظ أن المسؤولين عن هذه الوزارة تغيروا أكثر من زملائهم ! وكانت عاقبة بعضهم مأساوية !

فوزير مالية النظام يجب أن يكون موظفاً مطيعاً ، ليناً لايجيد سوى كلمة :

– موافق !

أعرف وزيراً طرد من منصبه لانه تلكأ في ترديد كلمة : موافق !

فلقد اتصلت به السيدة الاولى (ساجدة) هاتفياً طالبة منه مبلغاً صغيراً مقداره (مليون دينار) فقط مدعية انها تريد أن (تتبرع) به الى مايدعى بـ (الاتحاد النسائي) !

ارتجف (الوزير الهمام) وطلب منها إعادة ذكر الرقم المطلوب ، فأكدته – أم عدي – عندها قال لها بصوت خفيض :

– ياسيدتي (أم المجد) هذا المبلغ لايدخل ضمن صلاحياتي ! لابد من موافقة تحريرية يوقعها (رئيس الجمهورية) و ...

عندما وصل الى ذكر (القائد المنصور) شتمته ، وهددته بالويل والثبور وعظائم الامور .

غادر الوزير مكتبه الرسمي الى (القصر الجمهوري) ليشرح مشكلته .. وقبل أن يطأ عتبة المقر الرسمي لرئيس النظام ، سمع من الراديو (إعفاءه من منصبه) !

ومنذ ذلك التاريخ اتخذ صدام حسين قراراً (ثورياً) يقضي بانشاء دائرة مالية في (قصره) فيها غرف مشحونة بأكياس من أنواط نقدية مختلفة ، بالعملات السهلة والصعبة ، وهكذا تجاوز (روتين الوزراء الاغبياء) الذين (يتكرم) بتعيينهم ، ثم يعرقلون الامور بطلب توقيع وما

أشبه كما همس في اذن (مرتزق عربي) جاء ليقبض منه مباشرة!
الصبور -بالضم- نوع من السمك يكثر في البصرة .

ويقال إن راتب الاستاذ الجامعي ارتفع الى مايعادل ثلاث سمكات ! وهذا لايشمل الاساتذة الذين ارتضوا تسخير طاقاتهم للاجهزة القمعية طبعاً !

صبر أيوب : كناية عن الصبر الطويل على الاذى الشديد ، وتشير الكناية الى ماابتلى به النبي أيوب ، وما امتحن به من الاسقام !

يقول الاستاذ عبود الشالجي إن البغدادي ، إذا ابتلى بمصيبة تستوجب الصبر ، قال :

صبر جميل ، وصبر أيوب ، وهذا من الباري مكتوب !

والصبر الذي يحمله شعبنا منذ ربع قرن - يعادل عدة قرون !

والذي يحمله منذ نحو ثلاث سنوات لاحدود له ! فـ(أم المصائب) و (أم البلاوي) من أكبر الهموم الايوبية ! ودخل الصبر مفردات صاحب (الاقتدار العالي) أول مرة عندما دعا الى (التحلي بالصبر) في ظل عقوبات الامم المتحدة ... طالب أيضاً بتحقيق (حالة استثنائية) من التضحية والصبر!

كان (القائد الضرورة) يطالب الامهات اللائي فقدن أولادهن في حروبه ومغامراته : الزغردة !

وكان يصف كل من يطلق على قادسيته السوداء تعبير : الحرب القذرة، بأنه خائن وعميل ! وجاءت (أم المهازل) لتكشف كل الاقنعة ، فحصر (القائد المنصور) في سرداب ضيق ، وعندما شعر بأن السكين اقتربت من رقبته طالب بـ : الصبر !

ونسي أن الراحلة أم كلثوم كانت تقول : إنما للصبر حدود !

و(الحدود) كانت ذريعة العدوان على الجارتين إيران والكويت !

وتقلصت سيطرة النظام وضاعت بين خطّي عرض معلومين : مجهولين! في خطابه الاخير قال (إن فهمه الحقيقي للديمقراطية هو أنه

عندما يسمع أن هناك أرملة توجهت الى النوم وهي تعاني من الجوع فإنه لايستطيع النوم ليلاً) ...

إذاً الديمقـراطيـة لايمكن أن تتـحـقق في ظل الجـوع ! هكذا يريد أن يخبرنا! فلماذا لم تتحقق عندما كانت واردات العراق من النفط وحده أكثر من عشرين ملياراً ولم يكن ثمة حصار ؟

وليبرهن (القائد المنتصر) على إيمانه بالصبر كحل سحري لكل المشكلات سارع ليعين مسؤولاً جديداً لجهاز مخابراته اسمه :

- صابر الدوري !

الســـاكن والمسكـــون

قال تعالى : وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم

السكون : ذهاب الحركة ، سكن أي : سكت

السكن : المنزل . وهو المسكن أيضاً .

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي :

السكن : سكون البيت من غير ملك أما بكراء وأما غير ذلك .

والسكن : إنزالك إنساناً منزلاً بلاكراء .

قال المعتمد على الله يخاطب أباه المعتضد ، ويعتذر اليه من هزيمة لحقته :

سكّن فـؤادك لاتـذهب بـك الفـكر

مـاذا يـردّ عـليـك الـبث والحذَر ؟

وإذا كان هذا الخليفة الاندلسي قد اعتذر بسبب هزيمة صغيرة ،فإن

(القائد الضرورة) لم يكتف بالاصرار على أنه (منتصر) بل انه تحدى (الامبريالية) بمواصلة بناء :

القصور !

وآخر (منجزاته) :

– قصر الاعظمية ...

ويقع على (كورنيش دجلة) في الضاحية التاريخية ...

غير أنه – وكالمعتاد – :

شرّد المئات من الساكنين في المنطقة ولحد الجار السابع !

فالهاجس الامني يظل يلاحقه .

ومن جهة أخرى فهو لايريد أن يشاركه (الرعاع) في القصر الذي لايعرف كم ليلة يبيت فيه سنوياً ...والسبب :

الهاجس الامني طبعاً !

القلة الذين زاروا هذا القصر عجبوا لمظاهر البذخ الذي أحيط به من كل جانب !فلقد كلف خزينة « الدولة » الخاوية ، المحاصرة أرقاماً خيالية من العملات الصعبة !

ويتداول العراقيون حكايات كثيرة عن رخاماته وحجاراته وأثاثه العجيب ! ولعل أطرف الحكايات تلك التي تتعلق بسبب إنشائه :

قيل إن « الزوجة الاولى » التي يلقبها أعلام النظام بـ(أم المجد) هي التي أمرت ببنائه ...!

ويقال انها أرادت (كيد ضرتها) التي بنى لها (القائد المنصور) قصراً على الضفة الاخرى أي في (كورنيش الكاظمية) !

وأكتفي بهذا - لأنتقل الى :

- السكَن ...

فاقول إنها واحدة من مآسي شعبنا ... فمع تولي - الحزب الاوحد - السلطة - تعقدت المشكلة وتحولت الى أزمة الازمات !

كان حي (كرادة مريم) من الضحايا الاوئل - فلقد هجر ساكنوه وأبعدوا ...

ثم غزا أركان النظام أحياء بغداد شيئاً فشيئاً !

اخليت المنصور ثم ١٤ رمضان فالحارثية ...الخ !

يحتل « قيادي » داراً فتخلى ثلاثة شوارع « لأسباب أمنية » !
يبني أحدهم داراً فتفرغ منطقة كاملة للاسباب نفسها !

وهجمت المنظمات والاتحادات وفروعها على أحياء سكنية كاملة فاحتلتها !

وجاءت حملات التهجير الشرسة لتنهب دور المواطنين ولتسلم الى العناصر الامنية القمعية !

وتم نهب مئات البيوت التي كانت تسكنها عوائل المعارضين ...ولم يطرح النظام خطته لحل الازمة !

– رفع شعار : السكن العمودي .. فأنشأ عمارات جاهزة بشكل سريع ثم سرعان ماظهرت فيها العيوب ، إضافة الى انعدام الخدمات وتاجرت الاسرة الحاكمة بالاراضي والعقارات فارتفعت الاسعار وانتشرت الفضائح وعمت القبائح ...ويكفي أن نشير الى :

– جمعية بناء المساكن للمحاربين القدماء لـ« متعهدها » خير اللّه طلفاح ! ويمكن القول إن النظام هدّم ثلث العاصمة بغداد من أجل .... إقامة ساحات ضخمة .

– شوارع عريضة ...

وليست لهذه الساحات والشوارع من مزايا سوى وجود :

– تماثيل وصور وجداريات عملاقة للـ :

– القائد الرائد !!

صدام حسين حل مشكلة السكن على طريقته « الثورية » .

– فلقد بنى لنفسه نحو أربعين قصراً في أنحاء العراق ...

– ووزع العشرات من الشقق السكنية كـ« مكارم » لكل من مدح أو ردح أو صفق أو رقص له !

وأخيراً أكتفي بنقل سطور كتبها صحفي في جريدة رسمية تصدر في بغداد ، وتقديراً له أهديه أغنية (ساكن قصادي) وهاك ماكتبه بلا تعليق : « أزمة السكن استفحلت ولم يعد المواطن يملك قابلية استيعابها أو تحملها أو قبولها كأمر واقع ...لا أحد يتحرك في هذا المجال من أجل إنقاذ المواطن من محنة تطبق على خناقه ... من كان إيجاره قبل ستة أشهر خمسمائة دينار أصبح اليوم بألف » .

ورقة من «كتاب الكاف»

قال اللّه تبارك وتعالى : كما بدأتم تعودون .

وفي الحديث الشريف : كل الصيد في جوف الفرا

وفي أمثال العرب : كلّ راجع مع الليل آيب

الكآبة : سوء الحال والانكسار من الحزن ، الكمد هو « الحزن المكتوم ».

كان يقال بحب الاوطان عّمرت البلدان . وفي كتاب الشوق والفراق :

كأنّا خُلقنا للنوى وكأنما

حرام على الايام أن تتجمعا

الكرسي : هو مايجلس عليه ، ولايفضل عن مقعد القاعد ، هكذا قال القدامى ومعظم رؤساء العالم يتفقون على أن البقاء على الكرسي

(مؤقت) ، ولايخالف هذا الرأي الاّ قلة بينهم رئيس النظام العراقي ! الكيد - بالياء - أقوى من المكر . كيت وكيت : حكاية عن الاحوال والافعال.

الكرملي : أنستاس ماري عالم عراقي كبير توفي سنة ١٩٤٧ فرغت مؤخراً من تحقيق كتاب جديد له يشتمل على دراسات تتناول الاقليات القومية والدينية في العراق أي - الملل والنِحل - وعنوانه : مجمع الطوائف العراقية .

كركوك : مدينة شهيرة تضم طوائف متعددة ، لها مفاخر ومآثر . كرست مجلة فراديس العراقية التي تصدر في كولون - باريس عددها الأخير لمجموعة من مبدعي هذه المدينة التاريخية من المبعثرين في المنافي وأبرزهم : فاضل العزاوي ، سركون بولص ، أنور الغساني ،

. مؤيد الراوي وغيرهم تفردت كركوك باشياء كثيرة - ومن اشهى ما أكلت: كبابها المعروف في بيت صديقي المؤرخ شاكر صابر الضابط - رح -

قال أبو تمام الطائي :

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحنينه أبداً لاول منزلِ

الكوت : مسقط رأسي وملعب صباي ، والكويت : جارتنا الجنوبية ، وبسبب غزوها المشؤوم : كان وياما كان وياما سيكون !

ومن كنايات بغداد : كعدوا (قعدوا) على قازوغ - خازوق - كناية عّمن عُذّب تعذيباً شديداً .

الكربة : هي أشدّ من الحزن والغم قال الشاعر :

ولاكربة الأّسيعقب أهلها

ولو بعد يأس : حلّها وانفراجها

(كامل الاوصاف) أغنية عاطفية حولها العراقيون الى كناية تستهدف : حسين كامل (الصهر المدلل) ، وقيل لي إنه طلب من إذاعة النظام منع هذه الاغنية التي كثر الطلب عليها اثر انتهائه من بناء قصره الضخم والذي سماه (قصر رغدان) تيمناً باسم قرينته ابنة (بطل أم المعارك)، وتروى اساطير عن هذا القصر ، نكتفي بالاشارة اليها .

الكراث : بقلة . والكرش معروف في قرار شهير الزم فيه دكتاتور بغداد أنصاره بترشيق أجسادهم (لمواجهة تحديات المرحلة) وكان

(طه ياسين الجزراوي) أنجحهم في تذويب (كرشه) المخيف ،

(عودته الى صباه ورشاقته) جعلته يقترن بامرأة ثانية شابة في عمر ابنته .

الكولسترول : من أمراض العصر المعروفة - له أسباب أغلبها نفسية ، يسبب ارتفاعه التوتر وقلة النوم والتركيز والانفعال والضعف وكاتب هذه الورقة أصيب بهذا المرض - اللعنة في سنة ١٩٨٢ اثر هزيمة النظام في (قادسية البؤس) حيث فقد أحبة أعزاء -ضمن الالوف ممن راحوا ضحايا تلك الحرب العبثية !

قلت : وخلال العشر سنوات الماضية عشت بين مدّ وجزر صحياً ، ومنذ بعض الوقت سقطت طريح الفراش اثر الارتفاع الجنوني في نسبة «الكولسترول »وقال لي طبيبي ناصحاً :

إن الكتابة – الابداع – متنفس صحي مهم لمثل هذا المرض العصري .

قال عبود الشالجي :من كنايات بغداد : كل ماتهدي يثورها الاعيور : كناية عن الشـرير الذي يوقظ الفتن ، ويورث نارها بين الناس كلما هدأت:

هل تريدون معرفة عنوان الاعيور ؟ اكتبوا الى :

كرادة مريم – بغداد

«المؤلفـــات الكـــاملــــة»

في (نيسان) ١٩٩٠ زفت « وزارة إعلام لطيف جاسم. » الى الشعب العراقي والامة العربية « بشرى سارة » .

خلاصتها إن « المؤلفات الكاملة » لصدام قد طبعت ، وما على الشعب إلا أن يصطف بالدور ليقتني هذا الكتاب الذي سيحل مشكلاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية !

لم تنس الوزارة الخطيرة أن تؤكد انها « تفخر بانجازها لهذا العمل الكبير ، بطباعته الانيقة ، وتجليده وتغليفه تغليفاً يليق بالمشروع العظيم » .

مشروع عظيم ؟ !

« المؤلفات الكاملة للقائد الضرورة » ؟ !

لم لا ؟ !

ألا تضم مكتبات العالم المتحضر المؤلفات الكاملة لماركس وانجلز ولينين وما وتسي تونغ وتيتو وكيم إيل سونغ الخ ..؟

هل تريدون مزيداً من التفاصيل عن « المشروع العظيم » ؟

الوزارة « اللطيفة » تقول إن هذه المؤلفات تتكون من :

* ثمانية عشر جزءاً بالحجم الموسوعي (؟) ! اشتملت على ١١ ألفاً و ٦١٧ صفحة (بالتمام والكمال) !

اثنا عشر ألف صفحة من كلمات صدام يالها من موسوعة فذة ، تحل مشكلات شعوب العالم ! والذين يعرفون صداماً ، معرفة شخصية ، يعرفون عقده ...

انها « بالجملة » وليست « بالمفرق » !

والتأليف واحدة من هذه العقد الكثيرة !

عندما تسلم رئاسة الجمهورية العراقية في تموز ١٩٧٩ استدعى طارق عزيز بصفته أحد أعضاء مكتب الثقافة القومي في (الحزب) وسأله :

- رفيق طارق ، هل يقرأ الحزبيون تصريحاتي وآرائي في السياسة والمجتمع والثقافة ؟

ارتبك عزيز وأجابه :

- بالطبع ، توجد أربع كراسات لسيادتك وطلبنا من الحزبيين استيعاب مضامينها الفكرية و .. و ..

وهنا نهره سيده ، طالباً جمعها في كتاب .

ومنذ ذلك اليوم دخل صدام عالم المؤلفين !

- خصصت مطابع كاملة لطبع مايتفوه به من تصريحات وتلميحات واشارات !

وعندما وقع طارق عزيز على هذه « العقدة » التي كان يجهلها سابقاً تحرك في كل الاتجاهات ليرضي قائده العبقري :

- اتصل بمجموعة من الكتاب « لتحليل » أي تصريح .

- اتصل بوزارة التعليم العالي « لتشجيع » طلبة الدراسات العليا لوضع دراسات عن « فكر صدام حسين » .

- وكلما أرادت « الدار الوطنية للتوزيع والنشر » التابعة لوزارة « اللطيف » - أقامة معرض للكتاب أفردت جناحاً « لمؤلفاته » مع (الدراسات) التي يدبجها بعض المرتزقة .

وتسلم « لطيف نصيف جاسم » أسرار هذه العقدة الصدامية فحاول هو الاخر الدخول في نادي المؤلفين غير انه لم يستطع مزاحمة سيده ، ولعله خاف من هذه (المزاحمة) غير المتكافئة !

وعندما اكتشفت السلطات الامنية ان الجمهور العراقي الذكي يقاطع مؤلفات صدام شن « الوزير اللطيف » حملة معاكسة فراح يكلف سائقه وبعض أفراد حمايته بشراء مجموعة من هذه الكتب الهزيلة .

نعود الى « المؤلفات الكاملة » :

مع بداية الحرب مع إيران شكل طارق عزيز لجنة لنشر « المؤلفات الكاملة لصدام حسين » وعهد الى ناصيف عواد رئاستها ... اتخذت اللجنة من المكتبة الوطنية مقراً لها . وراحت تعمل بلا ملل ، خاصة وإن مبالغ خيالية رصدت لها .

وتجمعت لدى اللجنة تلال من تصريحات وأقوال (وافرازات) صدام حسين .

وباشرت اللجنة الاعمال ...

وفور ذلك جوبهت بشدة تناقضات « القائد المنصور » !

وحارت اللجنة في أمرها ! إذ كيف يمكن تثبيت هذه التناقضات في كتاب يصدر عن جهة رسمية ؟

استشارت اللجنة طارق عزيز فلم يعرف ماذا يقول ؟

ووجد ناصيف عواد في تعيينه رئيس تحرير مجلة تصدر في باريس فرصة للتملص من هذه المسؤولية .

واستمرت اللجنة تختزل من التصريحات والاقوال والخطب !

وهكذا تقلصت « المؤلفات الكاملة من ٥٠ ألف صفحة الى ١٢ ألف صفحة !

وعلى الرغم من كل هذا ، لاتزال التناقضات تعصف بأفكار صدام

فصدام يغير آراءه تماماً كما يغير بدلته كل يوم !

صدور « المؤلفات الكاملة » حلت واحدة من عقد صدام ولا يهمنا أن نعرف كم نسخة بيعت منها !

ولقد حاولت شخصياً أن أحصل على مجموعة منها ، فكلفت صحفياً عربياً دعي الي بغداد في مهمة « قومية » وعاد بعد أيام ليسلمني حقيبة جلدية أنيقة ، تضم غلاف « المؤلفات الكاملة » ...

قلت له :

أين الكتاب الموسوعة ؟ !

قال : فعلت مافعله غيري من الضيوف ، قذفت به في سلة مهملات الفندق الذي حللت به ، وجلبت لك الحقيبة التي كانت تضمه تذكاراً !

اغتصــــــاب

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر عندما توقفت سيارة فخمة من طراز « فيراري » حمراء ، مجاور موقف (الباص) في حي الصالحية في بغداد، عندما نزل منها عسكريان ، مسلحان وتقدما باتجاه شابة كانت تنتظر الحافلة وطلبا منها مرافقتهما فوراً . ذهلت المسكينة لهول المفاجأة ، وكادت تفلت منها صرخة ، إلا ان العسكريين شهرا بوجهها السلاح ، فسلمت أمرها لله وجلست بين مختطفيها .

في تلك الساعة ، كان الشارع خالياً من المارة ، والسيارات نادراً ماتمر فيه ، ولهذا لم يلحظ عملية الاختطاف أحد .

في السيارة ،لم تجد صعوبة في التعرف الى (الفارس) الثالث ، والذي كان وراء مقود السيارة انه ...

- عدي نجل (القائد المنصور) .

انفجرت باكية ، بعد أن هالها الموقف ، توسلت اليه :

- سيدي ،لم أرتكب ذنباً .. كما انني متزوجة وزوجي معروف و ..

تطلع اليها في المرآة ، وكان واضحاً انه مخمور ، الكلمات تتعثر بين شفتيه ، قال لها ضاحكاً :

- ماأسمك ياحلوة ؟

أجابته .

- أين كنت ؟

- في الاذاعة والتلفزيون .

- ماذا تعملين ؟

- مذيعة .

.. ها .. ها استغرق (ولي العهد) بالضحك وقال لرفيقه :

- رزق عظيم ، هذا اليوم .

- وهنا يئست البائسة ، وخمنت ماينتظرها ، خاصة وأنها سمعت عن جرائم عدي ، في الاعتداء على النساء بشكل خاص .

هي متزوجة حديثاً ، وزوجها يعمل معها في المؤسسة نفسها ، ونادراً ما تستخدم (الباص) في تنقلاتها ، إذ أن سيارة المؤسسة تنقلها عندما يكون عملها في المساء ، كما ان زملاءها يقومون بما يلزم ، إلا انها فضلت لسؤ حظها اليوم - تجربة الحافلة ، « أسوة بأبناء الشعب » ... قالت لنفسها ...

بعد نحو عشرين دقيقة ، أنزلت من السيارة ،بعد أن وضع الخاطفون منديلاً على عينيها ، وعندما رفع المنديل اكتشفت انها داخل شقة فخمة، راحت تتطلع بقلق الى تفاصيل الشقة ، وبينما هي كذلك هجم عليها (عدي) كالوحش ... حاولت التمرد .. الصراخ ... إلا انه هددها، وأفهمها ان طلقة واحدة في قلبها من مسدسه كفيلة بأن تنهيها الى الابد، وبدون أن يشعر أحد بها أسرع الآخران لتهيئة مائدة عامرة وقام أحدهم (بتشغيل..) فيلم سينمائي فاضح .

وتولى (عدي) إعداد كأسين من (...) إلا انها رفضت كل شيء .

وخلال ثلاثة أيام تناوب عليها الثلاثة ، اغتصاباً ، وأفرغوا شهواتهم الحيوانية في جسدها . قاومت المسكينة قدر استطاعتها ، إلا انها ضعفت، وانهارت ثم أغمي عليها ، ولم تعد تفرق الليل من النهار ، بعد أن أحكم إغلاق النوافذ .في اليوم الرابع ، طلبوا منها الرحيل ،

(مادامت غير مرتاحة) كما قال (الفارس الصغير) عرض عليها كمية من النقود ومجموعة من الهدايا النسائية الفاخرة ، إلا انها رفضت كل هذه « الوساخة » .

كان زوجها قد أخبر مدير شرطة الصالحية ، ومسؤول منظمة الحزب في المنطقة ، واتصل مدير عام مؤسسته بعدة جهات ، بحثاً عن

« الغائبة » لكن لم يوفق أحد في معرفة شيء من سر هذه العملية .

وفوجيء بزوجته تقرع جرس الدار ، ممزقة الثياب ، منثورة الشعر ... وجهها الجميل تعلوه الخدوش والكدمات ...

حضنها قليلاً وبكى ، ثم سألها عن تفاصيل غيابها الذي أثار التساؤلات ... على الرغم من انه ادعى لزملائه في المؤسسة انها مسافرة. اضطراراً – لمهمة عائلية عاجلة .

روت له تفاصيل ماحدث باختصار ..

لم يستغرب شيئاً .. فهو (في الصورة) .

هو : شاب طموح من أسرة معروفة ،له قدرات أدبية وثقافية . بعد قليل من التفكير ... قرر مقابلة (صدام) نفسه ، ليشكو إليه ابنه المدلل.

– انها فرصة لابد من استثمارها ، قال لنفسه .

فلم يجد بأساً في إنجاز خلاصة (الفضيحة) .

كانت الحرب مع إيران في أوجها ، وكان العراق قد مني بخسائر مريعة ، وخشي ان يتهرب (صدام) من المقابلة – لأنه – القائد المنصور – يرحب بأستقبال النساء فقط .

بعد ثلاثة أيام فقط تمت المعجزة ! حدد الموعد :

الساعة الثانيّة بعد منتصف الليل .

والمكان : حديقة الزوراء .

في الموعد المحدد ، وبعد تفتيش شامل دخل (...) ليستقبله (القائد الضرورة) وهو يتكلف العبوس ... وراح يجامله ويسأله عن آخر الاخبار وفجأة زعم انه حزين لما حصل وانه حقق في الحادثة بنفسه ... وقرع الجرس .

وهنا أطل (عدي) مع مرافقيه .

لاحظ أن المرافقين قد عوقبا بشكل ما ، فهما حليقا الرأس ... كما انهما يرتديان الملابس المدنية البسيطة .

صمت (بطل القادسية) قليلاً ، ثم قال :

- المرافقان التعسان ، سيحالان الى (المحكمة) لينالا الجزاء العادل .

مرة أخرى ، صمت ، وخفض رأسه مبيناً انه يهم بالبكاء .

ثم أشار الى مرافقي (عدي) بالمغادرة .

بقي الثلاثة ... وساد صمت جديد .

فجاة نطق صدام .. قال بصوت ناعم :

- بقي عدي ... انه كما تعلم شاب مثلك ، مراهق ... أترك لك الحكم عليه .

هنا أجابه ، ورآها الفرصة المؤاتية لتحقيق الهدف من هذه الزيارة التاريخية:

-سيدي ، أنا واسرتي فداء لكم ، عدي رفيقنا ونحن نسامحه .

تهلل وجه (الرئيس القائد) ، ونهض ليطلب من عدي تقبيل وجنة (رفيقه) ، اشارة الى التسامح والصلح وطي صفحة (العدوان الثلاثي).

وفي لحظات ، أنهى هذه المشكلة ، بما عرف عنه من (عدل) .

وعندما خرج (...) سلمه (صدام) مفاتيح سيارة فخمة هدية صغيرة. وبعد أيام صدر أمر تعيينه في إحدى العواصم الاوروبية المهمة ليكون بداية تألق نجمة بعد أن استوعب (طبيعة المرحلة الثورية الراهنة)

التمثـــال

ج . نحات ورسام تشكيلي معروف ، يعتبر من جيل الرواد في العراق.

مشكلته انه يعتبر نفسه فنان العراق الأول والأخير أيضاً ، تنقل في وظائف وإدارات مختلفة ، وأخيراً وجد نفسه موظفاً صغيراً في وزارة الثقافة والاعلام ، على الرغم من قدمه في الوظيفة ، وكفاءته الفنية . فإن نرجسيته جعلته يفتقد الصلة بمعظم الفنانين ...

وعندما تسلم« صدام »رئاسة الجمهورية ، « استنكف » أن يرسم له « بورتريه » ومع اشتداد الحرب ، وزيادة حجم الرعب والاضطهاد ومنع سفر العراقين الى الخارج ، ضاقت زوجته - وهي أجنبية - بهذه الاوضاع، وطلبت منه إيجاد منفذ للهجرة .

راح يطرق الابواب محاولاً الحصول على موافقة سفر بسبب المرض، غير انه لم يحصل على نتيجة .

وجرب تقديم الهدايا وإقامةالدعوات لبعض المتنفذين غير إنها - أي الهدايا - لم تنفع في حل المشكلة .

ووافق يوما على دعوة « احداهن » من المتنفذات ، وبعد أن وجد اللحظة مناسبة ،سألها :

- إني في غاية الضيق - زوجتي لم تزر أهلها منذ سنوات - و« الصواريخ » بدأت تصيب بغداد ... ولا أدري ماذا أفعل ؟

فكرت زميلته قليلا وأجابته :

- أمرك يسير ياسيدي ولكنه في قبضة « القائد المنصور » نفسه ...

- استغرب الفنان وتساءل :

- وكيف ذلك ؟

- المسألة في غاية البساطة ارسم له لوحة « جدارية » وأطلب مقابلته بحجة تقديمها له بنفسك - ثم أطلب ماتريد « من موقع القوة والاقتدار »!

- سر الرجل بالاقتراح ، وعكف على رسم لوحة عملاقة تجسد صورة « صدام حسين » ممتطيا فرسا .

وفور فراغه منها سعى للاتصال هاتفياً به فلم يوفق .

وبعد ثلاثة أيام من الاتصالات الملحة ،كلم أحد مرافقي « القائد » وشرح له سبب طلب المقابلة ، فوعده خيراً ... وراح الفنان يستعد للمقابلة التاريخية .

وفوجىء في اليوم التالي بشاحنة تقف أمام باب داره ، نزل منها عدد من الاشخاص طالبين تسليمهم « الجدارية » .

راح يندب حظه العاثر ويلعن « القادسية » و « الفن والفنانين » !

وبعد مدة تعرف على رسامة فاشلة ،جميلة قيل له إن كلمتها لدى المسؤولين الكبار : لاترد .

وبعد أن أطمعها بالهدايا يسرت له الطريق .

وفي خلال أيام وجد نفسه بين يدي « صدام »نفسه ،

فخاطبه بالقول :

- سيدي قررت أن أصنع لك تمثالا برونزياً بالحجم الطبيعي .

ابتسم « القائد الفذ » وأجاب بتعال :

- لامانع .

وأضاف بعد لحظات تأمل :

- سأطلب من « لطيف » أن يجهزك بكل ماتطلبه من أدوات فنية ومنحك إجازة تفرغ لهذا العمل الممتاز .

استجمع « ج » شجاعته وقال :

- ياسيدي لاأستطيع أن أنجز التمثال هنا ، فثمة مواد لاتتوفر هنا ، كما انني درست في باريس وزوجتي اجنبية ،وأرغب صنع تمثال لائق .. و .. و ..وراح يشرح ويتوسل ...

وافق صدام على المشروع ، وفي خلال أيام صدر الامر بتعيينه

« مستشاراً فنياً » في السفارة .

وصل الفنان الى اوربا ،واستقر في أحد أرقى أحياء عاصمة النور .

بقي سنوات طويلة يتقاضى راتباً ضخماً ، ومخصصات دسمة دون أن يطأ عتبة سفارة بلاده !

وراح موظفو السفارة يشتمون هذا « المستشار » الذي يسلمونه الراتب أول كل شهر ،وهو متمدد في شقته « اللوكس » بين صور مختلفة الاحجام والاشكال لصدام !

وبعد سنة زار بغداد واستقبله وزيره سائلاً عن « التمثال »

وراح الفنان يتحدث عن الصعوبات التقنية التي تواجهه ، مدعياً أنه أنجز صنع اليد اليمنى .. والساق اليمنى !

وهكذا بقي هذا الفنان خمس سنوات كلف خلالها خزينة العراق مبالغ طائلة من أجل صنع تمثال !!

وعندما وصلت معلومات تشير الى إنجاز التمثال ، قررت وزارة

« اللطيف » نقل مستشارها الهمام ...

أسقط في يد (ج)

كيف يبقى ؟

حاول الغاء الامر فلم يوفق ...

وأخيراً قرر أن يجرب صنع تمثال لزعيم عربي أخر ...

اتصل بسفير عربي يعرفه جيداً ، وعلى مائدة العشاء طرح للسفير مشروع صنع تمثال بالحجم الطبيعي لرئيس بلاده ..

عندها أجابه السفير بكل هدوء :

آسف التماثيل عندنا محرمة ... حرمها الاسلام .

الشهـــادة

في أحد أيام ربيع ١٩٨٣ ، وفي خضم الحرب مع إيران ووصول مئات من جثث القتلى ، كرس تلفزيون بغداد « سهرة كاملة » لتقديم وقائع منح « صدام حسين » شهادة الدكتوراه « الفخرية » في القانون من جامعة بغداد !

وظهر « صدام حسين » ببزته العسكرية ونياشينه الكثيرة وسط حشد من المرتزقة والمتزلفين .

وابتسم وهو يستمع الى « رئيس الجامعة » يلقي خطبة عصماء تشيد بعبقريته في القانون العام ، والخاص ، والدولي ورعايته « العدل والحق » ... الخ !

ساد الوجوم قلة من أساتذة الجامعة الذين كانوا يبدون كالغرباء وسط عناصر « الحماية الشخصية » الذين احتلوا القاعة قبل وصول سيدهم بساعات .

عاش هؤلاء الاساتذة ساعات مرعبة !

وتذكروا انه أسوا يوم في تاريخ حياتهم العلمية !

لقد انهارت القيم والمثل العلمية في « عصر صدام » !

عناصر الحماية احتلت الحرم الجامعي كله ، ومنع الطلبة من الخروج ، وعاش الموجودون في كلية القانون على أعصابهم طيلة الساعات التي أمضاها بينهم من أجل نيل « الدكتوراه » ، ذلك اللقب الذي لايحصل عليه الانسان إلا بعد مشقة سنوات طويلة من الجد والاجتهاد ، والدكتوراه لاتمنح للطالب إلا بعد نيل الماجستير ...

« والماجستير » لاتمنح الا بعد اجتياز الليسانس ...

و « الليسانس » لاتكون مقبولة الا بعد الحصول على الثانوية العامة ...

فماذا يملك صدام من هذه الشهادات ؟ !

ولد صدام حسين مجيد عبد الغفور في قرية « العوجة » عام ١٩٣٧ تقريبا ، ودخل الابتدائية والمتوسطة في تكريت ، ثم انتقل الى بغداد ليواصل الدراسة في ثانوية الكرخ للبنين ...

كان في الرابع الاعدادي عندما جرت محاولة اغتيال اللواء عبد الكريم قاسم ، وبعد فشل المحاولة هرب الى مصر ...

في القاهرة حاول إتمام الدراسة غير أنه لم ينجح ...

كرر المحاولة فلم تكن النتيجة أفضل .

أخيراً استعان ببعض الجهات الامنية المصرية لمساعدته بصفته لاجئاً سياسياً .

وخلال وجوده في القاهرة سجل في السنة الاولى - كلية الحقوق .

وفي ربيع ١٩٦٣ عاد الى بغداد حيث قدم طلباً الي جامعتها لتسجيله ، غير ان كلية الحقوق رفضت الطلب - لعدم توفر الشروط .

بعد ١٩٦٧ استطاع أن يحصل على « قبول » في كلية أهلية للقانون كان يتولى شؤون التسجيل فيها « ط » .

اجتاز السنة الاولى بعد سنتين ، وفور تسلم « حزبه » السلطة

« تيسرت » الامور !

راح « ط » يحثّ الاساتذة على منح « السيد النائب » الدرجات الكاملة دون أن يحضر المحاضرات ، بل دون أن يؤدي الامتحان !

اعترض عميد الكلية . وفي اليوم التالي شوهدت جثته في « قناة الجيش » !

الاجهزة الامنية والحزبية أشاعت يومها أن العميد قتل بسبب علاقاته باحدى الطالبات !

غير ان عدداً من الاساتذة ، أصروا على حضور « الطالب صدام » لتأدية الامتحانات ، في نهاية السنة ....

وبعد تردد قليل ، وافق على ذلك ...

تولى « ط » توفير أسئلة الامتحانات والدفاتر الخاصة بها ...مع الاجابة على الاسئلة !

قام « ط » بتهديد بعض الاساتذة المعارضين وذكرهم بمصير

« العميد » ! أما الحزبيون ،فقد وعدهم بمناصب إدارية ودبلوماسية رفيعة ! فوجىء أساتذة الكلية بمجموعة من عناصر الامن بقيادة

« برزان » تقتحم الكلية يتوسطهم صدام ...

وتكرر المنظر طيلة ايام .

نال صدام شهادة « الليسانس » في القانون من جامعة بغداد بأعلى معدل !

واصر على نشر اسمه ضمن قوائم « الطلبة الناجحين » .

وعندما نفذت دائرة التسجيل طلبه انتشر الخبر -النكتة في أرجاء الجامعة !

وفوجىء المسجل العام بعلامة استفهام كبيرة وتعجب ازاء اسم صدام !

وأخيراً كوفىء « ط » بتعيينه سفيراً في أحد أقطار الخليج العربي...

والمعروف عنه ... انه لايصلح إلا أن يكون جلوزاً !

وذات يوم خطر في ذهن صدام أن يسحب ملفه من الكلية ...

وفوجىء بأن الملف سرق ، ولا وجود له فيها !

بعد ذلك بفترة نشرت احدى صحف المعارضة تفاصيل الشهادات المزورة التي إغتصبها صدام ...

استدعى صدام سفيره « ط » وطالبة بالملف غير ان هذا ارتبك ، واعترف له بأنه أحرقه !

جن جنون صدام وسأله :

- لماذا أحرقته ؟

- لانه غير قانوني وفيه أشياء كثيرة تدينني شخصياً ؟

- رغم هذا فأنني أريد ه ..

في اليوم التالي جلب له صورة عن الملف الاصلي ...

راح (صدام) يتفحص الملف جيداً وقرأ فيه :

- الشهادة الثانوية لاوجود لها ... يعتمد على شهادة « السيد ط » !

وفي مكان آخر قرأ بخط مختلف :

- هذه الشهادة « فخرية » يفخر بها الطالب لانه حصل عليها بواسطة « الكلاشينكوف » !

قصـــائــــد

- مبروك ، انت مطلق السراح .

شهق (ع) ... وتساءل : هل هذا صحيح ؟

- نعم ، خذ أشياءك ، واحضر الكفيل ، وامضى .

اسابيع مرت عليه ،وهو في هذا القبو المعتم ، لايميز بين الليل والنهار ... عانى من التعذيب والقهر والالم وسمع حكايات ، ورأى مالم يره احد .

بدأت ماساته ، عشية ليلة شتوية ممطرة ، عندما دهمه (زوار الفجر) في الغرفة البسيطة التي استأجرها بخمسين دينارا ، بعد جهود مضنية، وهذا يعني انه يدفع نصف مرتبه للايجار .

في الطريق حاول ان يعرف سبب التهمة ،ولكنه لم يحصل على جواب، وضع منديل على عينيه ليجد نفسه في وكر من اوكار التعذيب التي كان يسمع بها وهو من ملحقات (قصر النهاية) .

فور وصوله ، فتش جيداً وصودرت منه مخطوطات وقصيدتين جديدتين وبعض الاشياء الصغيرة ، وبينما كان ينتظر ، تقدم اليه شاب مفتول العضلات ، اسمر ، حدق فيه قليلاً ، وجره بعنف ...

ابو سمرة ، هو لقب جلاده ، باشر عمله بلا ابطاء ، واشبعه ضرباً ولكماً ، ولم يتركه الا بعد ان سالت منه الدماء . ولم تنفع توسلاته ، كان الجلاد يقوم بتعذيب وكأنه يتسلى بدمية ، لا بانسان .

ودون ان يسمح له بالراحة ، او يضمد جراحه ، وسأله المحقق .

- انت فلان ؟

- نعم

- من اهل الموصل ؟

- صحيح ياسيدي

- تكتب الشعر ؟

- نعم منذ حوالي ثلاثين عاما .

- (ضحك) .

- أنا لم اسمع بك قبل الان ؟

- السبب بسيط ياسيدي . فوزارة الثقافة والاعلام ترفض دعوتي الى (مهرجان المربد) أو غيره ...

- (لاتعليق) .

- ماهي أخر قصيدة كتبتها ولأية مناسبة ؟

- (لا جواب) .

- فكر قليلاً ... بينما حضر جلاده ، مره اخرى ، ليواصل تعذيبه .

- صرخ باعياء .

- لا اذكر .. لم اكتب منذ مدة ... آه .. ربما كتبت ابياتاً نسيتها .

- هنا فتح المحقق درج مكتبه ، ليطلعه على ورقة ، سائلاً :

- هذا خطك ؟

نظر الشاعر في الورقة قليلاً وأقر بانها كتبت بخطه !

(ع) شاعر عتيق ، بعيد عن الاضواء ، ولاسباب معروفة ، فلا يمكن ان يعترف بشاعر الا إذا مدح (بطل القادسية) وأشاد بمآثره ، واثناء انعقاد أحد المهرجانات الشعرية التهريجية ، دعاه صديق الى بيته وخلال السهرة شاهد وسمع ما ازعجه من وصف صدام و(فتوحاته) الوهمية ، فما كان منه الا ان كتب قصيدة يهجو فيها (شعراء السلطان).

- نبهه المحقق بعد ان لاحظ شروده الذهني ، وطلب منه الاقرار بكتابة القصيدة - التهمة - فكتب ماطلب منه

واودع في القبو بانتظار قرار (الباب العالي)

– انتشر خبر اعتقال الشاعر في الاوساط الادبية والثقافية ، وحاول بعضهم التوسط لاطلاق سراحه .

الا ان كل الجهود ذهبت مع الريح .

استدعي مرة في نحو الثالثة فجراً ليقال له

– حدد أسماء الشعراء المهجوين !

وفجر يوم آخر ، وبينما كان يغفو ويحلم بقصيدة ، طلب الى التحقيق مرة أخرى ، استعاذ بالله ، ومثل بين يدي جلاديه .

يا (ع) قضيتك خطيرة .

– كيف ياسيدي ، وانا لم أعمل شيئاً ؟

– اسمع ، سأساعدك ، ويمكن إطلاق سراحك بشرطين

– ماهما ؟

جذب المحقق نفسا من سجارته ، وقال :

الشرط الاول ان تنسى القصيدة الهجائية نهائياً .

الشرط الثاني ان تكتب أكبر مجموعة من القصائد في تمجيد (القادسية) .

حاول الشاعر ان يناقش ، ولكنه افهم انه قرار (عال) غير قابل للمناقشة .

بعد أيام استفسر منه :

– هل نسيت قصيدتك ؟

– ياسيدي ، نسيت حتى اسمي !

– والقصائد ؟

– كتبت خمس قصائد ، كل واحدة بمئة بيت .

– هات القصائد ..

اخرج القصائد من معطفه القديم وسلمها .

- انا لاأفهم الشعر ... ستحال الى المختص ، ولكن هذه القصائد لا تكفي !

- لكن هذه طاقتي والورق والاقلام التي سلمتها لي انتهت ...

- القرطاسية ، ليست مشكلة ،ولكن تهمتك خطيرة ، وأنت موهوب ... وهذه القصائد ستنشرها لك وزارة الثقافة والاعلام وستمنحك مكافأة مجزية مقابلها ... افهمت ؟

فهمت ، ولكن كتابة الشعر تتطلب جواً معيناً ؟

- اذا في هذه الحالة ، سنرسلك للجبهة (لتعايش) بنفسك .

- لاياسيدي ، أعطني شيئاً من الورق . وكمية من الاقلام فقط .

- حسناً .

- اخيراً أطلق سراحه بعد أن كتب خمسمائة قصيدة نشرت منها وزارة (اللطيف) ستا وعشرين قصيدة في ديوان ، وبعدما توقفت الحرب ، ذهب يستفسر عن القصائد التي لم تنشر ، فهمس في اذنه أحد الظرفاء .

- انتظر (القادسيات) القادمات !

راجحـــة

- سـاد الحـزن والـوجـوم غـرفـة المذيعين في بغـداد ، وراح المذيعـون يتبادلون التعازي بأقصى درجة من السرية والحذر .

لغة العيون : أروع اللغات ، هي السائدة في مثل هذه الحالة .

فالرعب يزرع العراق من أقصاه الى أقصاه

و(محرقة القادسية) لم تدخر عائلة إلاّ روعتها بحبيب أو قريب !

دخلت (و) وهي تحمل شيئاً من الحلوى . كانت في أقصى درجات الفرح ، فقد احتفلت أمس بإطفاء ابنها الوحيد (زياد) عامه الاول ... غير انها جوبهت بالوجوم ، وشعرت ان ثمة شيئاً غير عادي جرى في

(المؤسسة).

أعتذر الجميع عن مشاركتها فرحتها ، وهمس في أذنها أحدهم :

- راجحة ...

صرخت (و) ... ماذا ؟ ! لم يطلق سراحها ؟

ردّ الاول :

بل أعدمت أمس ، وسلمت جثتها الى أهلها مع طلب عشرة دنانير ثمناً للرصاص الذي أطلق عليها ، مع التأكيد على دفنها بعد منتصف الليل ومنع اقامة الفاتحة على روحها البريئة و .. و..

تساقطت الدموع من عيون (و) وأسرعت لترمي علبة الحلوى في سلة المهملات .

- راجحة مذيعة ناجحة ، مرحة ، عصامية ، متزوجة ولها طفلة .

عندما تخرجت بتفوق من الجامعة ، سعت لايجاد عمل ، غير انها جوبهت بضرورة الانتماء الى(الحزب الحاكم) قيل لها : إنه الطريق الوحيد للعمل .

ترددت ، واستشارت بعض من تثق به ، ثم وافقت لان أسرتها بحاجة الى مساعدتها .

وعندما أعلنت المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون عن حاجتها الى مذيعين ومذيعات ، تقدمت لتجرب حظها ، ونجحت في الاختبار من بين ٢٠٠ شاب وشابة ، وفور مباشرتها العمل أثبتت قدرتها الفائقة على تقديم البرامج ونشرات الاخبار .

بعد شهور ، تقدم اليها شاب من أسرة معروفة ، كانت قد قدمته في

(البرنامج الثقافي) الذي تعده .

رزقت (راجحة) طفلة ملأت حياتها سروراً ، فراحت تضاعف جهودها في سبيل أسعادها .

وذات يوم عادت لتفاجأ بأن زوجها دعي الى (الجيش الشعبي) ، ولم يمض شهر حتى نقل الى جبهة الحرب .

ظلت المسكينة تعيش القلق وتكرس وقتها لابنتها .

رغم هذا لم يفارقها المرح لحظة ، كانت توزع الابتسامات والنكت في كل مكان .

– دخل (سالم) (الفرّاش) في المؤسسة الى غرفة المذيعين ، فلاحظ أن الحزن مرتسم على وجوه الجميع .

سلّم فلم يرد عليه أحد .

تطلعت اليه (س) قائلة :

– البقية في حياتك ياعم .

صرخ الرجل الطيب :

– ماذا يا ابنتي ؟

سحبته الى خارج الغرفة ، لتهمس له ان (راجحة) أعدمت رمياً بالرصاص

– رفع ايديه الى السماء ، وتساءل :

هل يمكن هذا يالإلهي ؟

أيمكن أن يعدم إنسان لمجرد نكتة ؟

– في ساعة متأخرة من ليلة شتوية طويلة ، وبينما كانت (راجحة) عائدة من عملها ، فوجئت بأن وحيدتها (ريم) تشكو ألماً في معدتها وبينما كانت تفتش لها عن دواء مناسب من صندوق الادوية الموضوع في المطبخ . فوجئت بقرع شديد على الباب .

– من ؟

ردّ أحدهم بخشونة :

– نحن من المؤسسة ... المدير يطلبك لشأن عاجل .

– لكني عدت تواً من المؤسسة ؟ وأنا وحدي في البيت ، ومشغولة بابنتي المريضة ، دعها الى الصباح ياسيّدي لن أفتح ... اتركني في مشكلتي لطفاً .

– زاد القرع ، وسمعت همهمة أصوات عديدة .

قال أحدهم :

– إن لم تفتحي الباب ، فلدينا أوامر بكسره .

– أحست المسكينة بالشر ، وعندما فتحت الباب فوجئت بثلاثة رجال يدخلون مسلحين .

– ودون استئذان فتشوا الشقة وطلبوا منها مرافقتهم .

توسلت بهم أن يسمحوا لها بإيداع ابنتها عند الجيران ، وافقوا بعد تردد ، وطلبوا منها أن « تخترع » عذراً مناسباً دون الاشارة.

بعد نحو ساعة كانت (راجحة) أمام ضابط في مقر المخابرات ، وهو يجري معها تحقيقاً مرهقاً ، وفجأة أظهر (جهاز تسجيل) ليسمعها شيئا:

– هل هذا صوتك ؟

شحب وجه البائسة ، بعد أن تأكد لها انها وقعت ضحية (مصيدة) نصبها لها أحد (أو إحدى) من يعمل مع هذا الجهاز .

أجابت بصوت خفيض :

- نعم ... ولكن ياسيدي هذه نكته ، وأنا لاأقصد شيئاً و ...

سجل الضابط أقوالها ، ووقعت عليها .

أدخلت في زنزانة صغيرة في أحد المباني الملحقة بمعتقل (قصر النهاية) .

هناك اكتشفت العشرات من النساء مكدسات في جو منتن ، يعانين الامراض ، ويتعرضن لتعذيب مرير ، كانت تسمع بعض الاشياء عما يجري ولكن المشاهدة شيء آخر .

وهنا استمعت الى حكايات خرافية تصلح مادة لمسرحية من نمط مسرحيات (اونسكو) وخلال أيام استدعيت عدة مرات .

وفي فجر أحد الايام جاءها من يبلغها بأن حكماً بالاعدام قد صدر بحقها .

وطلب منها تحديد (أمنيتها الاخيرة) ...

انهارت وأغمي عليها ، وعندما استفاقت طلبت رؤية ابنتها الصغيرة

في اليوم التالي تمّ تنفيذ الحكم (الثوري) .

أما (الجريمة) التي استحقت الاعدام بسببها ، فخلاصتها انها بينما كانت في اجتماع لمذيعي المؤسسة ، فتح أحدهم الاذاعة وإذا باغنية (وطنية) تردد،

- ريسنا غالي .

وبعفوية وبراءة قالت (راجحة) :

- خلّي يسعّروه ، مادام غالي !

المـؤلفات الكاملة أيضا

« التأليف » واحدة من عقد صدام حسين الكثيرة .

كانت المهمة الرسمية الاولى التي قام بها أثر استصداره مرسوماً يقضي بتعيينه نائباً لرئيس مايدعى بـ (مجلس قيادة الثورة) زيارة المانيا الشرقية التي كانت تلصق الديمقراطية باسمها .

تمّ ذلك في ١٩٧٠ وكان لاختياره هذا البلد أسبابه ودواعيه ، فلقد كان قطع شوطاً في تحويل (جهاز حنين) الى (المخابرات) ، وكانت المانيا الشرقية تمتلك خبرة واسعة في هذا المجال ، وكانت بؤرة للشبكات (الثورية) والارهابية .

وخلال زيارته لجامعة كارل ماركس لفتت نظره عدة أجنحة أشتملت على عدة رفوف ضمت مجموعات كامله للمفكرين والقادة البارزين أمثال ماركس ، لينين ، تيتو شاوشيسكو ، كيم إيل سونغ ، أنور الخوجة ...الخ.

لم يخف صدام اعجابه بالفكرة – خاصة وانه كان يخطط في وقتها للالتحاق بهؤلاء أو أشباههم وسجل في وريقة صغيرة ملاحظة تخص « التأليف » والذي لم يكن في ذهنه انه من مقومات القائد ،المفكر !

عندما عاد الى بغداد طلب من أحد المتخصصين بالمكتبات تنظيم الكتب القليلة التي يملكها ، واتصل بطارق عزيز طالباً منه طبع خطبه في كراسات بعد نشرها في الجريدة ثم جمع هذه الخطب في كتاب .

وزار (ستديو بابل) في شارع الرشيد ليلتقط صورة جديدة تمثله بعد زيارته الرسمية وهو مرتدٍ واحدة من بدلاته الست التي اقتناها من (الدولة الصديقة).

ولما كان قد شرع في دخول (نادي التاليف) فلا بد من إزاحة المؤلفين الاخرين هكذا لم يمر سوى وقت بسيط حتى أوعز بحل :

- جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين .

كانت هذه الجمعية قد تاسست أواسط ١٩٦٠، وضمت صفوة المؤلفين والادباء العراقيين ولعبت دوراً في تطور الحركة الادبية والثقافية من خلال ندواتها ومحاضراتها ومطبوعاتها ، ومن خلال مجلتها الشهرية : الكتاب .

كانت تهمة تصفية حل هذه الجمعية المستقلة إنها : وكر رجعي !

ومرة أخرى اتصل بطارق عزيز طالباً منه إنشاء اتحاد (ثوري) يناسب (المرحلة)تسعى لانشاء :

- إتحاد الادباء والكتاب

ضم كل المرتبطين بـ (الحزب الاوحد) ، وحقق هذا الاتحاد الرسمي فشلاً ذريعاً بعد أن عجز عن احتواء الادباء والكتاب الحقيقيين الذين أثروا المنافي على خدمة النظام !

رصدت للاتحاد الجديد ميزانية سخية فرشت تحت أركانه غير أن الرغبة في تحويل كل شاعر الى (مهرج) وكل كاتب الى (مداح وشرطي) وكل الاعضاء الى كتبة يؤلهون - صداماً ومغامراته ، كل هذه العوامل وغيرها أدت الى إخفاق الاتحاد الجديد .

وتمخض « الاتحاد » فولد « مربداً » !

وكما « ولدت « قادسية صدام » جاء « مربده » .

كان المربد من مواسم حرق البخور لصدام وحروبه .

وأصبحت كتابة الشعر تحدد من قبل : مدير التوجيه العسكري في وزارة دفاع النظام وأصبحت الرواية محددة بميادين (قادسية البؤس).

ولم يكتف صدام باهدار الوف الاطنان من الورق - الباهظ الاثمان - والملايين من العملات الصعبة التي انفقت على طبع التفاهات التي قيئت - من القيىء - على ماقيل في ميلاده وفي مغامراته من شعر ورواية ، بل أصرّ على أن يدخل في عداد المؤلفين فأوعز بتشكيل لجنة لطبع مؤلفاته الكاملة !

واجتمعت اللجنة ووضعت بين أيديها جميع خطبه وتصريحاته وأقواله وحكمه غير انها صدمت واضطربت وطلبت تشكيل لجان أخرى!

السبب تناقض الخطب والتصريحات والاقوال !

هنا يشتم سورية وهناك يمتدحها ! هنا يغازل الغرب وفي موضع آخر يشتمه في تصريح رسمي يمدح الفلسطينين وفي كلمة داخل حزبه يشتمهم ويندد بانتهازية قادة منظمتهم !

أما الاقوال المأثورة فانها تضحك الثكلى - وما أكثر الثكالى بفضل « قعقاع » القرن العشرين ، وفي الوقت الذي شرعت فيه لجنة « المؤلفات الكاملة » أعمالها ... خصصت ميزانية ضخمة لاعداد دراسات ومؤلفات عنه !

تم اختيار عبد الامير معلة لكتابة رواية عن محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم أواخر ١٩٥٩ .

كان لصدام دور ثانوي في تلك المحاولة (بالتحديد كان عنصر حماية للمنفذين ، وهذا ما أكده فؤاد الركابي وأياد سعيد ثابت في وقت لاحق).

وامضى معلة شهوراً في إحدى دور الاستراحة قرب بغداد ثم أوفد الى اوربا لكتابة (الايام الطويلة) التي زعم فيها ان صداماً كان له الدور الاساسي في محاولة الاغتيال كتبت الرواية في جزء واحد غير إن

(بطل القادسية) طلب (تمطيطها) الى عدة أجزاء ، فتم له ما أراد !

وانطلقت المؤلفات في تمجيد صدام :

بدأها أمير إسكندر - المصري « واحدثها : قاسم أحمد - وهو ماليزي !

وتتابعت الدراسات - المدفوعة حتى وصلت الى شارل سان برو

واصر هؤلاءعلى أن - ابن العوجة :

- قائد مفكر !

ولم يخجل برو وهو صحفي فرنسي مغمور، من اعتبار صدام : ديغول العرب بينما وصفه الآخرون بـ : ناصر الجديد !

هذا دون الاشارة الى أن عبد الناصر استقال بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، أما صدام فلقد احتفل بعيد ميلاده! ولما كان شهر العسل بين بغداد

وباريس في أوجه فقد، أراد (القائد الضرورة) إفهام الفرنسيين أن عليهم أن يعرفوا انه يوجد في العالم الثالث من يزاحم روسو وفولتير، فاوعز بترجمة كتاب اسكندر الى الفرنسية ، على أن تنشره أكبر دار نشر .

في زيارته الاولى لفرنسا (صيف ١٩٧٢) سأل مرافقه الشخصي

- ماأسم أهم دار نشر فرنسية ؟

- « هاشيت » ياسيدي ، إنها دار عريقة و..و..

لكن هذه الدار رفضت نشر الكتاب لضحالته وعدم موضوعيته وعندما استشار صدام عن الطريقة التي يتمكن فيها من نشر الكتاب الذي يدخله في عداد المشاهير قيل له إنه لابد أن يصبح هو أو من يمثله عضواً في مجلس إدارتها وذلك بشراء مالايقل عن ١٢ في المائة من أسهمها ! تم ذلك فنشر الكتاب في مجلد أنيق أخضر ، وزع مجاناً طبعاً.

وبقيت لجنة (المؤلفات الكاملة) تعمل حتى أصدرت في ١٩٩٠ الاعمال المختارة في ثمانية عشر مجلداً أنيقاً ، رصفت في حقيبة جلدية ،لتوزع هدية .

وباشر لطيف نصيف جاسم وزير ثقافة النظام إعداد مجموعات منها لتوزيعها الى ضيوف بغداد المهمين ، غير أن عناصر المخابرات كشفت أن الوفود تفضل الاكتفاء بالحقائب الجلدية الانيقة . أما المؤلفات الكاملة فاستقرت في سلات مهملات الفنادق الكبرى ببغداد .

الاستحقـــاق العـــالمـــي

« مـــــابـين قادســـية وقادســــيـة
أرى دكتاتـــــورا ً ، يـــكفّر عن ذنوبـــه
اعرابا ً يتبضعون جواري من سوق ،
وممـــالـــــك يفتـــرســـها الـرعـــب
مـــــابـــين حــــــرب وحـــــــرب
يـــكبـــــر مـــــنفانــا ويـصغر الوطن »

فاضل العزاوي

من قصيدة «كل صباح تنهض الحرب من نومها»

– هل يفكر الدكتاتور أن يكفّر عن ذنوبه ؟

– أبداً فهو لايشعر بإثم داخلي ، وبالتالي فهو يعتقد أنه لن يرتكب ذنباً ولهذافإن (عيونه الجريئة) التي تنافس عيون – زرقاء اليمامة – ترى :

– مابين قادسية وقادسية « أم معارك » .

ويبدو أن هذه « الأم » مصابة بالارق فهي ترفض الراحة ، وترفض تحديد عدد « المعارك » ولاتؤمن بالعقم …

لكل هذه الدوافع أعلن صدام

– أن « أم المعارك » مستمرة

قبل أسابيع سأل صدام أحد التلامذه الصغار :

- ماذا تفعل إذا فشلت في امتحان نهاية السنة ؟

أجاب التلميذ بـ (براءة غير متقنة) :

- أعيد السنة ، مرة أخرى !

وبان السرور على وجه (القائد العملاق) ، ونفخ « أوداجه » متخيّلاً أنه « رومل العصر وأجاب بحزم وإصرار :

- نعم فـ (أم المعارك) مستمرة (رغم انها قبرت داخل خيمة صفوان في آذار ١٩٩١).

وأضاف .

- ستنهض « أمنا » مرة أخرى وسيتحول السيد yes الى السيد No!

وراحت بيادق الشطرنج تصرخ :

- لا ... لا بالروح والدم نفديك !

وتعددت « اللاءات » حتى بلغت ستة وربما أكثر ...

وتحولت (وزارة الزراعة والري) الى قضية . أصبحت هذه الوزارة التي نسيها العراقيون بسبب فشلها الذريع في توفير أقل من الحدّ الادنى من الخضر والفواكه والحبوب لهم.

وزارة الزراعة ارتبط اسمها بـ (صدام غيت) ... ولقد تحولت الى مادة لاجهزة الاعلام التي أعادت الى الاذهان فضيحة (المليار دولار) التي دفعتها الولايات المتحدة الى النظام لسدّ حاجاته من النظام الى المنتجات الزراعية ، فتحولت الى شراء أسلحة جهنمية ، غير تقليدية بعد اقتطاع العمولات المناسبة للاسرة الحاكمة طبعاً .

وعادت السي . أن . أن تنقل من بغداد اجتماعات صدام ، بمساعديه ، وهم بملابسهم العسكرية النابليونية .

العجيب أن اللقطات المنقولة أوضحت للمشاهد ... من خلال شحوب وجوه القادة عدم قناعتهم لابالمعارك ولا بـ : أمها المصابة بالكآبة !

خاض صدام الجولة الاولى من (أم المعارك) في فجر آب ١٩٩٠ بحماسة شاركه فيها عدد من المحيطين به .

أما جولة (أم الوزارات) - نسبة الى وزارة الزراعة ، فلقد تحمس لها وحده ...!

والمعلومات المتسربة من بغداد تؤكد أن موجات الحقد ضد (أم المعارك) الشمطاء شملت أسرة « العراب » نفسه .

صدام يتلاشى ويتآكل ، وبدل التكفير عن ذنوب كل الجرائم التي ارتكبها بحق العراقيين والايرانيين والكويتيين وغيرهم راح :

يوزع (النياشين) و(الانواط) التي لم تقتصر على المصفقين والمهللين له بل شملت :

- الكراسي الخشبية الفارغة ، والتوابيت التي لم يدفن مَنْ فيها بعد شعاره الاستراتيجي :

- أنا أوزع (النياشين) و (الانواط) إذاً أنا موجود !

ومن يستطيع من العراقيين أن يرفض أمراً له ؟

- هل رأيتم حفلات (أبي المكارم) التي يوزع فيها (نياشين) الفخر والغار ؟

شخصياً حُرمت ليلة كاملة من النوم - ومعذرة من السيد مكاوي - بفضل مشاهدتي واحدة من هذه الحفلات !

اصطف المكرمون - وهم مجموعة من حملة الاقلام الصدئة المزودة بمباخر ممن يحسنون الحديث عن بطولات وهمية سرابية ، ويشرع - القائد المنصور - بوضع النياشين عليهم ، ويبدأ المكرّم بالارتجاف وفي تلك اللحظات يتذكر كيف وصل الى هذا المكان المرعب ، وعدد المرات التي فُتش فيها ، و.. و...

وهكذا ... وبينما تقرب اللحظة الحاسمة ، وفي حين يتوجه اليه - القائد الهصور يلاحظ أن أحدهم وهو مسؤول أمني طبعاً - يتطلع اليه وبالتحديد الى رقبته فيزداد هلعه ، ويتمنى لحظتئذ أن يذوب قبل انتهاء حفلة التكريم التعذيبية .

تقليد الاوسمة أصبح تجارة رابحة لمجموعة من المحيطين بجيمس بوند العصر ، فيرافق توزيعها حفنات من الدنانير المزورة والسيارات المهربة والشقق المبنية على عجل وقد تصل الى حد توزيع مزارع خالية من الزرع والضرع .

قانون الاوسمة الحالي ، يحمل الرقم ٩٥ صدر في ١٩٨٢ ، والطريف أن هذا العام حمل أكبر الهزائم في تاريخ (قادسية العار).
والاوسمة درجات وفئات ، فـ« محمد يونس الاحمد » عضو قيادة الحزب الاوحد نال نوطين بسبب (شجاعته) في إبادة مواطني محافظة المثنى (السماوة سابقاً)..

أما لطيف نصيف جاسم وزير ثقافة النظام الشهير ومدير عام صور وجداريات صدام فقد نال نوطين أطلق عليها اسم :

-ا لاستحقاق العالي .

ولم يعرف لحد الان أسباب هذا التكريم ! وبماذا استحق ؟ وإعلام (أم المعارك) كان من العوامل التي أدت الى (إجهاضها) حتى قبل بدء الحرب البرية !

أحد الظرفاء علل تكريمه بالنكته التي اشتهرت عالمياً بفضل محطة سي . أن . أن الامريكية وهي انه صرح بأنه لايتعهد بإعادة جثث طياري الحلفاء من الذين سيسقطون على الاراضي العراقية ، لان الشعب العراقي سيلتهمهم .

يومها غضب العراقيون لهذه الاهانه الحمقاء التي حولتهم الى أكلة لحوم البشر !

وبعد أيام صحح طرفته السمجة عندما تواضع قائلاً.

إن جثث الطيارين الغزاة ستسلم الى الكلاب ! ..ولم يتحقق شيء من تلك الاحلام المريضة .

وقيل إن سبب منحه (نوطي الاستحقاق العالي) يعود الى نجاحه في إعادة بناء جداريتين مرتفعتين لصدام كانتا هدفين للعراقيين خلال انتفاضتهم عقب هزيمة (أم المعارك) .

العبـــــور

يظل صدام يعيش في أوهام النصر ، وبطولات « طواحين الفيلة » .

وعبوره دجلة من أضيق منطقة يمرّ بها في العراق مصحوباً بعشرين من أفراد حرسه الشخصي - أضافة الى الالوف الذين احتلوا مدينة

(الدور) قبل - العبور العظيم - كل هذا يعكس التمزق النفسي الذي يعيشه .

صدام لايصدق أنّ عامين كاملين انقضيا على محاولة ابتلاع الكويت ، وهذا ذكره بالحادث الذي غيرّ حياته أواخر ١٩٥٩ عندما شارك في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم ، تلك المحاولة التي فتحت له آفاقاً لم يكن يحلم بها قروي مثله .

فواد الركابي وأياد سعيد ثابت - المسؤولان عن تلك المحاولة - اكدا في وقت لاحق - أن صداماً كان عنصراً ثانوياً هامشياً أو عنصر حماية فيها ، ولقد ردًّ على هذه الحقيقة على طريقته !

اوعز بكتابة رواية - ترجمت الى عدة لغات - ثم تحولت الى فلم عنوانه « الايام الطويلة » وهو من أفشل الافلام العراقية ، غير انه أصر على عرضه في أنحاء العالم ! وتم عرضه فعلاً ولكن في صالات سفارات النظام ومراكزه !

كان صدام يحلم أن يفوز الفلم الذي يروي بطولاته الوهمية بإحدى جوائز مهرجان (كان) السينمائي !

ورصدت « ميزانية مفتوحة »له غير انها لم تؤد الى نتيجة ! فلم يشاهده سوى عدد محدود من الفرنسيين !

الركابي - البطل الحقيقي لعملية « رأس القرية » أنهاه صدام على طريقته : بضربة سكين داخل السجن .

بطل الفلم الفاشل يدعى صدام كامل من تكريت ، « وتثميناً » لدوره قرر صدام حسين (مصاهرته) ، ثم عهد اليه تولي حمايته الامنية الشخصية .

وصدام - الصهر - هو أول سينمائي يتولى منصباً أمنياً !

وبالاضافة الى هذا ، نال موخراً لقباً جديداً ، هو :

- القاتل !

فبينما كان صدام يناقش مجموعة من أفراد أسرته الذين جاءوا لاقناعه بالاستقاله بشكل يحفظ « ماء وجههم » ويبقي لهم النظام - كما هو - بشرط واحد هو :

- أن يتولى شخص آخر من الاسرة نفسها مقاليد الامور !

صدام رفض الفكرة طبعاً ، وأثناء النقاش تسلل الغضب الى خالد عبد الله التكريتي - وهو مسؤول أمني ومرافق شخصي سابق لصدام - فتململ محاولاً إنهاء النقاش باغتيال صدام - فما كان من صدام كامل إلا أن يعاجله برشة « ثورية » من رشاشته الجاهزة !

تمّ كل هذا في هدوء لايليق إلاّ في نظام (المافيا) !

لم يسمع أحد صوت سيارة أسعاف ، ولا صفير رجال النجدة .

الجرائم التي ترتكب داخل القصور - من قصر النهاية الى القصر الجمهوري هي « بريئة » وشؤون داخلية « وبروفات » لافلام جديدة - لا صلة لأهل القانون ولا التشريع بها !

(صدام كامل) نائب الضابط والممثل السابق والصهر والقاتل نال ترقية « رتبة رائد » فور تصفيته « التكريتي المشاكس » !

ومرة أخرى تنفس « العراب » لانه لايزال يعيش في الوقت الضائع !

والوقت الضائع « تعبير يعرفه الرياضيون .

كان « القائد الغضنفر » قد صرح في السبعينات انه يعيش منذ نجاته في محاولة اغتيال قاسم (أي منذ أواخر ١٩٥٩) في : الوقت الضائع ، لانه كان يمكن أن ينتهي في تلك العملية .

والذين يعرفون – بطل رأس القرية – نسبة الى المكان الذي تمت فيه المحاولة يفهمون عشقه اللامحدود للدم .

حدثني مسؤول سابق كان يشغل منصباً مهماً في الدائرة القانونية التابعة للرئاسة أن الصبيان الذين لم يبلغوا سنّ الرشد ، واتهموا بتأييد قوى المعارضة – تم تنفيذ أحكام الاعدام بهم .

يضيف : إنه كلما وردت أسماء أطفال – يسعى لمقابلة سيده ، بعد أن يكتب مطالعة تحريرية مناسبة ، يطالب فيها بتخفيف الاحكام بسبب صغر أعمار المتهمين . يواصل هذا القانوني ذكرياته قائلاً :

ذات مرة طالب المدعي العام العسكري إعدام ستين صبياً تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة ، ولقد تعمدت أرجاء إطلاع (صدام حسين) الى وقت مناسب ، فكان أن قدمت اليه ملف القضية عشية عودته من المملكه العربية السعودية – وأثر مشاهدتي لقطات في تلفزيون بغداد تؤكد تأديته مراسم العمرة في بيت اللّه .

الغريب أن النتيجة كانت سلبية !

بل أسوأ ، حيث أوعز بتنفيذ مجزرة الاعدام الجماعية في اليوم نفسه ودون السماح لعائلات الضحايا القاء النظرة الاخيرة على فلذات أكبادهم!

« عبور الشط » حاله نفسية – نفذّها فور تصفيته واحد من أقربائه الذين ربما كانوا يفكرون الحلول بدله !

والغريب أن العراقيين الذين أعجبوا بأغنية – عبرت الشط – الشعبية ، يتهامسون بأن الذي عبر النهر لم يكن « قائدهم المهزوم » الحقيقي بل آخر يشبهه لصدام ستة أشخاص يشبهونه بشكل ما !

أجريت لهؤلاء عمليات جراحية ، وأقيمت لهم دورات وعرضت عليهم أفلام كثيرة تجسده في أوضاع مختلفة .

ويقال إنه أجرى امتحانات ليعرف مدى نجاح – البدائل – فأرسل أحدهم بدله ليرأس اجتماعاً مشتركاً لل« القياديتن » ولم يكتشف «الخدعة» إلاّ أحد زملائه الذي قاسمه الغرفة المتواضعة التي كان يقيم فيها في القاهرة .

الهاجس الامني جعل صداماً يعمم تجربة - الدمى - على أفراد أسرته !

وقد بدأ بنجله - عدي - فأختير نحو عشرة شبان لهم شبه بـ :

ولي العهد !

وشباب العراق يلقبون الابن البكر لرئيسهم المخذول

- عدوية ...

هذا رغم انه لايملك مؤهلات المغني المعروف ، لكن تجمع الاثنين صفات يعرفها رواد الملاهي !

وقيل إن شبيهي عدي كانوا السبب في« تنازله » بقبول المناصب الادارية والثقافية التي تولاها ، فهو يفكر بإرسال هؤلاء إليها جميعاً عوضاً فيه !!

« عبور الشط » يذكرنا بحادثين مشهورين قام بهما الصيني ماوتسي تونغ ، والتونسي المخلوع بورقيبة !

الطريف أن العراقيين لا يكتفون بادعاء نفي قيام صدام بعبور الشط شخصياً ، بل يزعمون أنه « عبر » شطيّط وهو : مستنقع معروف على مرمى حجر من « قصره » .

الصـــورة والإطـــار

« الصورة » واحدة من العقد التي تسكن صدام حسين .

في العاشرة من عمره عرفها ، وقف أول مرة أمام آلة تصوير عتيقة في أحد شوارع تكريت ...

كانت المناسبة دخوله المتأخر الى المدرسة .

بعد هذا بنحو ثلاثين سنة أراد أحدهم نشر تلك الصورة « التاريخية »، فطلب « القائد المنصور » إجراء « الرتوش » عليها .

أرسلت تلك الصورة الى جنيف بمرافقة (بعثة) ضمت ثلاثة أشخاص، وبعد أن تولى أحد مشاهير المصورين السويسريين إجراء « الرتوش » المطلوب عليها نالت استحسان « القائد الملهم » فتم وضعها في (متحف الحزب الاوحد) الى جانب سريره ومسدساته ورشاشاته التي زينت « المتحف الثوري » .

أثر قيام انقلاب ١٧ تموز / ١٩٦٨ فوجيء المصور البريطاني (دزموند) بثلاثة مسلحين يقتحمون محترفه في بغداد ، ويطلبون منه مرافقتهم مع آلة التصوير التي يملكها ، وبعد ساعة أدخل ليصور « صدام » .

كان من الطبيعي أن يفشل في التقاط صورة طبيعية .

المصور الذي نجح في تصوير – السيد النائب – يدعى : جان هو فانيس كريكور جوكاسريان وهو مصور عريق ، عتيق زاول المهنة منذ أكثر من نصف قرن ، عاصر معظم ساسة العراق .

مؤخراً قرأت كتاباً يشتمل على ذكريات هذا الفنان ومنها : في

ظهرية تشرينية من العام ١٩٦٨ تعرفت الى ... صدام مباشرة ... فقد زارني في (الاستديو) القديم الكائن في بداية شارع الرشيد ، كان شاباً أنيقاً ، جميل الطلعة ، وسيماً ،يرافقه شاب أصغر منه سناً ،أذكر انه فتح له باب الاستديو، ووقف خلفه ، كان ذلك الشاب هو أخوه (برزان). يومها كان صدام نائباً ... وتذكرت أين شاهدت الشاب الوسيم ...لقد شاهدته خلال قيامي بتصوير الرئيس البكر في القصر الجمهوري ، كان الشاب يتردد على المكتب من باب خاص ، ويهمس في أذن البكر بعبارات لم أسمعها ... إنه صدام حسين إذن ..

– لم يذكر صاحب الذكريات نوع السلاح الذي كان يحمله « الاخوان »، ومن وصفه يتأكد أن « البكر » كان (سجيناً) لدى تلميذه العاق ، كان يمنعه من الاتصال بالاخرين الاّ من خلاله وكان « الهمس » تآمراً مكشوفاً... فبعد كل « همسة » تصدر التعليمات الى (قصر النهاية، بتنفيذ التصفية بحق مواطن ما أو مجموعة ما).

كان صدام « صورة » النظام وكان « البكر » إطارها » !

يذكر جان أنه أتيحت له فرصة حضور استقبال صدام مجموعة من الاطفال الذين كانوا ينشدون : عيد ميلاد سعيد ... ياصدام .

وكان بودنا أن يوضح أن هؤلاء الاطفال الابرياء سيقوا معصوبي الاعين وأدخلوا في أحواض كيمياوية أعدها – الصهر المدلل – خوفاً من أن يكون أحدهم قد شارك في « مؤامرة ضد « المحتفى بميلاده السعيد » !

يضيف صاحب « ستديو بابل » قائلاً ،

في اللقاء الاخير مع صدام ، لمناسبة ميلاده أخرج كيساً من القماش كانت بداخله مجموعة من القطع الذهبية النقدية ...لقد أهداني أولاً خمس قطع ثم للسيدة عقيلته وأبنائه وحفيديه وخالته وصهره ، ثم لسكرتيرتي « جانيت » ولمساعدي « هاروت » ...

– هكذا يوزع – بابا صدام – القطع الذهبية في يوم ميلاده المجهول ! إنه يذكرنا بشهريار ألف ليلة وليلة ، ووفاة ١٥٠ ألف طفل عراقي مسألة لاتعنيه مادام قد أدخل الفرحة في قلوب طفلين هما من أحفاده ! ولكننا للاسف لانملك معلومات عن « الاكياس الذهبية » التي وزعت بهذه المناسبة » كم عددها ؟ وكم عيار الذهب وهل نهب من الكويت أم انتزع من العراق مقابل حفنة من الدنانير المزورة ؟ !

أكد جان أن صداماً هو أكثر الرؤساء حباً للصورة ...

ونرجسية صدام وعشقه لصورته لايعادله سوى غرامه بالكرسي .

في أواسط السبعينات بدأت صورة تجمع بين البكر وصدام توزع على نطاق واسع وعندما أزاح البكر في تموز ١٩٧٩ شرع بسحب الصورة المشتركة ، وبدأت صوره تغزو العراق من أقصاه الى أقصاه ، وأصبحت صورة (البكر) مشكلة قد تودي بصاحبها الى السجن ، أماصورة صدام فكانت (تزكي) حاملها وتدفع عنه شر الاجهزة الامنية ! وفي ١٩٨٢ اختفت صورة البكر نهائياً .

وفي الثمانينات تمّ طبع ملايين الصور لصدام تمثله في أوضاع شتى ، وبملابس مختلفة بينها العقال ، القبعة ، الملابس الكردية .. الخ ..

وفي إحدى المناسبات تباهى مسؤول في وزارة ثقافة النظام انه تمّ توزيع مليون صورة ملونه لصدام .

أما الجداريات فكان « القائد العبقري » أول من أدخلها ، وقد طلب من رئيس تحرير موسوعة « غينيس » للارقام القياسية إدخال جدارية صدام ذات الامتار العشرة اليها فرفض زاعماً أن هتلر سبق - مفجر القادسية - بجدارية أعلى سنة ١٩٣٨. زار صدام باريس وطلب زيارة متحف اللوفر لوحده لدواعٍ أمنية ، وتم تلبية الطلب في يوم ثلاثاء - وهو يوم عطلة المتحف الشهير .

وقد أعجب - السيد النائب - ببعض أعمال الفنان ديفيد ، وعندما قيل له انه - ديفيد كان موظفاً في البلاط ،متخصصاً في رسم الاسرة المالكة. قرر تقليده فور استيلائه على الكرسي الاول !

عيّن فائق حسن -كبير فناني العراق- موظفاً في (القصر الجمهوري) واضطر هذا الفنان الكبير « التفرغ » لتنفيذ شهوات العراب ، فيحرم العراقيين من إبداعات فنانهم الاول !

كانت الجداريات من الاهداف الاستراتيجية المبكرة التي وجهها الشعب العراقي خلال انتفاضة آذار ١٩٩١ ضد صدام ونظامه ! وكنوع من التحدي ، وبدل إنشاء وزارة لاعادة إعمار ماهدمته الحرب ،أوعز

« القائد المنتصر » تأسيس : مديرية صور القائد ، وتولى إدارة هذه

الدائرة الغريبة لطيف نصيف جاسلمر ، الحائز على وسام الرافدين والذي عين مديراً عاماً بدرجة وزير !

وينفرد العراق عن كل العالم بوجود هذه الدائرة المختصة بتصوير رأس العراق ! وتم رصد ١٥٠ مليون دولار لهذه الدائرة العجيبة وهذا المبلغ يساوي ويعادل ملياراً ونصف المليار من الدنانير !

في الجلسة الاخيرة لما يدعى بـ (المجلس الوطني) حدث لغط سببه العثور على اقتراحات في الصندوق الذي استحدث مؤخراً بينها الآتي :

- بعد إنشاء دائرة خاصة بصور - (حفظه الله) اقترح إنشاء :

١- دائرة خاصة للاطارات يتولاها سعدون حمادي . يكون تخصصها صنع إطارات مناسبة للصور .

٢- دائرة خاصة للمسامير يتولاها طه ياسين الجزراوي يكون همها تثبيت إطارات الصور بعد انتاجها طبعاً .

٣- دائرة خاصة بالخيوط يتولاها عزة إبراهيم الدوري مهمتها توفير خيوط إطارات الصور .

٤- دائرة خاصة للكراسي يتولاها طارق عزيز واجبها تسهيل مهمة الذين يتولون تثبيت الاطارات والصور .

وأكتفي بذكر هذه الدوائر التي لم يعرف مقترحها ، وعلى ذكر الكرسي:

حدثني رجل أعمال فرنسي أن صداماً طلب منه أثر توليه الرئاسة صور عروش وكراسي كل من لويس السادس عشر ونابليون وديغول .

ومنذ أيام اتصل بي ليذكرني :

لويس السادس عشر مات مشنوقاً ، نابليون مات مسموماً وديغول استقال لانه فقد شعبيته ثم مات غماً وهماً .

فكيف ستكون نهاية الدكتاتور صدام ؟

ولم أجبه على سؤاله .

الـــدَّورة

لماذا هجر معظم سكان بغداد مدينتهم الاثيرة ؟

السبب ضعفهم الشديد في علم الجغرافية !

وحرصاً منهم على معالجة هذه المشكلة الخطيرة فقد مرّ الكثيرون منهم بـ :

- دورة الضبط .

والدورة - بفتح الدال - تعبير عصري يطلق على مجموعة تجتاز محاضرات في علم ما وجمعها : دورات .

والدور - بضم الدال - اسم موضع .

قال ياقوت الحموي :

[ثمة] سبعة مواضع بأرض العراق من نواحي بغداد ، احدها دور تكريت ، وهو بين سامراء وتكريت ، والثاني بين سامراء وتكريت أيضاً يعرف بدور عربايي ... الخ ..

في أيامنا هذه لانعرف سوى مدينة واحدة تعرف بـ (الدور) . إدارياً كانت (ناحية) ثم رقيّت الى (قضاء) .

أشهر من انتسب اليها :

عزة إبراهيم نائب صدام .

وعندما تسلل صدام الى الكرسي الرئاسي الغى « الاشتراكية » و

« القطاع العام » ، وعندما وزع الاقطاعات الجديدة ، منح قسماً من أهل الدور : تجارة الخضروات والفواكه وكل الامور المتعلقة بالزراعة .

الدور يسمّيها العراقيون اليوم : دُور الفيل .

والمدينة لاتشتمل على حديقة حيوان ، وبالتالي فإنها لاتعرف الفيلة غير أن النسبة جاءت من نكتة « الفيل الطائر » التي ارتبطت بـ (السيد النائب) .

الضبط : ضبطه ضبطاً وضباطة ، حفظه بالحزم .

ورجل أضبط : يعمل بيديه جميعاً ، وهي ضبطاء .

وتضبّطه : أخذه على حبس وقهر .

و(دورة الضبط) هي العقوبة التي تنهش كل الضعفاء في الجغرافية .

خلاصة الحكاية أن منطقة واسعة في (كرادة مريم) · إحدى محلات بغداد الحيوية - أصبحت محرمة على كل العراقيين وكل المقيمين في العراق .

السبب انها تضم (القصر الجمهوري) المقر الرسمي لرئيس النظام .

ومسكين من يحاول الاقتراب من هذه المنطقة ، والذين عبروا خطأ (حدودها) وجدوا أنفسهم في (معتقل القصر) !

أي نعم ، فالقصر الجمهوري مزود بكل مالذ وطاب (لابن العوجة) ولذته لاتكتمل ولا تطيب إلاّ بـ (معتقل) يليق بالمقام يشرف عليه « أبو ذيب » .

وأبو ذيب ، نائب ضابط فاشل من خريجي (قصر النهاية) . . . (كرم) بايفاده الى فرنسا لاجتياز دورة عسكرية أهلّته لمعرفة آخر الابتكارات في فنون التعذيب .

(دورة الضبط) اختراع جديد تنفرد به (بغداد صدام) ، والناجون ممن مروا بها قلة ، والخريج لايمنح دبلوماً بل (شهادة الحياة) مع مجموعة عقوبات بينها عدم السماح له بالسفر ، لهذا لاتعرف عنها جمعيات حقوق الانسان والعفو أي شيء !

توقيت « الدورة » يبدأ فور وقوع المخالف في المصيدة !

يتولى أحد عناصر الحراسة المسلحين إيقافه ،ثم يضع منديلاً على عينيه ويأخذ منه مفاتيح سيارته بعد تفتيشها .

تكميم العيون لايتم إلاّ بعد أن يضرب « الضحية » بأخمص الرشاشة ضرباً يفقده رشده ... الضرب يتركز على الرأس ، ثم يدخل « المتهم» الى القصر من أحد أبوابه الخلفية ، وبالتحديد من الباب القريبة من

(الجسر المعلق) ، ثم يسلم الى آمر (معتقل القصر) الذي يباشر فوراً تعذيبه مع محاولة معرفة أسباب مخالفته ، وعندما يتأكد له انه

« برىء » يباشر « دورة الضبط » ...

وهي عقوبة تشكل - الحد الادنى - لمن يحاول الاقتراب من (قصر صدام) تبدأ (الحفلة) فوراً ، فإن كان يصلي يمنع من إداء الصلاة ، وإن كان يدخن حرم من التدخين ثم يباشر التعذيب بأشكال مختلفة بينها :

وضعه في حوض مثلج أو في حوض ساخن - حسب الجو - والى درجة لا تطاق استخدام الآلات الكهربائية وغيرها ...

من الوان التعذيب البدائية : الوقوف عشر ساعات مثلاً - يومياً - الجلوس اثنتي عشرة ساعة ... الحرمان من الذهاب الى المرافق الصحية. وقد توفي كثير من معتقلي القصر قبل إتمام الدورة المرعبة.

كان - ح - وهو مطرب معروف من بين ضحايا هذه الدورة .

وكانت تهمته : المرور أثناء اندلاع الاشارة الحمراء القريبة من القصر.

وعندما أطلق سراحه مكث في إحدى المستشفيات قرابة ثلاثة أشهر لازالة آثار التعذيب الجسدي والنفسي اللذين عاناهما طيلة وجوده .

يذكر هذا المواطن انه عندما أودع المعتقل وجد عدة مواطنين سبقوه مات أحدهم في يوم وصوله مما جعله يصاب بالذعر .

يروي الواناً لاحصر لها من التعذيب الذي تعرض له بنفسه أو تعرض له الاخرون .

من ذلك :

ان « متهماً » طلب منه أن يعّد السيارات المارة قرب المعتقل !

يبدأ المواطن عمله بجدية وهمة وكلما يذكر رقماً يرفس ويركل ويقال له :

- أنت تكذب ، فلدينا جهاز الكتروني ، يجب أن تكون نتائج حساباتك مطابقة له !

يعاود الحساب ، وكلما ذكر رقماً جديداً يضرب من جديد .

وذات يوم طلب (أبو ذيب) من أحدهم :

عّد السيارات ذات اللون الاسود التي يشاهدها .

ومن الطرائف المضحكة - المبكية أن أمر المعتقل طلب من أحد

(الابرياء) :

أن يعدّد النجوم التي يراها في السماء .

وبعد أن جرّب الشاب ، جلد بلا شفقة

وطلب من شاب آخر :

- أحصاء العصافير التي يراها طائرة ...

وكانت النتيجة أن فقد أحدى عينيه نتيجة التعذيب اللانساني .

أما الشخص الذي توفي في اليوم الذي اعتقل فيه المطرب المعروف فقد كان في أواسط العقد الرابع من عمره وكان من نزلاء الشماعية .

والشماعية مستشفى حكومي متخصص بالامراض العقلية ، يشبه مستشفى العصفورية اللبناني وهو يقع قرب بغداد .

في أوائل ١٩٩١ أغلق من قبل النظام بحجة عدم توفر الادوية ، وقد تفرق نزلاؤه مسببين مشكلات جمة للناس ، خاصة وإن الكثيرين منهم كانوا :

ضحايا قادسية العار والبؤس .

« م » واحد ممن كانوا في (الشماعية) ، حاول أن يتعرف الى أسرته فلم يوفق ، وكان كلما طرق باباً طالباً المساعدة جوبه بالرد التالي :

- اذهب الى صدام ...

ظل هذا الاسم يطرق مخه الضائع فطلب من يرشده اليه ، فقيل له اذهب الى : القصر الجمهوري .

فانتهى به الامر الى معتقل القصر ، ليتلقى « دورة الضبط » وخلالها وبعد تعذيب مرير طلب منه المسؤول كتابة عدة عبارات ربع مليون مرة...

أما العبارات فكان بينها :

أحب صدام حسين ... أنا غبي ... الخ ...

فكتب العبارات بشكل معاكس مما استوجب تعذيبه حتى الموت .

القــــراءة والكتـــابـــة

شغل علماء النفس أخيراً بدراسة وضع مريض نموذجي !

- هذا المريض نال شهرة كبيرة استحق بها أن يأخذ لقب أشهر مرضى العالم في سنتي ٩٠ - ١٩٩١ !

فقد حجبت أخباره أخبار غيره طيلة أكثر من سبعة أشهر ، واسمه : صدام !

وللاسف لم تأت تحليلات هؤلاء العلماء بما هو متوقع :

فلم يوفقوا في تشخيص أمراضه .... فهو مصاب بعدة أمراض ، خلافاً لمعظم المرضى !

ولم تكن الاسباب : العجز ، فهم علماء أجلاء ... غير أن فحوصاتهم كانت مبنية على معلومات معينة حصلوا عليها ! أو بتعابير علمية ، كانت فحوصاتهم « خارجية » وليست« سريرية » .

وكان يمكن أن تكون نتائج الفحوصات أكثر دقة ، لو أن « المريض » ساعد الاطباء في مهمتهم الانسانية .

غير انه رفض ذلك فهو يعرف انهم « إمبرياليون » ينتمون الى

« الدول الثلاثين » التي جرد لها (أم المعارك) !

ولانه مازال يصر على مقارعة « الكفر والالحاد والصهيونية » من الملجأ المحصن الذي يقيم فيه تحت انقاض أحد قصوره في بغداد ! فهو يطلب « من موقع القوة والاقتدار العالي » أن يتقدم من يريد مقابلته ، لاجراء (المنازلة العظمى) تحت الارض !

يقول الدكتور جيرولد بوست - أستاذ مادة علم النفس والسياسة

بجامعة جورج واشنطن ، إن (صدام) لايعاني من مرض الجنون ، ولكنه يعاني من « نرجسية مريضة » وأعراض هذه الظاهرة المرضية التي تحددت عام ١٩٨٤ تتمثل في جنون العظمة ، والتلذذ بتعذيب الغير والميل الشديد للشك وعدم وجود أي استعداد أو شعور بالندم . ومع تقديري لهذا الرأي ، فأنني – كمواطن – لاأستطيع أن أعده في عداد العقلاء !

كما أن تحديد عام ١٩٨٤ موعداً لاصابته بجنون العظمة لايمكن أن يكون دقيقاً !

لقد اعترف لاحد رفاقه انه الحَ على « أياد سعيد ثابت » (أحد قادة الحزب الحاكم السابقين) منحه فرصة للمشاركة في اغتيال اللواء عبد الكريم قاسم لكي يدخل التاريخ من بوابة « شارع الرشيد » الواسعة ! أما مسألة التلذذ بتعذيب الغير فإنها معروفة فقد اتخذ غرفاً كاملة يطل منها على الضحايا الذين يتولى زبانيته تعذيبهم ، وغرفاً معروفة في كل من قصر النهاية ، مبنى الأمن العام ، مبنى الاستخبارات بوزارة الدفاع ، سجن النساء الخ . .

وعندما انتشرت ظاهرة « الفيديو » أنشأ صدام مكتبة تضم أشرطة تعذيب الضحايا يعود اليها من حين لآخر

أما الميل الشديد للشك فهو معروف وكان حتى قيامه بغزو الكويت لايسمح بمقابلته ، دون موعد إلا لقلة بينهم :

عزة إبراهيم الدوري – نائبه .

طه ياسين رمضان – النائب الاول لرئيس الوزراء .

وبعد غزو الكويت رفع الاستثناء عنهما !

وقيل إن سمير عبد الوهاب الشيخلي – وزير الداخل(الاسبق) واحد المدللين « ضبط » مرة وهو يحمل مسدسه الشخصي قبيل أن يدخل على سيده ، فما كان من عناصر الحماية إلا انتزاع المسدس منه ولم يكتفوا بذلك بل انهالوا عليه لكماً فما كان سيده إلا أن علق بمتنهى الهدوء قائلا:

– العفو سمير ، لو كانت عناصر أخرى – غير الحماية – فعلت ذلك بك ، لتدخلت لصالحك !!

أما في ماخص احتمال عدم وجود أي استعداد لدى صدام للشعور

بالندم ، فلا أشك اليوم انه في سبيل الحفاظ على كرسيه المهزوز مستعد للندم ... ولكن من سيقبل ذلك ؟

الشعب العراقي ؟ : لا !

الايراني ؟ : لا !

الكويتي؟ : لا !

المجتمع الدولي ؟ : لا !

المطلوب من صدام ان كان يمتلك ذرة من الشجاعة أو الفروسية ان يفرغ طلقة واحدة في رأسه ليريح ويستريح !

وترى « بيتي غلاد » الاستاذة بجامعة ساوث كارولينا أن شخصية صدام تشبه في إحدى نواحيها شخصية الطاغية ...

فهو الميل الى القتل من أجل تثبيت مركزه في السلطة ، وربما

كان لديه أيضاً للانهيار ، وعندما يتم حصاره في ركن ضيق ، ويصبح عاجزاً عن الحركة .

وتضيف غلاد : ان التاريخ يبين لنا بعكس الاراء التقليدية – ان معظم الرجال العدوانيين لايستسلمون عندما تتم مواجهتهم ...

– أما أن يكون صدام ميالاً الى القتل ، فهو تعبير دبلوماسي غير دقيق لانه قاتل مُحترف ! وفي سبيل تثبيت مركزه في السلطة أثبت أنه الجزار الاكبر الذي يستحق الدخول في قاموس

« غينيس » للارقام القياسية !

وها هو يتولى ، بواسطة بقايا « الحرس » الجمهوري » ذبح الشعب العراقي ... ولكن الشعوب تظل الاقوى .

أما احتمال أن يكون لدى صدام ميل للانهيار ، وعندما يتم حصاره في ركن ضيق ، ويصبح عاجزاً عن الحركة ، فهذا ماسيتحقق قريباً بأذن اللّه...

والسبب هو أن الشعب العراقي يريده حيّاً ، ليحاكمه عن الجرائم التي اقترفها بحقه ، وبحق إخوته في الدين والقومية من إيرانيين وكويتيين وغيرهم !

ستكون محاكمة صدام عبرة لكل الشعوب والطغاة !

وسيكون فضيحة تهتز لها الارض من عمان وحتى الخرطوم ، مثلاً !
ويعتقد العالم النفساني فاميك فولكان أن صداماً تمزقه حالة العناد التي نمت في داخله منذ طفولته ، فقد إنه فر من والديه ، وهو طفل عندما رفض تعليمه القراءة والكتابة ... الخ ...

ولا أريد اليوم الا أن أعلق على الفقرة الأخرة من هذا التحليل ، أما الفقرات الاولى فهي متروكة لابناء تكريت الاحرار !

– أما القراءة والكتابة فقد اعترف (صدام) ، بأن الفضل في تعلمه مبادئها يعود الى ابن خاله « ووزير دفاعه » عدنان خير الله ! وذكر ان ابن خاله علمه في الشارع ثم في البيت ، وبعد ذلك دخل المدرسة !

تقول الحكمة العربية القديمة : من علمني حرفاً ملكني عبداً !

غير أن « صداماً » جازى عدنان على طريقة سنمار بتصفيته تصفية جسدية في حادث طائرة مسرحي مشهور ...

وكالعادة سار في جنازته !

بيتـــــان

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل في شارع أبي نواس ببغداد، عندما كان صديقان حميمان ، يسيران في هذا الشارع ، الذي يذكرنا بامجاد بغداد الحقيقية .

سأل أحدهما زميله :

– لماذا أبدلت الدولة اسم هذا الشارع ؟

أجابه الآخر :

– لانهم اكتشفوا أن أم (أبي نواس) فارسية فأبدلوه الى (شارع العباسيين) بناء على طلب (رئيس الجمهورية) .

قال الاول :

– وما علاقته بمثل هذه الاشياء ؟

رد عليه زميله :

– ياأخي – إنه موسوعة !

ضحك الاثنان ، وبينما هما في غاية الانسجام ، إذ بسيارة نجدة تتوقف وينزل منها ضابط ، ليطلب منهما المضي معه (لبضع دقائق) فقط !

ذهل الشابان ، وحاولا معرفة السبب ، الا أنه صمت ، ولم يجدا مفرا من الموافقة ، خاصة وانهما لم يرتكبا ذنبا ما .

وفي السيارة تكلم الضابط مع مسؤوله بالهاتف اللاسلكي مبشرا إنه في الطريق ، ومعه المشبوهان .

بغداد في ظل (القا ئد الغضنفر) فقدت رائحة الحياة

كان شارع أبي نواس يضج بالحركة حتى صياح الديك

أما اليوم ، فالناس ينصرفون الي بيوتهم مبكرين ، وهم يبتعدون عن ارتياد الاماكن الحساسة ، تجنباً لعناصر الاجهزة القمعية ، وخلال ربع ساعة كان الشابان يقفان زمام المحقق ، وكان من الاجوبة :

– ياسيدي اليوم تلقيت رسالة من أخي الاسير ، وذلك للمرة الاولى بهذه المناسبة دعوت صديقي (أحمد) ، حيث سهرنا في احدى المحلات بالباب الشرقي ، وعندما خرجنا شعرنا بالحاجة الي شم هواء نقي فانطلقنا الي الشارع (أبي نواس) ، الذي لم نمر به منذ عهد .

سجل المحقق المعلومات ، وطلب منهما الانتظار خارج الغرفة ، ثم ادار الهاتف ليكلم مسؤوله موجزا المعلومات التي أدليا بها ... غير أن سيده طلب منه إجراء (تحقيق الهوية) الشامل للمشتبه بهما بدون إبطاء ، وتفتيشهما .

وفور ذلك قام المحقق بما طلب منه بكل قسوة وإذا به يعثر على (وريقة) في جيب (باسل) فكان أن أوقفه ، وأطلق سراح زميله (بكفالة) لحين الفراغ من التحقيق ، وطيلة أيام تعرض المسكين الى تعذيب فظيع :

– هذا خط من ؟

– لاأعرف

– من المقصود بالشعر ؟

– لا أدري والله العظيم ياسيدي ، وجدت هذه (الوريقة) على طاولة المطعم الفلاني ، ولما كنت أحب الشعر فقد احتفظت بها !

نموذج الخط ، أرسل لفحصه من قبل الخبراء .

ولم تكن النتيجة مرضية ، فقد ورد أن كاتب البيتين الشعريين كان في حالة غير طبيعية ، وكانت أصابعه ترتعش عندما كتبهما ! ردد

(باسل) أفادته أمام عدة لجان تحقيق ، غير انه ظل رهن الاعتقال !

– القضية خطيرة .

قال وزير الثقافة والاعلام وهو يطلع على ملف القضية الذي (تضخم) بعد استدعاء صاحب المطعم الذي كان مصدر (الوريقة) .

الوزارة درست اسلوب البيتين ، لمعرفة اسم الشاعر الذي يمكن (أن يتطاول بهذا الرخص) كما قال (الوزير اللطيف) . غير انها - الوزارة - لم تتوصل الى نتيجة ، فالعراق الزاخر بالشعراء لاتعرف منه إلا (بتوع المربد) كما يقول إخواننا عرب مصر ! وتبين بعد تحقيق سري مكثف استغرق عدة أسابيع ، ان البيتين قيلا في هجاء مدير عام وزارة الثقافة والاعلام بعد أن (كرمه) (القائد الضرورة) بسيارة (سوبر) (تيوتا صالون) تثميناً لجهوده الاعلامية في قصير القامة ، وعندما تسلم (السيارة - المكرمة) راح يشمخ بأنفه ، وتجول ساعات طويلة في شوارع بغداد ليثبت للناس انه (مرضي عنه) وإن اسهمه ارتفعت لدى الدولة ويبدو أن البيتين انتشرا .

قام بعض (الخبثاء) باستنساخها وتوزيعهما .

أين البيتان ؟

لاشباع فضول أصدقائنا القراء من عشاق الشعر الاصيل ، نثبت البيتين - للتاريخ - (الذي طلب صدام إعادة كتابته باعتباره بدأ يوم مولده في قرية (العوجة) ...

ونعتذر ، لانهما ختما بكلمة نابية ... غير انها (ضرورة الشعر) كما يقال :

البيتان هما :

لما ركبت (السوبرا)

ومشيت تيها في الورى

رجع العراق القهقرى

وازداد (أكلان ...) !!

عــدي ولـــد صـــدام

الجريمة الاولى

مات !

تعالى صراخ امرأة تتشح بالسواد .

وراح قلة من الموجودين حولها في تلك اللحظة - يواسونها ، دون جدوى .

- ياظالم لك يوم .

وراحت تلطم خدودها بقسوة .

منذ الفجر ، وهي تنتظر أن تتحقق المعجزة .

أمام مبنى (الطب العدلي) في باب المعظم ببغداد ، كانت واقفة ، عيونها تشرئب الى الداخل ، بعد أن منعت من الدخول .

قال لها الطبيب :

ابنك حالته حساسه ، ولكن ثمة أمل في إنقاذه ... سنبذل قصارى جهدنا ... فلعل وعسى ...

برق الامل في قلبها ...

وراحت تصلي وتدعو ...

ساعة تصلي وساعة تنام .

« مظلوم ياوحيد »

تمتمت بحزن .

عندما تخرج في الجامعة زغردت له كثيراً ، ووزعت الحلوى ، وذهبت الى رئيس البلدية الذي يسكن في الشارع المجاور ،وتضرعت إليه :

- سيدي ، انقذ ولدي ، ووحيدي :

لاأريد أن يموت !

لم يستطع الرجل الطيّب أن يفعل شيئاً .

حاول أن يوظفه - فلم يوفق .

قيل له : لابد أن يؤدي « الواجب »

و« الواجب » غير محدد بالسنوات - ربما لايعود أبداً.

وذات يوم دُعي « وحيد » ... ومنذ تلك اللحظة ، لم يغمض لامه جفن هي تكدح ليل نهار ، تبيع الحليب ، وتخدم في البيوت من أجل مواجهة متطلبات الحياة .

حاول « وحيد » أن يثنيها عن العمل ، فلم يوفق .

كانت تقول له :

يابني العمل شرف - أريد أن أحقق أمنية المرحوم والدك في نيل الشهادة الجامعية الكبرى .

بعد التحاقه بستة أشهر ، عاد إليها في إجازة قصيرة .

راح يروي لها أهوال (القادسية) ... ماشاهد وما سمع ...

طلبت منه أن يتمرد ... أن لايعود الى الجحيم .

رد عليها :

فكرتُ بذلك - ولكن (فِرق الاعدام) تترصد الجميع -- تتجول بين الوحدات العسكرية - لتصفي كل من تشك به .

ذهبت الى أخيها واستشارته ، فأكد لها أن هذا يعني تعرضه الى عقوبة الاعدام ، وربما تمتد العقوبة الى كل من يمت اليه بصلة القربى !

حارت الأم ..

سألت ، وتوسطت ، وتوسلت ، فقيل لها .

زوجيه ..عسى أن يقتنع المسؤولون بأنه يعيل أسرة ، ويكون سبباً لاعفائه مما تبقى من (الخدمة) .

أسرعت تفتش له عن عروس مناسبة ... غير أنها كانت تجابه بالرفض :

عسكري ؟ !

ما الضمانه أن (يسرّح) سالماً ؟

- هل يملك بيتاً ، سيارة ؟

أخيراً اضطرت أن تخطب له ابنة أختها .

وافق وحيد ، بلا مناقشة .

بعد شهر تم إنجاز كل شيء ..

أعدت غرفة مجهزة - بما أمكن .

ولم يبق سوى أن يأتي (العريس) .

وجاءت الفرصة ، عندما امتنع أمره ... بعد أن قدّم له « هدية » مناسبة .

عاد الى مدينته الصغيرة في سيارة كبيرة للاجرة ، وقبل أن يصل المدينة تعطلت السيارة ...

انتظر الركاب -إصلاح السيارة - أما وحيد « فقد قرر السير مشياً على الاقدام .

- أُريد أن أجعل وصولي بمثابة مفاجأة سارة لامي وعروسي ..

قال لنفسه .

وراح يدندن بالحان أغنية ريفية ، كان والده يرددها دائماً .

وبينما هو كذلك بوغت بسيارة فخمة تنحرف عن الشارع لتدعسة ، وخلال ثوانٍ سقط « وحيد » والدماء تنبثق منه ...

تناثرت الحقيبة الصغيرة التي كان يحمل فيها هدايا زواجه ، والتي قدمها له زملاؤه .

سائق السيارة كان مراهقاً ، في نحو السادسة عشرة من العمر ، كان يتدرب على السياقة ...

نزل شابان من السيارة التي كانت (تحمي) سيارة (المتدرب) الذي لم يكلف نفسه عناء النزول لمعرفة مصير من دعسه .

- إصابته خطيرة ياسيدي .

- ماذا تقول ؟

قال المراهق (المتدرب) .

- سيدي (أستاذ عدي) الاصابة خطيرة وربما ...

- ضحك (المتدرب) وقال :

-أبحث عن (هويته) ربما يكون هارباً من (الواجب) ، وعالج القضية...

- حاضر سيدي .

سجلت الجريمة الاولى التي ارتكبها (عدي صدام حسين) ضد مجهول .

عــدي ولــــد صـــــدام

ســرأبيـــه

عدي :

سرّ أبيه .

فلقد جمع المجد من اطرافه .

والده يؤكد ان ابنه بدأ الكفاح ، وعمره لا يتجاوز السنة الواحدة، عندما اوصل اليه رسالة-سرية ، بينما كان هو- الاب - رهن الاعتقال.

وضع -عدي - الرسالة الخطيرة في القنينة التي يرضع منها الحليب.

المؤسف ان يتناسى (قاموس غينيس للارقام القياسية ، هذا الطفل (العبقري) فيحرمه من دخول التاريخ كأصغر (مناضل) سناً !

كان في السادسة عشرة عندما ارتكب جريمة القتل الاولى :

دعس مواطناً من غمار الناس ، بينما كان يتدرب على قيادة السيارة قرب بحيرة (الحبانية).

مرة اخرى يحرم من دخول القاموس العالمي .. لماذا ؟ لا احد يدري ، سوى حقد (الغرب الامبريالي) على المكافحين من شعوب العالم الثالث.

وفي خلال سنوات ملك عدي نصف العراق، وجمع وظائف تنوء عن حملها جماعات وقبائل وفصائل .

هل يمكن حصر هذه الوظائف في سطور ؟

يصعب هذا كثيراً ، ولكن لابأس من المحاولة .

فلقد تولى قيادة :

١- الحركة الرياضية كلها .

٢- نادي (البعث) الرياضي .

٣- الصحافة من خلال جريدة (بابل) و (الرافدين) والفنون .

٤- جمعية الدفاع عن الصحفيين العرب .

٥- الحركة التجارية ... احتكار البيض والدجاج والخمور ...الخ .

- قيادة المنهوبات التي انتزعها من الكويت بالتنسيق مع ابن عمه علي حسن المجيد الملقب بالكيمياوي .

هكذا نكتشف ان القيادة متأصلة فيه ،لا يزاحمه أحد فيها .

وإلقاء نظرة على الاعمال المعروفة التي يديرها تبين لنا انها توزع على عدة ميادين هي :

١- القطاع الرياضي

٢- الصحفي

٣- حقوق الانسان

٤- التجاري

٥- السرقة

ولكن أياً من هذه القطاعات تجلت فيه (عبقرية عدي) ؟

يصعب الحكم النهائي .

وسنحاول هنا مناقشة كل فقرة :

القطاع الرياضي حقق فشلاً ذريعاً على يديه ، ففي أواخر الثمانينات مُنيت الفرق العراقية بالخسائر المتلاحقة ، وكل أصابع الاتهام تتوجه الى راعي الحركة الرياضية الذي يعامل الرياضيين بشكل فظ لاإنساني.

علق رياضي معروف على فشل - عدي - قائلاً :

الرياضة أخلاق وذوق ، فكيف يديرها شخص لم يتورع عن قتل مربيه؟

قطاعا الصحافة وحقوق الانسان يمكن دمجهما في فقرة واحدة ، فنقول منذ حشر (عدي) نفسه في الميدان الصحفي ، أعرض الناس عنها وفي الوقت الذي أعلن فيه عن تشكيل جمعية تدافع عن حقوق الصحفي العربي – تم إعدام عدد من الصحفيين العراقيين ، ولا يزال العشرات من الصحفيين يتعرضون الى أبشع أنواع التعذيب ... ولم يحرك (عدي) ساكناً ، بل انه يحرص في صحيفته ، على إيذاء الاحرار !

وتحولت جمعيته الى نكتة !

فلقد أخبرني مسؤول في منظمة العفو الدولية أن منظمته كتبت رسالة الى جمعية (عدي) فاعيدت وعليهاما ترجمته :

– لاتوجد جمعية في بغداد بهذا الاسم !

وقد شرحت له أن التباساً ما وقع ، فربما تكون هذه الجمعية غير مجازة رسمياً ! (فولي عهد صدام) يقيم مشروعات وجمعيات متخطياً (الروتين الحكومي) !

جريدة – بابل – على سبيل المثال – صدرت أربعة شهور دون اذن رسمي ، ثم عقد (المجلس الوطني) (البرلمان) جلسة ليصوت بالاجماع موافقاً على صدورها ، ولهذا فهو يعتبرها أجيزت بـ (أمر الشعب) !

هذا رغم انه يعرف أن أعضاء (المجلس) أنفسهم عينوا بواسطة الهاتف السري !!

أما (القطاع التجاري) ، فلقد نجح فيه ...

والسبب انه لايتطلب مؤهلات معينة !

لعدي مجموعات تعمل له وباسمه .

يكفي أن يتصل هاتفياً – بوزير أو أي مسؤول – ليعقد صفقات بعدة ملايين !

– العراقيون يطلقون على عدي عدة القاب منها : (ملك الحصار).

الحصار الذي اجاع العراقيين حوله الى (مليار دير) ، ويملك (عدي) إمبراطورية عملاقة ، تمتد الى الاردن والى بلدان أخرى .

نحن نعيش عصر التخصص ، غير أن (عدياً) يرفض هذا المفهوم المتحجر - خاصة وإن (الكومبيوتر) يعجز عن حصر تجارته المتشابكة.

- أما قطاع السرقة والنهب ، فلقد أثبت فيه براعة ، رغم أنه لم يطلع على كتاب (اللصوص) للجاحظ !

ويختلف الخبراء في معرفة أستاذه في هذا الميدان :

- أكان (عمه) علي حسن المجيد الكيمياوي ، الذي تولى إدارة (الكويت) فترة إحتلالها ؟

أم كان عمه الاخر برزان إبراهيم الحسن الذي أدخله دورات مكثفة في (قصر النهاية) عندما كان رئيساً لجهاز مخابرات النظام ؟

في جميع الاحوال تشهد له المسروقات المحفوظة في مزارع الرضوانية وأبي غريب وتكريت وغيرها بحسن الاختيار !

فلقدنهب أفضل (ماركات) السيارات والشاحنات والزوارق والخيول والآت الكومبيوتر والمطابع وغير ذلك .

ولما كانت مواهب (عدي) لاحصر لها ، فلقد قرر خوض بحر السياسة .

وعندما سئل عن سبب قراره ،رغم ضيق وقته ، وشدة وجع الدماغ الذي يسببه حرف السين .

أجابه والبسمة تعلو شفتيه :

- إن أسرته نذرت نفسها للخدمة العامة ثم أضاف :

- إن لنا اسوة حسنة بآل كندي ، الذين توارثوا قيادة بلادهم .

- بعد نحو سنة من إعلان صدام عزمه على تحقيق التعددية في العراق لم يتقدم أحد لانشاء حزب يزاحم الحزب (الاوحد الحاكم) !

- وكحل للمشكلة ، ولتنفيذ الوعد أوعز (القائد المقدام) لافراد أسرته تحقيق تعهده بصنع أحزاب سياسية .

عدي بادر لتحقيق وعد أبيه فقرر إنشاء (حزب الخضر)

وهذه النسبة لاتعود لمدينة الحضر - فهذه بالحاء المهملة ! بل تعود الى اللون الاخضر الذي يشير الى الحفاظ على البيئة والطبيعة .

وأحزاب الخضر حققت تقدماً كبيراً في عدد من البلدان الاوربية .

عدي حاول جمع ١٥٠ شخصاً للتقدم الى الجهات المختصة لانشاء الحزب، فلم يوفق في لملمة العدد المطلوب كحد أدنى .

هل يرفض العراقيون إنشاء حزب للدفاع عن البيئة والطبيعة ؟

أبداً ، فهم في غاية الحزن ، خاصة وان النظام أباد الملايين من النخيل والاشجار ، باع بعضها مقابل دريهمات معدودات وأجهز على البعض الاخر بسبب إتهامه هذه النباتات الصم بأنها تؤوي (الخونة) من المواطنيين الذين هبوا ضد النظام خلال انتفاضة آذار / ١٩٩١ !

هكذا تعدى النظام إتهام الشعب العراقي الى حد إتهام الطبيعة والنباتات والبيئة بالعمل ضده !!

ولاتزال الاهوار - هذه البقعة التي حافظت على أنواع نادرة من النباتات والفطريات والطيور والاسماك منذ العهد السومري ولحد اليوم، تتعرض الى مدفعية (الحرس الجمهوري) بتهمة ايواء مواطنيين هربوا من بطش النظام !

العراقيون توقفوا طويلاً عندتشبيه (عدي) الاسرة الحاكمة بآل كندي الامريكية ...

همس أحدهم بهدوء :

- من يدري فربما يكون مصير رأس النظام شبيهاً بمصير جون كندي.

الخبـــز والملـــــح

سقى اللّه العراق وأيامه العتيقة العذبة ! عندما كنا صغاراً كانت لنا أيام أعراس .

بينها زيارة بغداد والتبرك بزيارة قبور الائمة والاولياء الصالحين... كانت الكاظمية مرفأنا الاول فلا بد من السلام على الامام أبي الحسن موسى بن جعفر الصادق(ع) المتوفى في السجن سنة ١٨٣هـ .

هكذا كانت تعليمات الوالد – رحمه اللّه – ! ولقد طوفت بعد ذلك في عشرات المدن الشرقية والغربية فلم أجد أعذب من صباحات هذه المدينة التاريخية العريقة . كانت الكاظمية تستيقظ على آذان الفجر المنطلقة من مساجدها المتناثرة الكثيرة ، وكان أجمل ما علق في ذاكرتي بعد هذه السنوات : الخبز الطازج الذي يصنعه العمال الفقراء الذين ينحدر أغلبهم من أصول إيرانية أو باكستانية أو أفغانية ... يأتي هؤلاء للزيارة والتبرك بالمجاورة قرب أضرحة الائمة فيبقون يوم كان العراق والعراقيون يعيشون بسلام وأمان بعيداً عن الاحقاد العنصرية والطائفية والحروب العدوانية ! كنت أمضي ساعات كثيرة أمام التنانير العملاقة التي كانت تنتج خبزاً يناسبها حجماً بأشكال مختلفة، أشهاها عندي قرص الخبز الضخم المثقوب بطريقة عجيبة وكأنه شباك عباسي ! ويدعى بالتفتوني .

ازدحمت في ذهني ذكريات الطفولة وأنا أقرأ رسالة محزنة مهربة من داخل عراقنا المعذّب ، تروي لي مايعانيه أهلنا في الحصول على رغيف الخبز الاسمر الذي يشبه قلوب أسرة المافيا الحاكمة ، المرصوفة بالصخر والحجر !! صديق طفولتي كتب لي مذكراً بأيام الهدوء والاستقرار... أيام كان العراق عراقاً ... وكانت الخيرات تتدفق عليه ويفيض عنده

القمح فيصدره الي الخارج ! لم تعد المخابز والافران قائمة ، فكلها تحولت الى أشياء أخرى ! وهدمت التنانير وأصبح رغيف الخبز يباع بـ ٢٥ ضعفاً من سعره المعروف .

للخبز تاريخ طويل في حضارة الرافدين ، وبيّن د . طه باقر في دراسة قيمة له أن (أور) اشتهرت بصناعة الخبز ، ولشهرتها فقد كانت تصدّر الخبز - في الالف الثاني قبل الميلاد الى البحرين والجزيرة العربية ! ! وفي العصر العباسي كان للخبازين شارع خاص بهم في بغداد وكشف د . مصطفى جواد أنهم نظموا أنفسهم في القرن الخامس الهجري في نقابة خاصة ! وكانت ثمة تعليمات يصدرها

(المحتسب) تحرّم تجار الحبوب من احتكار الغلة وتطالبهم بعدم خلط الحنطة الرديئة بجيدها ولاعتيقها ! .

ويقول قاضي القضاة الماوردي أن هناك تعليمات الزمت الطحاًن رشّ الماء على الحنطة عند طحنها ، فإن ذلك يزيد الدقيق بياضا ً ، ويغير عليهم مناخل (جمع منخل) الدقيق في كل ثلاثة أشهر ... وكان (البيتوتي) الذّ أنواع الخبز !

وعرف نصر بن أحمد بالخبزارزي وهو شاعر يكتب الاشعار الغزلية الرقيقة عاش في القرن الرابع الهجري ، العجيب انه كان أميا ً يخبز «خبز الارز» بمربد البصرة في دكانه ، وينشد أشعاره في الغزل والناس يزدحمون عليه ويتعجبون من حاله ! ومن حسن حظ الخبزارزي انه لم يدرك مهرجان (مربد لطيف نصيف)

ولا « يوم الميلاد » الوهمي لانه كان سيطالب بإعداد قصائد مناسبة والا فأنه يهجّر بتهمة « التبعة » لايران أو لارز جنوب لبنان ! ! ومادمنا وصلنا الى هذه النقطة : أذكر انه أثناء الحملات الهستيرية التي شنها النظام في الايام الاولى لقادسية العار داهم (زوار الفجر) أسرة من آل الشابندر المعروفة وعندما أطلعوا على أوراقها الثبوتية اكتشفوا أنها - سليمة - فهي عثمانية عتيقة . غير ان هذا لم يمنع جلاوزة الامن من التشكيك بسلامة (شهادات الجنسية) التي يحملونها !

سأل الجلواز رب الاسرة :

- من أين حصلتم على هذه الشهادات وكلمة الشابندر منحوتة من :

شاه بندر !!بعد هذا الحادث بسنوات اقترن صدام حسين سراً بسيدة تنتمي الى هذه الاسرة !وبسبب هذه الزيجة السرية قتل عدي صدام حسين مربيه كامل ججو - في وضح النهار !

كامل ربى عدياً منذ ١٩٦٨ ، أي منذ كان في الرابعة من عمره !

نعود الى الخبز فنؤكد انه جزء من تراث الانسانية :

فمن كنايات البغاددة :

خبز وملح : يقصد بها الاحسان ، وقد نقله العرب الى أوربا بواسطة الاندلس ..

ومن الامثال الايطالية : الله الذي يعطي الاسنان يعطي الخبز .

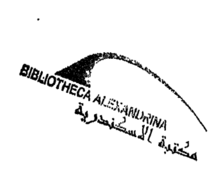
ومن كنايات المتصوفة : لولا الخبز لما عبد الله !

ومن كنايات بغداد : خبزه جوّه نجانته ...

النجانة : الصحن الذي يوضع فيه الخبز ...

تضرب هذه الكناية عن العيش المطمئن المعتمد على مورد لاينقطع ، أي انه لايحتاج الى الكد ، وبذل المجهود في سبيل توفير اسباب العيش..! وهذا ينطبق على كل أفراد الاسرة الحاكمة ، ولابأس أن نكشف أن عدي صدام حسين اشترى مؤخراً بدلات شخصية بما يعادل سبعين ألف دولار... بدلات المدلل تحمل إحدى «الماركات» الفرنسية الشهيرة الواقعة في باريس... الشخص الذي تسلم البدلات - وهو من قطر مجاور - أخبر الخياط الفرنسي الشهير بأن (الأستاذ عدي) قد سمن قليلاً...

لا شك أنه يأكل من خبز يختلف عما يأكله (الغوغاء)، ولكن هل يمكن أن نعرف كم رغيف خبز أسمر يعادل مبلغ السبعين ألف دولار، إذا افترضنا أن سعر الدولار يعادل ثلاثين ديناراً... وعلى افتراض أن قيمة رغيف الخبز يساوي (ربع دينار) مزور؟



المقـــاومـــة الـــوطبـــانيـــة

حدثنا (فلتان بن علتان) أحد مواطني (عوجستان):

أن (مظلوم بن مسكين) جاء يسأله النصيحة، في كلمات فصيحة، فأجابه أنه سيقدمها له في أقرب فرصة، بحيث لا تسبب له غصة.

قال إن المسمّى وطبان إبراهيم وزير الداخلية الفخيم عرض عليه إنشاء حزب جديد، ليساهم في استمرار النظام العتيد، ويطيل في عمر بطل (أم المعارك) الذي خسر جميع المعارك!

فتعجب ودهش لهذا الكرم المغري، وراح يتبختر ويجري - وسأل وطبان في كل شجاعة واطمئنان:

هل الحكومة الحكيمة جادة؟

أم أنها نزوة مؤقتة كالعادة؟

فحلف له الوزير الخطير في كلمات صادقة التعبير، أن القضية جدية، بل ستكون حديّة!

لم يصدّق المواطن مظلوم هذا الكلام، وقال إنه أضغاث أحلام!!

ورغم هذا سأل وطبان في كل ثقة وأمان عن:

أهداف الحزب الجديد، عمّن يموّله والبلد متكئة (على الحديد)؟!

فأجابه الأخ (نصف الشقيق) وهو مستبشر طليق:

- لا تهمك الفلوس، فهي جاهزة ومجلوّة كالعروس!

- ولا تهمك (الأنواط) فهي متوفرة تقدّم في (الأسفاط)، لكل من يقدّم الخدمة، وينسَ اسمه ورسمه!

عند ذاك باشر المظلوم المهمة، متوكلاً على ذوي الهمة:

ذهب إلى (النادي) طائراً بخفة العصفور، معلناً بكل حبور

يا جلاّس (النادي)!

يا مفاخر هذا الوادي!

جئتكم مبشّراً إعلان ميلاد الحزب الجديد، بعزم أكيد!

انتموا إلى (حزب النخبة) وهو الذي سيزيح السبّه، ويجعل العراق على أشدّ الأهبة!

فسرّ رواد (النادي) بهذا الحَدَث الخطير غير العادي. الذي قد ينقذهم من (الحزب الأوحد الحاكم) المرير... وسجلوا أسماءهم في هذا الحزب الكبير، فرح (مظلوم) وراح يرقص ويهيم وتوجه إلى وطبان متأبطاً أسماء جميع الخلاّن:

ممّن رحبوا بالحزب، الذي سيزيل الكرب، ويخلّصهم من دكتاتورية (القيادة القطرية) التي لم يجنوا منها غير الاضطهاد والبلية.

فرحب به الوزير الهمام، وطلب منه تسليمه قائمة بأسماء الحزبيين الجُدد: بلا كلام وبأقصى احترام!

دهش مظلوم واستغرب لهذه القضية وقال له:

- يا سيدي لماذا ولماذا؟

- أين هي الحرية؟!

وأين بشائر الديمقراطية؟

فضحك وطبان... وقال وهو نشوان:

- أردنا أن نعرف:

- من يحلم بالديمقراطية؟ وهي بدعة إمبريالية؟

- ومن يريد الحرية؟ وهي أكبر آفة على البشرية؟

ونادى على أحد الجلاوزة، طالباً منه اعتقال مظلوم وإيداعه في سجن الوزارة، ليكون عبرةً لكل أعداء صدام، ممّن يفكرون بالتشويش ضد النظام.

ـ فبكى مظلوم وصاح..

ـ ثم وجد نفسه داخل السجن في الصباح..

– تلقاه السجناء وجميعهم – بلا استثناء – أبرياء. فسألهم عن تهمهم التي جاءت بهم إلى هنا، مسببة لذويهم الأسى والضنى.

فقالوا إنهم من أصحاب النكتة!! وأطلّوا في وجهه مستبشرين قائلين:

نحن أصحاب النكتة... إعتبرونا خطرين... بل «فلتة»!

فتعجب مظلوم لهذه التُهَمْ وقال إنها دليل على انعدام الذمم.

وتقدّم منه واحد من السجناء وسأله بشجاعة قائد:

وأنت لماذا جئت؟ ولأي سبب سُجنت؟ فقال لهم: إن وطبان أكد لي بأمان أنه أصيب بعدوى الديمقراطية وإنها أساس البرية... ثم طلب منه تشكيل حزب جديد يكون جماهيرياً كالحديد، ثم شفي وطبان من الزكام فأمر به أن يسجن وسط هذا الزحام...

ورقـة مـن كتـــاب البــــا ء

قال تعالى (بل الذين لايؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد)

وينسب الى الرسول الكريم قوله :

بئس العبد المحتكر ، إنْ أرخص اللّه تعالى الاسعار حزن ، وإن أغلاها اللّه فرح .

ومن أمثال العرب : بادر الفرصة قبل أن تعود غصة .

وبابل : مدينة قديمة لها ذكر في الحضارة الانسانية أسس فيها سوموا بوم الأموري (٢١٠٥ ق ٠ م) سلالة كان سادس ملوكها حمورابي الذي وحد سومر وأكد وازدهرت أيام نبوخذ نصر وجعلها الاسكندر عاصمة الشرقية ، واشتهرت ببرجها وحدائقها المعلقة . وخلال قادسية البؤس دفع الغرور صداماً الى الاعتقاد انه سليل ملوكها العظماء – ظاناً أن الناس ينسون أن حمورابي شرع القوانين وكان عادلاً – بينما عمدهو الى تمزيق القوانين والشرائع !

والبعط منه الابعاط وهو الغلو في الجهل والامر القبيح .

قال الخليل بن أحمد : يقال منه أبعاط إذا لم يقل قولاً على وجهه

والباء حرف جر يأتي على وجوه منها أن يكون للاضافة وللاستعانة وللظرف ، كما يكون قسماً وحالاً .

وبلشتي : كناية بغدادية عن اللئيم المولع بأفعال الشروالكلمة فارسية: بلشت ، بمعنى نجس ، وسخ ، قذر ، وبومة الخرايب : كناية بغدادية عن الخامل المحروم من المال والجاه والطالع الحسن .

قال الاستاذ عبود الشالجي المحامي :

وفي تقاليد البغداديين – انهم إذا سمعوا صوت البومة ، صاحوا بها – سكين وملح ، أي منّا السكين ومنك اللحم – يعني انهم يذبحونها بسكين من عندهم وبدر وبديع وبدري وبدران وبدور أسماء .

قال أبو فراس الحمداني :

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر .

وبغداد : أم الدنيا وسيدة البلاد وجنة الارض ومدينة السلام ومجمع الرافدين وغرة البلاد وعين العراق ومجمع المحاسن .

قال أحدهم وجدت على أحد الجدران في طريق مكة :

أيا بغداد ياأسفي عليك

متى يقضى الرجوع لنا اليك ؟

قنعنا سالمين بكل خير ،

وينعم عيشنا في جانبيك

وهذان البيتان اليوم لسان حال كل المهاجرين والمهجرين والمنفيين والمبعدين عن الوطن الحبيب.

والباب الشرقي وباب المعظم وباب الشيخ والباب الوسطاني مواقع بغدادية معروفة .

قال تعالى : (ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة)

قال الرماني : في هذه الآية دخلت الباء على المفعول .

قيل إن (القائد الضرورة) زار ذات يوم إحدى ثانويات الكرخ فوجد المدرس يعرب هذه الاية لتلامذته فامتعض وطالب التلاميذباعراب أحد الشعارات الوهمية ، وفي نفس اليوم صدر أمر وزاري بنقل المدرس الى: بدرة !

وبدرة قضاء تابع لمحافظة واسط وهي مدينة عريقة كانت تدعى بادورايا ، وقد أهملت حتى انها تحولت الى منفى لمعارضي السلطة قيل

إن شاعراً نفي إليها وبعد أن شرب شيئاً من مائها وهو مالح وغير صالح للشرب خاطبها بأبيات هجائية منها :

ما أنـت إلاّ ظلمة كذب الذي سمّاك بدرا

وبدرة طلفاح خالة وعمة مقاول « أم المعارك » !

وبدرة من أسماء الاضداد .

ولدت وعاشت في تكريت في أسرة متواضعة وعندما شبت خطبها أحد أبناء مدينتها دون أن يراها – وفي ليلة زفافها فوجىء الجميع بأن عريسها هرب فجراً ... بمجرد رؤيته لوجه « العروس » ! ... ولحد الان لايعرف أين توجه ذلك « المحظوظ » !

فمن قائل إنه هرب الى الشمال ... ومن قائل انه انتحر !

بدرة اليوم امرأة أعمال من طراز فريد ! تدير إمبراطورية تتكون من شركات ومؤسسات وعقارات . قيل إنها اختلفت مع أخيها خير اللّه طلفاح الملقب بـ « لص بغداد » والدورة حول شراء بستان وأرض فذكرها بأشياء وتفاصيل من الماضي ومما قاله لها :

– يابخت ذلك السعيد ،الذي هام على وجهه بمجرد أن رأى وجهك الذي ينافس البدر !

القضيــــة العــراقيــــة

تتلف جميع النسخ ...

- حاضر ياسيدي ...

تساءل « أسعد » مع نفسه :

- لا أكاد أصدق ، فهل يمكن إتلاف ماطبع من كتاب مهم ، بعد إجراءات معقدة ؟

سحب سيجارة ، وراح يتأمل .

جاءت زميلته ، لتطالب بحصتها

- أسعد أريد ثلاث نسخ

واحدة لي .. لانني صممت الغلاف .

أخرى ...لزوجي لانه مهتم بالقضايا التاريخية .

وثالثة لجارتنا ،لان اسم جده وارد فيه

- ممنوع ياسلوى ..

وأوضح لها الأمر ...

- اجاد أنت يازميلي ؟

كتاب طبع منذ أكثر من نصف قرن - يعاد طبعه اليوم - لحاجة الناس اليه ، ثم يحرق على الطريقة البوذية ؟

بعد دقائق جاء عبد الهادي ، رئيس العمال في المطبعة :

- نريد أربع نسخ من كتاب القضية ...

تعبنا في صف حروفه – وهو من الكتب القليلة التي يعتز الانسان بوضعها في داره ،خلافاً للكتب الاخرى التي تصدر عن الوزارة و..و..

– قاطعه أسعد ، مؤكداً له « الاوامر العليا » .

– فضيحة ...

قال رئيس العمال ، وأضاف بصوت عال :

– سأرفع الامر الى « المنظمة » و « النقابة »

ابتسم مدير النشر وقال :

–الامر صادر عن (الجهه العليا) ..

– لا منظمة الحزب ولا (نقابة العمال) ولا أية جهة يمكنها التدخل في مثل هذه القضايا .

– هل يمكنك أن تذكر لي اسم هذه « الجهة » ؟

– غير مسموح لي .

راح أسعد يستعيد المسألة :

منذ شهور طرحت في اللجنة المكلفة بالنشر أسماء كتب قديمة نفدت من المكتبات ، ويشتد الطلب عليها من الباحثين والطلبة في داخل العراق وخارجه ، ومن بينها :

القضية العراقية للدكتور محمد مهدي البصير .

طبع هذا الكتاب سنة ١٩٢٣ ، وهو يتناول ثورة ١٩٢٠ . التي مهدت لقيام « العراق المعاصر » وتعتبر من أهم الانتفاضات التي يعتز بها العراقيون والبصير أحد المشاركين الفعالين فيها ، وهو شاعرها ولسانها الحقيقي . وللكتاب قيمة تاريخية ووثائقية فقد طبع بعد سنتين من انتهائها .

ولهذا تحمس الجميع لطبعه .

بينما كان « أسعد » يتذكر ظروف الكتابة ، والجهود المبذولة من أجل إخراجه بشكل لائق ، اتصل به « المدير العام » قائلاً :

– توجه الى المخزن الفلاني للاشراف على عملية الاتلاف .

- لكنني أشعر بالتعب الشديد ... اعفني ياسيدي .

- لامجال للتهرب من واجب كهذا ...

قال « المدير » بحزم مضيفاً :

- يجب أن توقع على محضر الضبط بأنجاز الموضوع .

لم يجد مفراً من التنفيذ .

في الطريق الى المخزن ، كان يمشي ببطء .

تمنى لو أنه أعفي من هذا « العرس الاسود »

- أثمة من يصدق إننا نعود الي الوراء بهذا الحجم ؟

خلال دقائق اندلعت النيران ...

ركض اليه أحدالعمال :

- دعني أحتفظ بغلاف الكتاب .

- ممنوع !

صرخت به إحدى العاملات :

- ابني يريد نسخة منه ؟

- لامجال لذلك .

كتب المحضر :

بناء على أمر ... تم إتلاف ٥ آلاف نسخة من كتاب (تاريخ القضية العراقية)

التواقيع .

عاد أسعد الى البيت حزيناً .

رفض الغداء الشهي الذي أعدته له زوجته .

راحت تحاصره بالاسئلة .

وأخيراً أجابها بهدوء :

- نفذت اليوم جريمة لاتغتفر ...

صرخت بهِ زوجته ...

شرح لها الحكاية ، وأخرج لها نسخة من الكتاب طالباً منها بعناية ايداعه في مكان « الممنوعات » .

– أسعد لم تذكر لي السبب الذي أدى الى منعه ، لانني سبق أن قرأته في مكتبة الكلية ، ولم أجد فيه مايوجب المنع ،بل أن « الوزارة » يجب أن تفخر بإعادة طبع هذا المرجع الثمين ...

– أجابها :

– قلّبي الكتاب جيداً ستجدين فيه وقائع لمشاركة فعالة لعددمن علماء الدين الاجلاء ،الذين شاركوا في الثورة ضد الانجليز ... بينهم ... الامام الشيرازي .

المثير في قراءة « التقرير » !

- ١ -

صدر عن (المنظمة العربية لحقوق الانسان ، في القاهرة كتاب جديد عنوانه (حقوق الانسان في الوطن العربي) يتضمن تقريرها لعام ١٩٩٢.

والمنظمة العربية منظمة غير حكومية حاصلة على الصفة الاستشارية بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي بالامم المتحدة . وقد أسست في ١٩٨٣ ويديرها مجلس أمناء يضم أربعة وعشرين من المثقفين العرب . ويمثل العراق فيها سياسيان بارزان هما :

أديب الجادر - وهو رئيس المنظمة أيضاً ومهدي الحافظ - الاقتصادي المعروف الغريب أن يتخلف العرب في إنشاء مثل هذه المنظمة المهمة ! فهي وليد ناشىء لم يتعد السنوات العشر بعد ! ورغم قصر عمرها ، فإنها أثبتت حضورها في السنوات الاخيرة بحيث بات عددمن الحكام يحسبون لها ألف حساب ... وهذا يزيد في مسؤولياتها .

تكون الكتاب - الوثيقة من ٣١١ صفحة ، وهو التقرير السادس للمنظمة ، ويضم ثلاثة أقسام . قدم الاول دراسة (كلية) لحالة حقوق الانسان في الوطن العربي بينما عرض الثاني الحاله (تفصيلياً) داخل كل قطر ، أما الثالث فتناول الميثاق الافريقي ، شملت التقارير القطرية تفاصيل لاوضاع حقوق الانسان في ٢١ دولة عربية ، احتل العراق (الحصة الكبرى) فقد شغلت كوارثه ٣٤ صفحة !

والعراق واحد من الانظمة القليلة التي تشغل انتهاكات حقوق الانسان فيه الضمير الانساني ومعظم الجمعيات . الدولية والاقليمية المعنية

بحقوق الانسان وذلك منذ ١٩٦٨ – السنه التي تربع فيها صدام حسين على مقاليد السلطة .

ففور نجاح (انقلابه) باشر مهماته في (قصر النهاية) مبتدئاً بـ: معارضيه ، بانياً أجهزة القمع السرية التي ستتولى الامساك بتلابيب كل العراقيين ، مستخدماً أقصى مايمكن من الوسائل (التقنقراطية) في إبادة المشكوك بولائهم ، بعد شطب كلمة حقوق ، وإبدالها بكلمة : واجبات!

هكذا الغى صدام حقوق الانسان العراقي كاملة .

الطريف انه ظل يتباهى بأنه درس : القانون ونال ليسانس الحقوق في جامعة بغداد ، موحياً انه (رجل قانون عارف بالحقوق) !

هذه الشهادة هي واحدة من الاكاذيب التي يسعى لترويجها : لانها واحدة من عقده النفسية الكثيرة ! صحيح انه كان طالباً في الكلية الجامعية / قسم القانون ... ولكنه لم يحضر المحاضرات ، ولم يؤد الامتحانات النهائية ... وبالتالي لم يحمل شهادة بالمعنى الاكاديمي .

بعد نجاح انقلابه جاء في (زفة) قادها برزان – ودخل الكلية في قاعة خاصة يحيط به مجموعة من حملة (الرشاشات) ، وعندما خرج ، سلم برزان (عميد الكلية) دفتراً قال له إنه يتضمن إجابات (السيد النائب) !

وهكذا نال صدام الشهادة بقوة (الكلاشنكوف) – ! وقد اعترض أحد أساتذة كلية الحقوق على هذه المهزلة فكان أن صدر قرار رسمي باحالته الى التقاعد ! !

ولم يكتف (المهيب صدام) بالليسانس بل انتزع – في وقت لاحق – الماجستير الفخرية ثم الدكتوراه الفخرية في القانون ثم رئاسة جمعية الحقوقيين ، ثم رئاسة إتحاد الحقوقيين العرب ...الخ ..

وظلت حقوق الشعب العراقي غائبة ...!

في ١٩٧٠ أصدر ما يدعى بمجلس قيادة الثورة : الدستور المؤقت .

وظلت الوعود قائمة بإقرار دستور دائم للعراق ... ولم يحدث شيء جدّي ...

(الدستـور المؤقت) الذي أصدره (مجلس قيادة الثورة) أوكل كل السلطة الى مايدعى بـ (مجلس قيادة الثورة) !

والمجلس نفسه أنشأه الانقلابيون ولم يستشر العراقيون فيه ...فهو باطل .

كان هذا المجلس الخرافي يضم عدة أشخاص بينهم صدام وبعد سنوات صفىّ معظمهم ، فأصبح هو رئيسه ومقرره والناهي باسمه !

يذكر تقرير المنظمة العربية أن هذا (المجلس) : يملك سلطات تشريعية وتنفيذية واسعة تشمل صلاحية إصدار قوانين وقرارات لها قوة القانون ، والاشراف على القوانين التي يتم التصويت عليها في الجمعية الوطنية « البرلمان » التي يحق له أن يحلها ! كما يجوز للمجلس بأغلبية الثلثين أن يعدل الدستور ، ولا يخضع أعضاء (المجلس) لاية قيود تشريعية أو قضائية حيث لايجوز إتخاذ أي إجراء بحقّ أي منهم إلاّ بموافقة المجلس نفسه .

تعابير التقرير ليست دقيقة ، فقارئه يعتقد أن العراق يملك (برلماناً) بينما هو يملك مؤسسة تدعى - المجلس الوطني - هي فرع من (الحزب الحاكم الاوحد) !

يواصل التقرير قائلاً :

جاءت أهم التطورات التي شهدها الاطار القانوني خلال العام ١٩٩١ في قرار (مجلس قيادة الثورة في ١٩ أيار بإلغاء (محكمة الثورة) ذات الطبيعة الاستثنائية والتي أفتقد الماثلون أمامها حقهم في التظلم من الاحكام الصادرة بحقهم أمام محكمة أعلى .

وما لم يقله التقرير أن النظام أعاد هذه المحكمة - سيئة الصيت - بعد حلها بشهور ... والاعدامات التي تمت ايام انتفاضة آذار ١٩٩١ تؤكد دموية النظام لانها نفذت بواسطة محاكم فورية تفتقد الى أبسط الاصول القانونية .

وجاء في التقرير : صادق المجلس في أيلول على قانون تنظيم الاحزاب السياسية (رقم ٣٠ لسنة ١٩٩١) - ونص القانون الذي اشتمل على ٣٦ مادة على حق المواطنين العراقيين في تأسيس الاحزاب السياسية أو

الانتماء اليها ، غير أن الأقرار بهذا الحق ارتهن بالعديد من الشروط والقيود الى الحد الذي يمكن معه القول بضرورة أن يكون الحزب (بعثياً) حتى يسمح له بمزاولة نشاطه !!

وقد عالج التقرير الفقرة الخاصة بالاحزاب بشكل موضوعي رصين .

الطريف أن مسؤولي النظام أوضحوا لبعثة المنظمة : أن أحداً من القوى السياسية لم يتقدم بعد لتسجيل أحزاب سياسية جديدة !

ومثل هذا الاعتراف يكفي لمعرفة مدى العزلة الخانقة التي يعانيها النظام العراقي المهزوم عسكرياً وسياسياً وأيديولوجياً . !

ولكن رغم هذا لاتزال صحافة (النقيب عدي) تكرر التعابير التي اعتادت عليها منذ أكثر من عقد من الزمن ، فصدام هو : القائد الرمز ، والقائد الضرورة .. الخ .

رمز من ؟ وضرورة لمن ؟ وهو لايجد بضعة أشخاص يشكل بهم حزباً جديداً !!

اختم هذا المقال بسطور من رسالة مهربة من بغداد كتبها لي صديق ظريف ، ضمنها أحدث النكات والطرائف التي يتداولها الشارع هناك ومنها :

يقال إن وطبان التكريتي وزير داخلية النظام يدرس حالياً طلبات إنشاء أحزاب جديدة هي :

١- حزب النخبة رئيسه حسين كامل يضم المقاولين من أصحاب المليارات الجدد .

٢- حزب أصدقاء القائد رئيسه عزة إبراهيم الدوري .

٣- حزب الشبيبة الصدامية رئيسه عدي صدام حسين .

٤- حزب أنصار القائد رئيسه قصي صدام حسين .

٥- حزب جند القائد رئيسه علي حسين المجيد .

٦- حزب براعم القائد رئيسته حلا صدام حسين .

٧- حزب شعراء القائد رئيسه عبد الرزاق عبد الواحد .

٨- حزب رفاق القائد رئيسه ماجد عبد الرضا .

- ٢ -

قراءة تقرير (حقوق الانسان في الوطن العربي) الصادر عن المنظمة العربية لحقوق الانسان في القاهرة لها فوائد وعوائد لاحصر لها .

فعلى الرغم من أن التقرير مكتوب بلغة دبلوماسية شفافة ، إلا أنه يظل وثيقة مهمة تدين النظام العراقي أكثر الانظمة اختراقاً لحقوق الانسان مع سبق الاصرار والترصد !

يناقش التقرير قانون تنظيم الاحزاب السياسية رقم ٣٠ لسنة ١٩٩١ والذي اشتمل على ٣٦ مادة تكبل المواطن وتسلبه حقه في الانخراط بالحزب الذي يعبّر عن آماله وطموحاته .

يقول التقرير :

وضع القانون شروطاً صارمة على الاحزاب فيما يتعلق ببعض اوجه ممارسة نشاطها ، فاشترط أن تكون نشاطات الحزب الخارجية وعلاقته بالاحزاب والمنظمات الساسية في الخارج من خلال لجنة العلاقات العربية والدولية في المجلس الوطني (البرلمان) ..

وعقلية المشرّع المعادي للديمقراطية هي التي تضع مثل هذا القيد الذي يجعل الحزب الجديد - أن وجد - عبارة عن فرع من الحزب الاوحد الحاكم

ولا غرابة أن يوضع مثل هذا الشرط اللامقبول !

فلقد سبق للحزب الاوحد الحاكم نفسه أن وضع شروطاً غريبة لاعضائه وأنصاره منها :

- يحكم بالاعدام كل من :

أ – أخفى شيئاً عن انتمائه الحزبي السابق .

ب – ثبت انه مستمر بعلاقاته السياسية بحزب آخر !

وسلسلة أحكام الاعدام التي تشمل المنتسب الى الحزب الحاكم معروفة ولانهاية لها !

والنظام واحد من البلدان القليلة التي تمنع مواطنيها من الاحتكاك بالاجانب الذين يعيشون على أراضيها ! وهو يمنع المواطنين من الاتصال بالسفارات أو حضور حفلاتها أو قبول دعوات لزيارة بلدان أخرى ولايستثني إلاّ عناصر المخابرات الذين يدفعون لهذه الامور لاغراض تجسسية واضحة !

يقول التقرير :

– إن القانون حظر على الحزب الجديد – إقامة علاقات مباشرة أو غير مباشرة مع أية جهة حكومية في دولة أخرى .

ومالم يقله القانون إنه لابد لهذا الحزب أن يقدم (عمولة) للحزب الحاكم ، مقابل السماح له الاتصال بجهات حكومية أخرى !

ثم :

حظر – على الحزب الجديد – أن يرسل أو يقبل أموالاً الى (أو من) جمعيات أو منظمات أو أشخاص أو أية جهة في الخارج إلاّ بموافقة مجلس الوزراء ، ونص على معاقبة المخالف بالسجن المؤبد .

الحظر جاء مطلقاً ... ولكن :

ألم يسأل المشرّع نفسه بأن بإمكان الحزب الجديد التبرع الى منظمات أو جمعيات (ثورية) أو (وطنية) أو (إنسانية) ؟ !

– ألا يحق له التبرع لصالح القضية الفلسطينية ، التي يتاجر باسمها النظام ليل نهار ؟

– ألا يجوز له التبرع لجمعيات رعاية الطفولة او للشعوب المنكوبة أو حتى للبيئة ؟ وفي المقابل :

لماذا لايجوز للحزب أن يتقبل أموالاً غير مشروطة ؟ أم أن النظام يحرص على تأمين (عمولته) منها ... مسبقاً ؟ !

يضيف التقرير قائلاً :

اشترط القانون أن تقدم الاحزاب سنوياً الى وزير الداخلية بياناً بأسماء المنتمين الجدد ، وعددهم وعناوينهم ، ومهنهم ، وأسماء الذين فقدوا العضوية (وأية بيانات أخرى تحددها التعليمات ...) !

– هكذا يساوي القانون بين الاحزاب و :

– روضات الاطفال !

فمدير الروضة يقدم سنوياً كشفاً بأسماء المسجلين عنده !

نص القانون أيضاً :

– يتيح القانون للاحزاب منحة سنوية من الدولة يقرر (رئيس الجمهورية) مقدارها ليس في ضوء المنتمين للحزب ، وعدد ممثليه في (المجلس الوطني) ، ولكنه أضاف الى ذلك معياراً محدداً هو :

– دور الحزب في النضال الوطني ...

– الواضح أن المشرع استوعب التعابير الصدامية المكررة وخاصة :

المنحة ... والنضال الوطني !

والربط العضوي بين المنحة والنضال مقصود ، ولهذا فإن (صدام حسين) يعتقد أن :

مكارمه كفيلة بحل مشكلات الكره الارضية كلها !!

وهكذا فإنه ترك لنفسه تحديد مقدارها !

وكان منسجماً مع نفسه عندما قرر :

– أنه يحدّد مقدار حجم هذه (المنحة) ولايهمّه عدد المنتمين الى (الحزب) أو شعبيته !

يذكر التقرير أن المنظمة أثارت مع مسؤولي النظام بعض المشكلات الجوهرية التي ينطوي عليها قانون الاحزاب ، وإنهم اقروا بوجود مشكلة بأحدى مواد القانون التي تتعلق بـ (حق) الحزب الحاكم وحده العمل داخل القوات المسلحة وقوى الأمن ، فقد برروها بالحاجة الى :

– استقرار هذه المؤسسة الحيوية ...

وإنهم يأملون في أن تكون هذه المسألة انتقالية تزول بزوال الحاجة إليها ، كما أوضحوا أن أحداً من القوى السياسية لم يتقدم بعد ، لتسجيل أحزاب جديدة ... وتبرير النظام الاستئثار بالعمل داخل القوات المسلحة يثير السخرية ... أما المسالة الانتقالية فقد سماها شعبنا : الانتقامية !

بقي أن نذكر بشيء لم يكتب في الفقرة الخاصة بترك صلاحية تحديد حجم (منحة) الاحزاب لرئيس النظام ...

فهذه (المنحة أو المكرمة) تحدد في ضوء حجم (الحفلات) التي يقيمها (الحزب) في يوم مولد صدام حسين ... المعروف ... المجهول !!

سعـــدون حمـــادي:
الصمـــغ

أخـيـراً اقـتـنـع (صـدام) بضـرورة (الديمقـراطيـة) فـهـدد الشـعب بالاستعداد لتحقيقها بعد (استفتاء) !

ولانه يخشى أن لايستوعب الشعب العراقي (الديمقراطيـة) جرعـة واحدة ...

فقد أثر أن يزوده بها على

- جرعات !

ولانه أصيب بعيون الحساد ، فقد قرر التنازل عن إحدى الوظائف الكثيرة التي يتحمل (مسؤوليتها) منذ اثني عشر عاماً!

أخيراً قرر (فك الاشتباك) بين :

- رئاسة الدولة ...

- ورئاسة الحكومة ...

خطوته هذه جاءت (متأخرة) ...

ككل الخطوات التي مارسها منذ تسلقه سدة الحكم !

- وتلفت (صدام) باحثاً عمن يمكن أن يتولى هذا منصب (رئاسة) الحكومة .

- ولما كانت بقايا كادر (أسرة المافيا) التي يرعاها قلة ، فقد وقع الاختيار على :

- سعدون حمادي !

وجاء تعيينه بعد استشارة مندوب (الاتحاد العالمي للفلكيين) والذي استدعاه على عجل من باريس :

– طلب (الفلكي) أسماء المرشحين مع أسماء أمهاتهم – كما تقتضي اصول المنجمين وبعد أن طالع (ملف) كلٍّ منهم قال :

– ياسيدي ، وجوههم كالحة ، ولكن لابأس بالاستعانة بهذا !

وأشار الى صورة (سعدون) !

وأصدر (صدام) (الفرمان) المطلوب ...

وسعدون عضو ما يدعى بـ(مجلس قيادة الثورة ...)

و القيادة القطرية .

وهو واحد من أعتق عناصر (الحزب الحاكم) .

له مزايا عديدة أهمها أن الكلمة التي يفضل ترديدها صباح مساء :

– موافق !

وإضافة الى هذا فهو :

– مطيع !

وتبلغ مجموع الضحكات التي (ضبط) بتفجيرها في حياته بـ

– ثلاث مرات !

وهذا يعني انه يضحك مرة كل عشرين سنة !

وقيل إن ضحكته الاخيرة كان سببها !

– لطيف نصيف جاسم !

ولهذا حرص على استبعاده من التشكيلة الوزارية !

وقد استطاع اقناع سيده بأن وزير الاعلام « ثوري » لايصلح إلاّ لزراعة الخضار !

وبما أن العراق مقبل على « ثورة زراعية » فإن « اللطيف » قد ينجح في تطويرها !

وحمادي اسم جده .

ووالده رجل كادح ، غير أنه يستنكف من ذكره !

بل أن والده يشكل له عقدة نفسية لم تحل بعد !

وقد توفي منذ عدة سنوات ،وكتب (الابن) نص النعي بنفسه ، وأرسله الى الصحف وبدايته :

– انتقل الى رحمة الله والد الدكتور سعدون حمادي عضو ... ووزير الخارجية !

وعدم ذكر اسم أبيه ، هو الامر الوحيد الذي رفض سعدون تطبيقه من القرارات الثورية !

كان القانون يلزم المواطن العراقي ذكر اسمه (الثلاثي) .

– ثم صدر تعديل يلزم المواطن ذكر اسمه (الرباعي) !

– وأخيراً صدر تعديل يلزم ذكر الاسم (الخماسي) !

ولد سعدون في كربلاء (١٩٣٠) ، وكان طالباً متفوقاً ، أنهى دراسته الجامعية في الجامعة الامريكية في بيروت ، ثم ابتعث الى الولايات المتحدة الامريكية حيث نال الدكتوراه في الاقتصاد السياسي من جامعة ويسكونس – ماديسون .

– انتمى الى (الحزب) في الخمسينات وبعد قيام النظام الجمهوري/ ١٩٥٨ تولى تحرير جريدة (الجمهورية) وبعد تعطيلها ، غادر الى بيروت ومنها الي ليبيا ، وبعد انقلاب شباط / ١٩٦٣ تسلم الحقيبة الوزارية الاولى (الاصلاح الزراعي) .

– وبعد انقلاب المشير عبد السلام عارف استقر في دمشق حيث عمل في إحدى منظمات الامم المتحدة في دمشق .

– بعد ١٧ تموز / ١٩٦٨ عاد الى بغداد ليرأس شركة النفط الوطنية ، ثم وزارة الخارجية (من ٧٤ حتى ١٩٨٣) وكان قبل ذلك قد شغل وزارة النفط والمعادن .

– حرص سعدون على البقاء بعيداً عن صراع (الاجنحة) داخل (الحزب الحاكم) ، لانه يعتقد أن المهم بقاء (الحزب في السلطة) ... وعندما انفرد (صدام برئاسة الدولة والحزب) (١٩٧٩) اقتنع إنها (نهاية النهاية) ! وفي

إحدى زياراته لاحد أقطار المغرب سأله أحد أصدقائه القدامى عن رأيه بـ(صدام) فأجاب :

- انه كالصمغ يصعب قلعه !

أجاب بكل صرامة ، ودون أن يبتسم طبعاً !

أما اسم والده - والذي يستنكف من ذكره فهو

- لولاح .

نيسان ١٩٩١

طه ياسين الجزراوي:
العــاشــق

- مشكلتك يمكن أن يحلها (السيد النائب الاول) .

نظرت الشابة الى محدثها وقالت مستغربة :

- وما علاقة (نائب رئيس الوزراء) بهذا الموضوع الشخصي البحت ؟

أجابها « ذو الشوارب الغليظة » قائلاً :

- إنه المسؤول عن أشياء بينها تحويل العملات الى الخارج !

هنا نهضت الشابة منصرفة .

في طريقها الى مكتب طه ياسين رمضان استغربت ماجرى لها ، فمنذ أسابيع وهي تسعى لتحويل مبلغ لاخيها الطالب ، الموجود في إحدى الدول الاوروبية ، ثم فوجئت عندما همس بأذنها أحدهم :

- لابد من فتح ملف له .

وقال لها آخر :

- فتح الملف ياآنسة ،يتطلب شروطاً ، منها :

- أن يكون الطالب (بعثيا) .

- أن يكون عضواً في (الاتحاد الوطني للطلبة) .

وراح يعدد لها الشروط ، وآخرها كفالة مقدارها نحو ٤٥ الف دينار .

لقد بذلت جهداً مضنيا في سبيل إبعاد أخيها ... وبذلت المستحيل في سبيل الحصول على قبول له في إحدى الجامعات الاوروبية.

أمضت الشابة أسابيع تدور بين دوائر وزارتي التربية والمالية

والبعثات (ومنظمة الحزب) وإتحاد الطلبة ، ولم تنجز المعاملة ، ولم يفتح الملف الموعود .

وكانت فكرة الاتصال هاتفياً بصدام قد راودتها ، غير انها صرفت النظر عن تنفيذ هذه الفكرة !

– صحيح انه حل مشكلة كثير من النساء اللواتي استقبلهن ولكنها ترى انها قضية صغيرة لايصح أن تشغل بها « الشخص الاول » ، لعلها تكلفه بقضية أكبر ، فكرت مع نفسها . وعندما زارت مكتب مدير النائب الاول ، لم تجد صعوبة في تحديد موعد معه ، فهي تملك جمالا آخاذا ، ولساناً طيبا . وعندما صافحها « النائب » بهر بجمالها . . .

كانت قد استعدت ، ارتدت أفضل مالديها ، ووضعت أحسن ماتملك من مساحيق وعطور ، قدمتها لها صديقة لها تجاربها مع (المسؤولين الثوريين) .

وفور أن القى عليها نظرة فاحصة ، أغلق الباب ...

وطلب من مدير مكتبه صرف كل المراجعين ، والرد على التلفونات نيابة منه ، لانه مشغول جداً . ولأن الحب يقدح من النظرات الاولى ، فلم يخف ، « السيد النائب » اعجابه بالشابة الحسناء . . . صعق بها ونهض عن كرسيه . . . ليتبسط معها في الحديث .

أغمضت البنت عينيها لحظات . . . بينما كانت تحتسي الشاي الذي طلبه لها .

هذه هي المرة الاولى التي تشاهد فيها هذا الرجل ، الذي ارتبط اسمه بالعنف والشدة ، كانت تغلق التلفزيون عندما يظهر على الشاشة وقد تذكرت الكثير من النكات التي دارت حوله عندما نفذ قانون « الترشيق » وأنقص من وزنه نحو عشرين كلغم !

وكادت تضحك وهي تتذكر قانون « الترشيق » الذي أصدره (صدام) بعد أن وصفت صحيفة أجنبية (طه رمضان) بالذات بأنه يشبه (دبابة صغيرة) .

عاد (النائب الاول) للحديث ، وعندما علم انها من تكريت . . . ارتعش قليلاً ، وأثناء شرب الشاي ، كان يتطلع اليها ويرشقها بنظرات لم تعرها اهتماماً كبيراً .

المهم انه أنجز ما أرادت – قدر إمكانه – وصارحها انه يملك بعض الصلاحيات ولكن ثمة أشياء لدى جهات أخرى ، وعندما راحت الشابة تتطلع الى ساعتها ،طلب منها أن تراجعه في موعد ، حدده بعد أيام

(لانجاز القضية) . وفي خلال أيام ، تم كل شيء ...

تقدم لخطبتها ،وتزوجها ... على سنة الله !

– هي في نحو العشرين وهو يتجاوز الخمسين بقليل .

– ثلاثون عاما ،ليست فرقا كبيرا

– قالت (الرفيقة) التي كلفها باعداد (الصفقة) ...

وأضافت بهدوء :

– صحيح أن الشيب يعلو رأسه ،ولكنه نشط ، ومنضبط ! تصوري انه، في هذه السن ، يباشر عمله كقائد (للجيش الشعبي) في الخامسة فجراً!

دفع ربع مليون دينار كمهر للشابة الحسناء ، ووضع تحت تصرف زوجته الاولى – أم نادية

– مبلغ ربع مليون دينار آخر لترميم البيت ...

– وعندما علمت – أم نادية – بتفاصيل الموضوع ، اتصلت (بالرفيقة الدلالة) قائلة (بلهجة أهل الموصل) :

– أعرفكن – عضوات الاتحاد النسائي ، لاتصلحن إلا للاعمال الوسخة... ولكن ليس العتب على طه الذي تزوجته وهو نائب ضابط ، حافٍ ..

و .. نظرت الى الصورة التي تجمع بين زوجها وبين سيده صدام والموضوعة في غرفة النوم ... وأغلقت الخط .

أما قائد (الجيش الشعبي) فقد نام مرتاحاً ،لانه حقق حلماً يطوف في ذهنه منذ عشرين عاماً .

– الزواج من ....تكريتية !

عـزة الـــدوري: الفيـــل!

براءة .

لم يصدق (جمال) أن يفرج عنه حقاً . راح يحاول أن يقّبل يدي

(رئيس المحكمـة) الذي نصحـه بالتـزام القـوانين والانظمـة ، منذ أسابيع وهو ينتظر لحظة الفرج .

راح يستعرض شريط حياته .

فبعد أن خدم في (الجيش الشعبي) سنوات طويلة . وفق في إقناع آمريه بصرفه منه - بعد أن قدم اثباتات تؤكد حاجة أسرته الكبيرة اليه، أمه العجوز ذهبت بنفسها الى (مسؤول المنظمة) وبكت بين يديه كثيراً . قال لها : لا أستطيع أن أفعل شيئاً كثيراً ، سأجرب .

وتكررت زياراتها . قدمت هدايا مناسبة لزوجة

(المسؤول) ، قدر طاقتها .

وأخيراً بعث بطلبها مساء ، وبشرها قائلاً :

- ياحاجة ، سيزور مدينتنا (..) تعالي وأعدي طلباً له ، وسأعاونك فعلا ، وتم كل شيء .

رق لها قلب (المسؤول) وقال :

- لا تقلقي سأوصي بجمال ، خيراً .

أخيراً عاد اليها ذات يوم فرحاً ، بعد أن أصبح (طليقاً) !

زغردت أمه .

وسر أطفاله ، وعاد لعمله لدى أحد البقالين .

وذات مساء ، وبينما كان يسهر في مقهى المدينة ، تقدم اليه أحدهم وسأله :

– لماذا لاتطور (نفسك) ؟ أنت شاب . !

– هل يجوز أن تبقى طيلة حياتك وأنت (صانع بقال) ؟

فوجىء (جمال) ورد قائلاً :

– ياأخي أنا أشكرك على ملاحظاتك ولكن : أين هي الأعمال ؟ البلد في حالة حرب ... والوضع كما ترى وتسمع ...

أجابه الآخر :

– على ذكر الوضع ، هل سمعت آخر النكات ؟

– كلا ... لأنني بين البيت والدكان والمقهى ...

هنا همس في أذنه بعدة نكات ، جعلته إحداها يقفز من الكرسي .

عاد (جمال) الى البيت ، وفي ذهنه مشروع السفر الى العاصمة ، لمحاولة إيجاد عمل معقول له في فرع إحدى الشركات الموجودة في المدينة.

في بغداد ، وأثناء مراجعة الشركة تعرف الى شخص أبدى له بعض المساعدة ، مما جعله يثق به .

وبينما كان يستعد للعودة الى المدينة ، بعد أن يئس من الحصول على العمل الموعود ، القي القبض عليه .

دهش ، وتصور أن ثمة خطأ ما في الاسم .

اقتيد الى مكان ما يجهله ، واذا به يتلقى الصفعات والركلات والشتائم اندفعت الدماء غزيرة من أنفه .

ولم يعرف المسكين تهمته .

سأله المحقق .

– اسمك ؟

– جمال . م . ع .

- من أين ؟

- من سكان قضاء (الخالص) .

وراح يمطره بالأسئلة الدقيقة عن أسرته ، وأصدقائه ومدينته ، وفجأة سأله :

- يقال إنك تجيد القاء النكت ؟

صمت .

وأحس بالشر . وتمتم مجيباً :

- لا ياسيدي ، لا أعرف النكتة .. إنني مواطن بسيط .

هنا فتح المحقق مسجلة صغيرة . وسأله :

- هذا صوتك . أليس كذلك ؟

شحب وجه (جمال) وأجاب :

- نعم ... ولكنني لا أقصد شيئا ...هذه أشياء تقال لتمضية الوقت... ولا أبغي الاساءة الى أي أحد ...

حدق المحقق في عيني (جمال) جيداً وقال له :

- اسمع ،أحب أن أساعدك .

- أشكرك ياسيدي .

- فقط أعطنا اسم الشخص الذي روى لك هذه النكات ...

- لم يجب (جمال) .

- وبعد عدة صفعات .

اضطر للاعتراف .

أشرق وجه المحقق ..

أخيراً أطلق سراحه بعد أن ثبتت سذاجته .

أما التهمة التي سيق بسببها الى المحكمة فتتلخص بأن أحدهم توجه الى (نائب رئيس مجلس قيادة الثورة) وسأله :

هل صحيح أن الفيل يطير ؟

ضحك (الابرص) وقال متهكماً :

– أمــجنـون أنت ؟ كـيـف يـطيــر أثقل الحـيــوانات وزنا وهو لايملك أجنحة؟

– هنا أوضح له الاول أن (القائد المنصور) رأى في الحلم أن فيلاً قد طار فعلاً .

هنا اعتدل (السيد النائب) في جلسته ، وقال بكل جدية :

– صحيح إن الفيل يطير ، ولكن على خفيف .

سمير محمد عبد الوهاب الشيخلي:
قـاتـل أبيـه

في الثامن من (آذار) ١٩٩١ أصدر صدام حسين ، مرسوماً بأعفاء وزير داخليته ... والاعفاء ، مصطلح أدخله (القائد) في القاموس فمنذ تربعه على عرش العراق فقد المسؤولون شخصياتهم وتحول الوزراء الى مايشبه (قطع الاثاث) :

ليس من حق واحد منهم الاعتراض وليس من حقه أن يستقيل ، ولا حق له في المناقشة !

والطريف أن مايسمى بـ « المجلس الوطني » أمضى ثلاث جلسات لمناقشة قضية خطيرة هي :

* هل يجوز أن يحيل استفساراً الى « مجلس قيادة الثورة » ؟ !

وأخيراً قرر انه : لا يحق له ذلك !!

كلمة لامشطوبة في قاموس (صدام) ! والقرارات والمراسم يتخذها شخص هو : رئيس الجمهورية ، ورئيس الحكومة العراقية ..يضاف اليهما سلسلة من المسؤوليات المدنية والعسكرية ، الحزبية والامنية والرسمية...

ولا توجد مدة محددة لرئاسة صدام فهو رئيس مدى الحياة ... حياته هو طبعاً !

والوزراء الذين اعترضوا وقالوا : لا - وهم قلة - سكنوا القبور ! وزير الداخلية الذي - أقيل - بسبب عدم قدرته على قمع انتفاضة الشعب العراقي ، سمع نبأ اقالته بينما كان يتفقد خيوله الاصيلة ويطعمها « الشعير » في ملحق مزرعته .

– سمير محمد عبد الوهاب الشيخلي « وزير الداخلية المقال » كان حتى الستينات مجرد شقي محترف ، وطالب فاشل ، وقد اعتقل غير مرة لاسباب لاصلة لها بالسياسة .

وبعد اعتلاء صدام سدة الحكم ، بحث عن وظيفة ما ... ولم يجد سعدون شاكر – الذي يعرفه – حرجاً من تعيينه فراشاً في مكتبه الامني المعروف بـ « قصر النهاية » .

كان « سمير » يعد الشاي والقهوة للزمرة ، لكل العناصر التي كانت تعمل على إنشاء جهاز لمخابرات النظام ، وان يتطوع لتعذيب الوطنيين ولم يجد صعوبة في جعل « سعدون » يعتمد عليه ويرقيه الى منصب مدير مكتب خاص .ثم نقله كمسؤول لمخابرات النظام في سفارته بباريس

وخلال وجوده أواخر السبعينات شهدت الساحة الفرنسية صراعاً عراقياً فلسطينياً وتعرضت سفارة النظام الى هجوم مسلح ، واثر تدخل البوليس الفرنسي قتل اثنان من عناصره برصاص (سمير) نفسه!

وتحولت المسألة الى فضيحة اهتزت لها فرنسا ! خرج الالوف من رجال الشرطة الفرنسية طالبين حمايتهم من « الارهاب العراقي » ! . واكتفت السلطات الفرنسية بطرد سمير فقد كانت العلاقات الفرنسية – العراقية في أوج ازدهارها .

وبعد عودته الي بغداد مطروداً ، نال « التكريم » ، اللائق من سيده .

في ١٩٧٩ عين أميناً للعاصمة ، ورصدت له مبالغ طائلة سرق منها ماشاء ، وكانت له واجبات محددة بينها : تحجيم « مدينة الثورة » وتصفيتها .

وهذه المدينة المزدحمة بكادحي الجنوب ، بؤرة ثورية للمعارضة ، وكان أول ماأقدم عليه تبديل اسمها التاريخي إلى « مدينة صدام » !

وخلال أيام باشرت (البلدوزرات) أعمالها في هدم ازقة المدينة ... وفي الوقت نفسه زج بالمئات من عناصر المعارضة في السجون ...واراد صدام اختباره من جديد ، غامر بتنفيذ جريمة لايقدم عليها إنسان ، وعندما نفذها اختاره ليكون وزيراً للتعليم العالي !

ولم يستغرب أساتذة الجامعات اختيار قاتل محترف ، نال شهادة (الليسانس) في التجارة دون أن يطأ عتبة الجامعة ، بسبب نفوذه البوليسي !

- الاهانة التي ألحقها سمير بالمعلم والتعليم كانت اعتيادية ...

وفي ١٩٨٧ اختير وزيرا للداخلية خلفاً لسعدون شاكر ... ولم يستغرب أحد صعود نجمه وارتفاع رصيده لدى « سيده » بعد أن صفى صدام رفاق الطريق ! فـ « سمير » يملك كل المواصفات : بلطجي ، ترعرع في سراديب التعذيب والقهر ...

والدولة يتزعمها : « صدام حسين » ! ...

لا اعتراض إذا إلاّمن سعدون شاكر الذي بلع هذه الاهانة ، وغيرها .

خلال وجوده في وزارة الداخلية « لم يقصر » في إهانة كثير من المسؤولين العاملين معه ، فكان لايتورع عن استخدام يديه وقدميه وعصا غليظة أهداها له صدام عشية تسلمه « المنصب الوزاري » !

ولم يجد الموظفون وسيلة للاحتجاج على تصرفات هذا الجلواز إلا بتقديم طلبات باحالتهم الى التقاعد ! وشهد عهده أكبر حملة جماعية لترك الوظيفة ! وكان من بين المتقدمين من لم تتجاوز خدماته ١٥ عاماً ! قدم هؤلاء شهادات صحية للتحايل ! واشتهر عهده بالفساد الاداري وانتشار الرشوة العلنية !

أصبحت الرشوة في عهده عرفا له قواعد وأصول ! فمدير عام شرطة المرور مطالب بأن يقدم له مبلغاً شهرياً ، محدداً باهظاً ! وعلى هذا المدير أن يتدبر شؤونه : يختلس ماشاء من مخالفات السيارات الشخصية أو سيارات الاجرة - مثلاً !

ومدير الشرطة العام مطالب بتقديم مبلغ أكبر ! وعلى المدير أن يرتب أموره (من الملاهي أو الحانات أو .. أو ..) :

وكان ما كان مما لست أذكره

فظنّ خيرا ولا تسأل عن الخبر

وفضائح مدلل صدام ، كما يسمه البعض أو (الفرّاشة) كما يسميه

بعض الخبثاء ، كثيرة ، تحتاج الى مجلد خاص من موسوعة العراق تحت ظل صدام التي تصدر مستقبلاً!

بقي أن نقول أن الجريمة التي نفذها بأمر من سيده والتي لا يستطيع أن يقدم عليها إنسان كانت قيام سمير بقتل والده !!

لم يناقش ...

ولم يعترض ! ولم يحاول معرفة السبب ، إن وجد !

قتل والده ...

وأشيع في وقته أن - أبا طبر - « أحد الاسماء الحركية للمخابرات » هو القاتل ...

وكالعادة حضر صدام مجلس الفاتحة المقام على روح والد وزيره الخطير!!

طلفــاح الــوالــي

مساء الرابع من (آذار) ١٩٨٣ فوجيء العراقيون بمنظر طريف على الشاشة الصغيرة ... فقد نقل التلفزيون لقطات عن « تبرعات المواطنين للمجهود الحربي » .

وفجاة لمحوا شخصاً معروفاً يتقدم بكيس محشو بالنقود ، وبعد أن تم عده – أمام العدسة – تبين انه يحتوي على : ربع مليون دينار !

وعلى الرغم من ظروف الحرب واشتداد الرعب والمأساة ، شغلت هذه المسألة (الصغيرة) الرأي العام العراقي ...

لقد أجبر المواطنون على التبرع ، وانتزعت الاساور الذهبية من أيدي النساء ، والأقراط من أذان الاطفال ...

ولامتصاص نقمة الجمهور الغاضب عرضت على المواطنين مشاهد تمثل « تبرع » حاشية (صدام) وازلامه .

و« المتبرع » بربع مليون دينار موظف متقاعد ! والمتقاعد في العراق لايزيد مرتبه على ٢٠٠ دينار أيامئذ .

وراح الناس يتساءلون : من أين جاء بهذا المبلغ ؟

وحسب أحدهم السنوات التي يستطيع خلالها جمع هذا المبلغ ، فتبين انه يحتاج الى ١٨٠ عاماً بالتمام والكمال !!

المتبرع ، لم يكن من عامة الناس ، فقد كان خال « صدام » ووالد زوجته.

ولد خير الله بن طلفاح بن مسلط بتكريت سنة ١٩١٣ . وفي ١٩٣٤ تخرج في دار المعلمين الابتدائية ، وبعد أن مارس التعليم أربع سنوات دخل الكلية العسكرية ليتخرج فيها سنة ١٩٣٩ . وأثر حركة (أيار) ١٩٤١

طرد من الجيش فعاد الى التعليم وأثر مجيء الحزب الحاكم الى السلطة في (تموز) ١٩٦٨ عين محافظاً لبغداد فرئيساً لمجلس الخدمة . ثم أحيل الى التقاعد حيث انيطت به رئاسة جمعية المحاربين .

يعتبر « الحاج » كما يفضل أن يلقب ، واحداً من أغنى ثلاثين شخصية عراقية اليوم !

وحتى ١٩٦٨ كان يقيم في بيت متواضع بحي دراغ في بغداد مع أسرته التي تتألف من أربعة أولاد وثلاث بنات ... وخلال توليه محافظة بغداد شرع باغتصاب أموال الناس وعقاراتهم بمختلف الاساليب .

ويصعب حصر الطرق التي كون بها ثروته الطائلة . ويمكننا الاشارة هنا الى بعضها :

١- جمعية بناء مساكن للموظفين ،لقد مكنته هذه الجمعية من الحصول على قطع سكنية كثيرة بأسماء عدد من صغار الموظفين ،لقاء مبالغ زهيدة.

٢- إنشاء جمعية استهلاكية للموظفين ، حيث استطاع الحصول على عمولات من الشركات التي تتعامل مع الجمعية .

٣- جمعية المحاربين القدماء التي استطاع الافادة منها ، ومن الجريدة الاسبوعية التي تصدرها .

٤- إصدار كتب كثيرة تزيد على خمسين كتاباً بينها : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، وما كتبته لك وقرأت ... وما أشبه ! وقد فرضت هذه الكتب على المواطنين بالقوةوهي نقول جمعت له ولم يكتب منها شيئاً.

٥- في ١٩٨٥ قرر صدام تصفية القطاع العام (الاشتراكي) فما كان من طلفاح الا انتهاز هذه الفرصة لشراء عدة شركات بينها «شركة المطاحن».

٦- أنشأ طلفاح شركات عديدة بأسماء ولديه لؤي ومضر ...

وعلى الرغم من كثرة المحن التي صادفته ومنها إصابته بالشلل وقتل ابنه البكر على يد ابن أخته صدام (!) فانه واصل جمع ثروته دون كلل

ودخل السجن العديد من المواطنين بتهمة التنكيت على « خال الحزب » و« عم الدولة »!

ووالي بغداد - كما يسميه البعض - « شعبي » فهو حريص على التجوال في أنحاء العاصمة مطلع كل شهر ! وينتظر العديد من المواطنين هذه الزيارة للتسلي برؤيته وهو يمشي على العربة الخاصة بالعجزة ، في حين يحرص هو على صبغ شعره بلون أسود فاحم !

موكب « الحاج » يتكون من عدة سيارات وفي مؤخرته شاحنة كبيرة وهو ينطلق فجراً و حتى الظهر يكون قد ملأ الشاحنة بما يتيسر من حاجات استهلاكية ومنزلية دون أن يدفع ثمنها طبعاً !! وفي طريق العودة يعرج على أحد المطاعم الراقية في حي المنصور لتناول طعام الغداء مع عدد من أفراد حاشيته .

وذات ظهيرة طالبه أحد أصحاب المطاعم بالدفع ! غضب وتطلع الى الجدار فرأى صورة (صدام) ، فما كان منه إلا أن رمى « الفاتورة » على « الصورة » قائلاً لعامل المطعم خذها له ليسدد ثمنها !!

يعتبر الحاج نفسه من كبار المفكرين ،ويستغرب كيف يتجاهل الحزبيون نتاجاته ؟ ! إلا أن ملفه الشخصي في « وزارة التربية » يشير الى انه (معلم فاشل) ! وتعد الكتب التي صدرت باسمه ، صورة لجهله ! وأغلب هذه الكتب سطا عليها ! ذلك انه كلف ثلاثة أشخاص يتولون مهمة اعدادها !

واحتل كتيب صغير ظهر سنة ١٩٨٠ أكبر قدر من النكات اللاذعة في العراق ويتضمن الكتيب مقالة خلاصتها إن الله - جلت قدرته - أخطأ في خلق ثلاثة أشياء هي :

المجوس واليهود والذباب !

وقد حار الناس في أسباب زج الذباب بهذا الشعار الطلفاحي ! فلم يتوصلوا الى نتيجة !

... في سجن « أبي غريب » مواطن حكم عليه بالسجن عشر سنوات أما تهمته فهي انه وضع أمام كلمة الذباب في نسخته من كتيب

(الوالي) أسماء : صدام ، برزان ،سبعاوي ،وطبان وخامسهم :طلفاح.

ناصر الحاني:
المستشار

في الحادي عشر من / تشرين الثاني ١٩٦٨ نعت بغداد الدكتور ناصر الحاني المستشار في رئاسة الجمهورية .

قالت في بيانها الذي بثته وسائل الاعلام المختلفة :

عثر على جثة الفقيد في (قناة الجيش) ...

ووعد البيان بـ : البحث عن القتلة .

والاقتصاص منهم ...الخ ...

وها قد مرّ نحو ربع قرن دون أن نعرف (هوية) القتلة ...

لماذا ؟

السبب بسيط :

فالقتلة جزء من (السلطة) .

وبدلاً من الاقتصاص منهم :

كوفئوا بالترقيات و(المكرمات) المناسبة !

كانت هذه من الجرائم الاولى التي أعلن عنها أصحاب (الثورة البيضاء) - كما وصفوا أنفسهم بأعتبارهم تسلموا السلطة (دون إراقة دماء)...

كانت هذه الجريمة بداية إغراق العراق بحمامات من الدم حتى كتابة هذه السطور !

وكانت ، الضربة الاولى التي سددها صدام حسين لاحمد حسن البكر رئيس الجمهورية في حينه .

ولد ناصر الحاني في مدينة (عانة) سنة ١٩١٧ في أسرة لها منزلتها الاجتماعية في محافظة الانبار . ومنذ صغره أظهر تفوقاً على أقرانه

في المدرسة – ومال الى الادب ، واكمل دراسته في بغداد حيث راح يرتاد المجالس الادبية التي يعقدها الزهاوي والرصافي وغيرهما في مقاهي بغداد ومنتدياتها . ثم أرسل في بعثة الى بريطانيا على نفقة الدولة حيث نال (الدكتوراه في الفلسفة عن اطروحته (النقد الادبي وأثره في الشعر العباسي) ، وعاد الى بغداد ليواصل نشاطه الادبي والثقافي ، ويمارس التعليم الجامعي في عدد من المعاهد الجامعية ويؤلف الكتب التي تشهد له بالعمق والاصالة والاحاطة بالموضوعات التي تناولها . ثم انتقل الى وزارة الخارجية حيث تدرج في السلك الدبلوماسي ، وأصبح سفيراً للعراق في عدد من البلدان وعاد الى بغداد ليعين وكيلاً لوزارة الخارجية.

سياسياً : كان الحاني يعتبر من القوميين العرب المعتدلين ، ولم ينتسب الى حزب أو تجمع سياسي.

وعندما ألف عبد الرزاق النايف حكومته اليتيمة في ١٧ تموز ١٩٦٨ عينه وزيراً للخارجية .

لم تكن للحاني صلة عميقة بالنايف ، غير أن الاخير عندما كلف بتشكيل الحكومة أراد أن يسند الخارجية الى دبلوماسي محترف مستقل، يستطيع أن يقيم للعراق سمعة حسنة في الاوساط العربية والاقليمية والدولية ، وبعد أن درس عدة أسماء ، اختار الحاني .

وبحكم خبرته الوظيفية القديمة ، وجد الوزير نفسه محاطاً بأوضاع غير طبيعية ، فقد كان العراق في تلك الايام يموج بالعواصف التي نتج عنها النظام الجديد والتي تتلخص بوجود :

١– حزب البعث وأجهزته .

٢– كتله العسكريين القوميين النايف – الداود ..الخ ..

٣– تيارات اجتماعية ودينية أخرى معادية .

فآثر أن يقيم موازنة بين هذه الكتل من خلال احترام الشخصيتين المهمتين (البكر ، النايف) ...

كان صدام حسين في هذه الفترة – مشغولاً بإنشاء جهاز (مخابرات) بعد أن اتخذ مقره في (قصر النهاية) – قرب جسر الخر في بغداد – معتمداً على عناصر (خط حنين) السري ، مستفيداً من تجارب (الغستابو) وأجهزة المخابرات في دول أوربا الشرقية ، وكان يسعى

لتصفية العناصر المهنية من الدبلوماسيين والعاملين في السفارات العراقية الموجودة في الخارج ، وابدالهم بعناصر من ازلامه .

ولم يكن صدام يشغل أي منصب رسمي في الدولة ، فلم ير سوى مرة واحدة - يحمل فيها رشاشة عتيقة ، من طراز (كلاشينكوف) خلف سيده البكر - وقد فهم الناس من صورته التي ظهرت في التلفزيون انه أحد أفراد حماية (رئيس الجمهورية) .

غير أن صداماً فوجيء بوزير الخارجية الجديد ، الذي رفض تعيينات أشخاص

- (لاكفاءة ، ولا شهادات عندهم) !

كما رفض تدخل صدام وأمثاله - ممن لامناصب رسمية لهم في شؤون وزارته ...

ولم يجد (الحاني) مفراً من الشكوى الى (البكر) .

اشتكى لديه من تدخل (صدام) ... وشرح له كل شيء .

تدخل (البكر) لصالح (الحاني) ... مما أغضب صدام وجهاز مخابراته .

ثم تكررت الحوادث .. حوادث الانتهاكات والتجاوزات .

وتكرر تدخل (رئيس الجمهورية)

حنق صدام على (الحاني) وتوعده بعقاب اثيم ...

وعندما قام صدام بتنحية النايف والداود بعد ١٣ يوماً فقط من تشكيل النايف حكومته ...

انفرد (البعث) بالسلطة .

واشترط على (البكر) عدم استيزار (الحاني) .

غير أن (البكر) قرر الاحتفاظ بالحاني كمستشار شخصي له .

وعندما باشر الرجل عمله في (القصر الجمهوري) أحس أن شبح صدام حسين مازال موجوداً ...

إنه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ...

كان (البكر) يستشير (الحاني) ...

وكان (الحاني) مخلصاً - صريحاً في نصح رئيسه ..

ووصلت الاخبار الى صدام حسين من الجواسيس الذين زرعهم في (القصر الجمهوري) بدءاً من عمال التلفون وانتهاء بمدير مكتب (رئيس الجمهورية) ...

عندما أحس صدام حسين أن (الحاني) يقف حجر عثرة في طريق طموحاته قرر تصفيته ..

ولم يجد صعوبة في رسم الخطة ...

أوعز الى أحدى الصحف اللبنانية أن تنشر مقالاً عنيفاً ضد النظام العراقي ، وتتهم قادته بأنهم عملاء للاستعمار ... وإن الواسطة بين الاستعمار والنظام هو :

مستشار رئيس الجمهورية : ناصر الحاني !

وفور نشر المقال ووصول الجريدة الى بغداد ، ألقي القبض على (الحاني).

وتولى ناظم كزار تعذيبه باشراف صدام حسين شخصياً .

أخبر البكر انه سيتم إطلاق سراحه قريباً .

اتفق صدام مع كزار على تصفية (ناصر الحاني) ، وقذف جثته على قارعة أحد الشوارع الخالية في منطقة (قناة الجيش).

وافتعل – صدام – سفرة مفاجئة الى خارج العراق ...

وفوجيء (البكر) بنبأ العثور على جثمان (مستشاره) وطلب إجراء تحقيق عاجل ...

عاد صدام ليتهم تلميذه وأداته ناظم كزار مدير الامن العام !اتهمه بـ :

١– قلة الخبرة !

٢– قلة الصبر في تعذيب (المتهمين) .

وبكى أمام (البكر) وأقسم انه لن يغادر بغداد أبداً (لئلا يفقد الامن في غيابه) !

أكثر من هذا :ادعى أن المرحوم الحاني (كان عليه الحق) :

والسبب : ان قصره ونحافة جسمه جعلاه ينهار ويموت خلال تعذيب روتيني !!

الشهيد عبد العزيز البدري:
الحقـد الأســـود

في فجر الخامس والعشرين من (حزيران) ، ١٩٦٩ خرجت السيدة الحاجة ... لشراء الخبز لاولادها من السوق الشعبي القريب ، وما أن فتحت الباب حتى شهقت ... ارتفع صراخها ، ولم تلبث أن انهارت .

فوجئت بجثة زوجها الشيخ الصالح ، مسجاة أمام الباب وآثار الدماء لا تزال طرية ، واضحة على رأسه .

هز صراخ المرأة سكان الحي ، الذين كانوا مازالوا نائمين على سطوح بيوتهم وفقاً للتقليد البغدادي ،فهرع قسم منهم الى مصدر الضجيج لمعرفة السبب ...

سكان الحي كانوا قلقين ،فقد اعتقل الرجل الطيب منذ أيام ، وحاولوا

معرفة شيء عنه ، إلا انهم لم يوفقوا .

وبات الجميع في أقسى شحنات الرعب والهلع .

ولد الشيخ عبد العزيز البدري في بغداد ، في الاول من (تموز) ١٩٣٠ في أسرة دينية معروفة ،لها مكانتها الاجتماعية ،وأصله من « سامراء » ، من قبيلة « البوبدر » العربية العريقة ، وقد تلقى علومه في مساجد بغداد ومعاهدها الدينية ، وفي وقت مبكر أظهر اهتماماً بالامور السياسية وكانت له مواقف حادة ضد السلطة ، وفي الخمسينات أصبح من الدعاة الاسلاميين البارزين وكانت الحكومات المتعاقبة ، تحسب له حساباً . وعندما كان يتعرض للاذى كانت الجماهير تهب للدفاع عنه ، فكانت ترسل البرقيات أو تتظاهر من أجل إطلاق سراحه .

كان الشيخ عبد العزيز يمتلك ثقافة واسعة ، وفكراً نيراً ، وصوتاً

جهوريا ً ، وكانت لحيته الكثه تضفي على شخصيته هالة من الاحترام من الاصدقاء والاعداء معا ً .

ولقد خاض صراعا ً عنيفا ً في ١٩٥٩ - ١٩٦٠ وكانت خطبه الجمعة التي يلقيها في المسجد الذي يديره في الكرخ تستأثر باهتمام الناس الذين يفدون اليه من أنحاء بغداد .

وبعد انقلاب (شباط) ١٩٦٣ ، شن حملة عنيفة ضد النظام الحاكم ، وحاول « الحرس القومي » اعتقاله غير أن (رئيس الجمهورية) حينئذ عبد السلام عارف كان يتدخل في كل مرة ، فلم توفق السلطات في اعتقاله طيلة حكمها الذي استغرق تسعة شهور .

وبعد سقوط النظام المذكور واصل الرجل جهاده السياسي والفكري والاجتماعي فكان من حصاد نتاجه عدة كتب توضح فلسفته هي :

١- الاسلام حرب على الاشتراكية والرأسمالية .

٢- الاسلام ضامن للحاجات الاساسية .

٣- حكم الاسلام في الاشتراكية .

وبعدانقلاب ١٧ (تموز) ١٩٦٨ واصل الشيخ مسؤولياته وجهاده السياسي والاجتماعي .

في هذه الفترة كانت شعبيته قد زادت ، ومكانته الاجتماعية تركزت ، مما سبب القلق للنظام الجديد .

كانت الخطبة الاولى التي القاها بعد الانقلاب عنيفة ، فقد حذر المسلمين من أفكار الالحاد والحزب الواحد ودعا الى التمسك بالعقيدة الاسلامية .

تدارس مسؤولو النظام مخاطر هذا الشيخ « الرجعي » واختلفوا في كيفية وضع حد لافكاره !

وتراوحت الدراسات بين تنبيهه واعتقاله .

واتفقوا بأنه بات يشكل خطرا ً على النظام الحاكم ومبادئه ! في هذه الفترة شكل النظام جهاز المخابرات، وعهد بمسؤوليته الى صدام فما كان منه إلا أن كلف مدير الامن العام «ناظم كزار » « معالجة موضوع الشيخ ..

وضعت أجهزة الامن العامة خطة تلخصت بدس مجموعة من عناصرها بين المصلين للتشويش ... وسرعان ما كشف الشيخ البدري هذه الخطة أثناء خطبته العلنية !

وضعت خطة أخرى باستدعاء كل المصلين ومحاولة التأثير عليهم « عقائدياً » وحثهم على الانتماء الى حزب النظام الحاكم .

واخفقت الخطة !

ومرة أخرى فضح الشيخ هذه الخطة في خطبته الاسبوعية ، فشن خطبة عنيفة على النظام الحاكم ، وقال إنه يشكل أكبر خطر على الاسلام والعروبة !

وفي إحدى الخطب تساءل قائلاً :

- كيف يقبل البكر - رئيس الجمهورية - الاعتماد على عناصر لها ماض عريق في الاجرام ؟

- كيف يقبل أن يعهد بالمسؤولية الامنية الى مجرمين محترفين أمثال صدام التكريتي وابن كزار ؟ !

وعندما وصلت خطبة الشيخ الى صدام في « كاسيت » جن جنونه ... فأوعز الى جلاوزته باعتقاله مع مجموعة من أنصاره ...

أودع الجميع في « قصر النهاية » وباشرت فرق التعذيب أعمالها ...

انتشر الخبر ، فسارت تظاهرات أمام المسجد قوبلت باطلاق الرصاص من قبل عناصر الامن .

بث عناصر النظام شائعة مفادها أن البدري اعتقل بسبب اشتراكه في « مؤامرة » أعدها « حزب التحرير الاسلامي » لقلب نظام الحكم ، اتسعت موجة الغضب في الاوساط الدينية والاجتماعية وأدت الى الطلب من صدام معالجة الموقف « فللرجل مكانته في المجتمع » على حد قول البكر .

وفي ساعة متأخرة من احدى ليالي الصيف ، وبعد « عشاء دسم » في مطعم فاروق - الواقع قرب قصر النهاية - استدعى صدام « الشيخ البدري » وأبدى له أسفه « لأن الشباب لم يعرفوه جيداً ، فعذبوه » ..

رد الشيخ ساخراً :

- بل انهم يعرفونني جيداً ... لانهم كانوا يحضرون أيام الجمعة

لمراقبتي ! حاول « صدام » المراوغة ، فسأل عن « العقيدة الاسلامية »...
أجابه الشيخ :

– اسألني عندما تكون متمالكاً قواك العقلية ..

كانت الاشارة واضحة الى انه يشم رائحة الخمر من جلاده !

صرخ صدام :

– أنت صلف ... وهدام ..

فرد الشيخ قائلاً :

– بل إن أفكاركم هدامة ... إنها مزاوجة فاشلة بين أفكار ماركس ونيتشه !

احتد صدام ...

واستمر النقاش ...

وكان مما قاله الشيخ ...

– أنت قاتل محترف ..

هنا قرع صدام الجرس فدخل « برزان » الذي كان ينتظر نتيجة

« التحقيق » ، فطلب منه ... تنفيذ الواجب ...

بعد دقائق دوت الطلقات مودية بحياة عبد العزيز البدري ، ليدخل سجل الشهداء الخالدين .

رشيد مصلح:
الملثم

مساء أحد أيام (كانون الثاني) ١٩٧٠ فوجىء العراقيون بظهور ضابط عراقي متقاعد كبير ،له مكانته ، على شاشة التلفزيون شاحب الوجه ليعلن :

– انه يعترف بأنه تجسس لحساب العدو ضد بلاده ...

دهش الكثيرون لهذا المنظر ، الذي كان يتكرر تلك الفترة وتساءلوا :

– كيف يمكن أن يعمل ضابط ووزير سابق لمصلحة الأجنبي ؟

– وإذا عمل – لأي سبب – كيف يعترف ... لماذا ؟

قلة من العارفين ببواطن الأمور عرفوا انها تهمة ملفقة، لا يمكن أن يقربها أحد إلا بعد تعذيب جسدي ونفسي مريرين .

بعد ايام أعلن على الشاشة نفسها تنفيذ حكم الاعدام بهذا الضابط وآخرين ، مع إطلاق ماتيسر من نعوت الخيانة والغدر ، وتحذير كل من تسول له نفسه بيع نفسه للامبريالية والصهيونية والرجعية والاقطاع ؟!

ولد رشيد مصلح في مدينة تكريت سنة ١٩١٣ ، في أسرة كريمة لها مكانة اجتماعية ودينية مرموقة ، وبعد أن أنهى دراسته الاولية في مسقط رأسه انتقل الى بغداد ثم دخل المدرسة العسكرية ليتخرج فيها ضابطاً وظل يعمل في مختلف الوحدات والادارات العسكرية حتى رقي في آخر حياته الى مرتبة « لواء » .

لم يمل رشيد مصلح الى العمل السياسي إلا بعد ١٩٥٩ حيث تعرض للمضايقة ، فانضم الى الجماعات القومية التي كانت تعمل على اسقاط

نظام اللواء عبد الكريم قاسم وعندما تم ذلك في ٨ (شباط) ١٩٦٣ عين بمنصب الحاكم العسكري العام وخلال أيام اصطدم بالبعثيين الذين اغرقوا العراق بحمام من الدم ، وخاض مصلح حرباً ضد الميليشيا المسماة بـ« الحرس القومي » فأضمروا له العداء ، وشارك في الانقلاب الذي قاده الرئيس عبد السلام محمد عارف في ١٨ (تشرين الثاني) ١٩٦٣ فتسلم حقيبة وزارة الداخلية ، وظل في هذا المنصب فترة أظهر فيها الكثير من الحكمة والنزاهة والتجرد والحزم إلا أنه نظراً لاشتداد الصراع بين اطراف الحكم القومي أثر الابتعاد عن السلطة لممارسة العمل التجاري . ولم يكن يشاهد الافي أيام الجمعه حيث كان يحرص على أداء الصلاة في أحد المساجد القريبة من داره . في ١٩٦٥ شرعت مجموعة من الحزبيين بأعادة بناء

(حزب البعث) بعد أن تهشمت بنيته، كان في طليعة هؤلاء: أحمد حسن البكر الذي وافق على العمل الحزبي نكاية بالرئيس عارف الذي ساعده في انقلاب ضد « البعث » فمنحه منصب « نائب رئيس الجمهورية » ثم أحال البكر الى التقاعد وأرغمه على نشر بيان في الصحف يعلن فيه اعتزاله العمل السياسي ، وانصرفه الى شؤونه الشخصية .

كان عارف يسخر من البكر علناً ، وكان يرى انه لايصلح لأكثر من إدارة مزرعة صغيرة .

أكثر من هذا كان يسميه في مجالسه الخاصة :

– أحمد حسن البقر !!

وعندما شرع البكر بـ « إعادة بناء الحزب » كان عليه الاستعانة بمجموعة من الشباب الناشط .

في تلك الايام – كان صدام عاطلاً عن العمل – ولم يكن يملك أية مؤهلات علمية أو مهنية تخوله تولي ولو عمل بسيط .

وكان يتردد على البكر طالباً منه إيجاد عمل له، بحكم الصلة السياسية والرابطة التكريتية ، وألح عليه كثيراً خاصة وأنه كان متزوجاً حديثاً .

لهذه الأسباب وغيرها ، رشحه البكر لعضوية القيادة الجديدة للحزب ،

وهذه « الوظيفة » تخوله أن يتسلم راتباً من الحزب ، أكثر بكثير من مبلغ ٢٥ ديناراً الذي كان يتقاضاه من جريدة « صوت الفلاح » خلال شهور ١٩٦٣ !

شرع صدام يعمل ، واشترط الحصول على سيارة (للأغراض الحزبية) فأعطيت له فولكسواغن طراز ١٩٦٢ .

وعندما توصلت السلطة الى وجود محاولة انقلابية يدبرها البعثيون ، شددت قبضتها وزجت بعناصر كثيرة في المعتقلات ، وخلال مداهمة أحد الأوكار ألقي القبض على صدام حسين وآخرين وأودع معتقل معسكر الرشيد ،ولم تمض سوى فترة وجيزة حتى تمكن من الهرب ؟! وباشرت السلطات مطاردة صدام والعناصر التي هربت معه . وذات مساء ، وبينما كان اللواء رشيد مصلح قد فرغ لتوه من الصلاة ، قرع جرس داره الكائنه في حي المأمون ببغداد ، فخرج الرجل بنفسه ليفاجأ بشخص ملثم يرتجف ، سأله مصلح :

– من أنت . . . ومن تريد ؟

أجاب الملثم بصوت كسير :

– أنا دخيل عندك . . . أنا ضيفك ياأبا قيس !

بعفوية شديدة – ابتسم الرجل وفتح الباب قائلاً :

– أهلاً بالضيف العزيز الذي لاأعرفه !

وعندما كشف القادم كوفيته تبين انه صدام حسين مجيد التكريتي .

ذهل الرجل للمفاجأة ،ولكن الروح العربية ، والتقاليد الاجتماعية التي نشأ عليها جعلته ينسى كل الجرائم التي ارتكبها صدام ومجموعته .

وقبل أن يستفيق بادره صدام قائلاً :

– سيدي أنت تعرفني جيداً . . . صحيح انني بعثي ولكنني تكريتي ، من أبناء مدينتك قبل كل شيء ، جئتك لأنني لم أجد من يمكن أن ينقذني في هذا الظرف العصيب .

أبا قيس . . . أنت أصيل . . . و بعيد عن الشبهات ، لهذا طرقت بابك . . . دعني أقيم عندك عدة أيام حتى أدبر أموري .

أجابه الرجل بكل طيبة خاطر :

- مرحباً بك ... وما دمت طرقت بابنا فأنت آمن ... تصرف كأنك في بيتك .

نهض صدام ليقبل يد مضيفه ،ولكن الرجل سحبها ونادى على زوجته وجميع أفراد أسرته معرفاً إياهم بضيفهم ، طالباً إعداد عشاء مناسب للضيف الشاب .

وراحا يتبادلان الحديث في شؤون البلد .

بعد أيام اتصل مسؤول كبير برشيد مصلح مستفسراً عما إذا كان يعرف شيئاً عن المكان الذي يختفي فيه صدام وجماعته ، فأجابه بالنفي الشديد ، وأحس أن الخبر تسرب - بشكل ما - الى الجهات الأمنية ، فأتخذ احتياطات احترازية في سبيل حماية صدام الملتجىء الى داره .

وذات مساء عاد ليفاجأ بأن زوجته متوترة ومرتبكة على غير طبيعتها... لاحظ ان شيئاً غير معتاد قد تم في غيابه ، ونتيجة الحاحه الشديد اعترفت له زوجته بالسر الذي أذهله . فما كان منه إلا أن نادى علي صدام - الذي كان مرتبكاً هو الآخر - وطلب منه مغادرة البيت فوراً وبلا تردد .

حاول صدام الاعتراض غير ان الرجل طلب منه تنفيذ الأمر بلا مناقشة ، ثم قال له :

- أخرج سامحك الله .

اضطر صدام الى ترك البيت الذي آواه في محنته ، غير أنه أقسم في قراره نفسه ، على الانتقام من هذا « الرجعي العفن » .

دارت الايام ، وعاد « البعثيون » لتسلم السلطة في (١٩٦٨) ، واستطاع صدام بواسطة وسائله المعروفة - المجهولة التسلل اليها والتربع على أجهزتها الأمنية ، وكان أول « منجزاته » :

تصفية كل العناصر التي وقفت في طريق طموحاته ، أو التي تشكل خطراً عليه ،لسبب أو آخر - وعمد في هذه التصفيات الى خلط الأوراق : فأعدم الكثير من الوطنيين والمناضلين من كل الاتجاهات السياسية

والفكرية . واعدم القليل من الجواسيس الحقيقيين ، وحرص على أن يكون بينهم عدد من اليهود !

وراح يطلق تهم الماسونية والبهائية على البعض والصهيونية والرجعية والطائفية والامبريالية على البعض الآخر !

كان رشيد مصلح أحد ضحاياه ...

أعدم الرجل بعد تعذيب شرس يفوق طاقة البشر ، أجراه جلاوزته في (قصر النهاية) بحيث رأى أن تنفيذ حكم الاعدام بتهمة التجسس والخيانة ، أهون من استمرار التعذيب الذي لقيه من شخص سادي حماه وأطعمه في وقت الضيق ،وفتح له داره وقلبه في حين تنكر له كل من يعرفه ! كان من جملة أسباب إعدام مصلح انه « تكريتي » !

أراد صدام أن يثبت أن « حزب عفلق » لايفرق بين المواطنين« الخونة » ولا يتورع حتى عن تصفية أعدائه من « التكارتة » .

أما سبب طرد رشيد مصلح « لضيفه » من داره فيعود الى محاولة صدام الاعتداء على شرف ابنته ، محاولاً بذلك أن يؤدي لمضيفه جزاء الضيافة والحماية على طريقته المعروفة .

الشهيد محمد باقر الصدر:
الوصية العفلقية

[انا معك يا أخي وولدي السني ، بقدر ما انا معك يا اخي وولدي الشيعي ، انا معكما بقدر ما انتما مع الاسلام ، وبقدر ما تحملون من هذا المشعل العظيم لانقاذ العراق من كابوس التسلط والاضطهاد] ...

هذه سطور من رسالة كتبها المفكر الشهيد محمد باقر الصدر ومنها يتبين شدة وعيه ، وابتعاده عن الطائفية ولهذا لاغرابة ان يكون هدفا اساسيا من اهداف النظام الدكتاتوري المرتكز على التفرقة العنصرية والطائفية ...

لقد ضحى الصدر بروحه من اجل قضية امته وشعبه ، ولهذا فان ذكراه تبقى خالدة في قلوب الملايين الذين يتطلعون الى يوم الخلاص «والانقاذ من كابوس التسلط والاضطهاد » ...

ولد محمد باقر حيدر الصدر في مدينة الكاظمية

- احدى ضواحي بغداد في ١٩٣٥ في اسرة عربية شريفة يتصل نسبها بالرسول الكريم (ص) ، وهذه الاسرة موزعة بين لبنان والعراق وايران ، انجبت العديد من رجال السياسة والفكر والأدب كان ابرزهم السيد محمد الذي شارك في ثورة ١٩٢٠ ضد الاحتلال البريطاني ثم تولى مناصب رفيعة - بعد ذلك - بينها رئاسة الحكومة ...

نشأ الشهيد في بيت علم وكان والده من الفقهاء المرموقين وقد ترعرع يتيما حيث توفي والده وهو في الرابعة ، ودرس العلوم الدينية الاولية واللغة العربية في الكاظمية ، وبدأ حياته العلمية وهو في العاشرة من عمره حيث كان يحاضر في مختلف الموضوعات التأريخية

كان في الحادية عشرة عندما ألف كتابا في علم المنطق ، وهذا دليل

على النبوغ المبكر ، وبعد ذلك بسنة واحدة ، هاجر الى النجف حيث عكف على دراسة الفقه والاصول ، ولم ينه العقد الثاني من عمره الا ، وقد نال درجة الاجتهاد ، وكان في السابعة عشرة عندما دعاه الشيخ عباس الرميثي الى مساعدته في كتابة تعليقاته العلمية ...

درس الصدر على علماء عصره ، ومن المع اساتذته محسن الحكيم ومرتضى آل ياسين واسماعيل الصدر ...

وترك للمكتبة العربية مجموعة من الكتب التي تتميز بالعمق والاصالة ومنها :

فلسفتنا ، اقتصادنا ، الاسس المنطقية للاستقراء ، المعالم الواضحة . الخ .. وخلال العشر سنوات الماضية ترجمت معظم كتبه الى عدة لغات اجنبية ، وحظيت بدراسات وبحوث نال بها مجموعة من الباحثين الدرجةالعلمية ، من عدد من الجامعات العالمية العريقة ...

كان الصدر من مجددي الفكر الاسلامي ، وله آراء جدية لم يسبق اليها في « الشورى » و « علم الاصول » وفي « فتاويه الواضحة » ... ولقد نالت هذه الآراء عناية مجموعة من علماء الدين في انحاء العالم ...

واستأثر نقده للفكر الشيوعي وللمادية الديالكتيكية بشكل خاص باهتمام جمهرة من الدارسين والعلماء في الشرق والغرب ...

وبعد العدوان الثلاثي على مصر ، والذي ترك آثارا عميقة على الوطن العربي كله ، لاحظ ان حركة الاخوان المسلمين ، هي الحزب الوحيد الذي يتخذ الاسلام منهجا وعقيدة ، وبعد ان اطلع على ادبياته ، والتقى بمجموعة من قادته ، راى ان هذه الحركة قاصرة ، وعكف من ذلك الوقت على انشاء حزب سياسي جديد ، اتيح له ان يبدا نشاطه في ١٩٥٧ بعد ان اطلق عليه اسم :

- حزب الدعوة الاسلامية ....

بدا الحزب عمله ضمن الحوزة الدينية في النجف ، وظل على صلة بالاخوان المسلمين ولم اسمع بنشاطه الاّ في اوائل السبعينات .

لقد شهدت الستينات تصاعد العزف على الوترين العنصري والطائفي ، وجاء اغتيال الشهيد عبد العزيز البدري (١٩٦٩) منذرا بمجازر تشمل الحركة الاسلامية واهلها ...

وفي ١٩٧٤ كان صدام قد استكمل السيطرة على اجهزة (الدولة والحزب) ، وقد اراد جس نبض التنظيمات الاسلامية عامة (والدعوة بشكل خاص) فنفذ حكم الاعدام بالشيخ عارف البصري وجماعته ، واصدر احكام السجن المؤبد على اعداد اخرى من انصار الحركة الاسلامية ...

وعمد النظام الى التضييق على زوار العتبات المقدسة ، ومنع المواطنين من احياء شعائرهم وطقوسهم الدينية ...

وفي ١٩٧٧ نفذ ما عرف بمذبحة كربلاء حيث ساهمت الدبابات والطائرات بقمع مواطنين يؤدون طقوساً اعتادوا ممارستها بحرية منذ نحو عشرة قرون ...

كان الصدر قد تسلم المرجعية الفقهية والسياسية اثر وفاة السيد محسن الحكيم ، وكان الاخير يميل الى الانصراف الى الشؤون الدينية واللاعنف ...

اما الصدر الذي كان في بداية كهولته ، فكان يخالف استاذه ، ويعتقد بأن مهادنة السلطة ستؤدي الى استشراء الظلم ...

كانت احداث صفر - ١٩٧٧ اول مواجهة كبيرة بين الحزب الحاكم الذي يرتكز - شكليا - على (جبهة وطنية) تضم (الاحزاب العلمانية) وبين الحركة الاسلامية التي تتخذ النجف مقرا لها ... وجاءت الثورة الاسلامية ، وسقوط نظام الشاه لتفجر الاوضاع في الشرق الاوسط.

والغريب ان يراهن صدام على بقاء الشاه فلقد كان يعتقد بأن مايجري في ايران وقتها عبارة عن (اضطرابات صغيرة) سرعان ما تذوب ويعود حليفه الذي سلمه نصف شط العرب !

استقبل في قصره الرسمي الشاهبانو فرح - عقيلة الشاه - في اوج غليان الشارع الايراني ...

وعندما انتصرت « الثورة اسلامية » ظل يكابر ويستعد لمحاربة النظام الناشيء ! ورفض احمد حسن البكر ، الرئيس العسكري ، الحرب ضد ايران لانها(اكبر حجما ، ونفوس الشعب الايراني ثلاثة اضعاف نفوس العراق) ...

فتسلم صدام الكرسي الاول ، ونصب نفسه قائدا عاما للقوات المسلحة، ليحارب « المجوس » نيابة عن العالم المتضرر بالنظام المتطرف الجديد.

استمر محمد باقر الصدر يؤدي واجباته الدينية والثورية ، دون ان يخفي تعاطف مع النظام الذي صنعه تلامذته واساتذته !

ورفض مهادنة النظام الصدامي بأي شكل ...

وفي الخامس من نيسان ١٩٨٠ اعتقل الصدر مع اخته آمنه المعروفة ببنت الهدى ، وبعد تعذيب وحشي قاس يفوق طاقة البشر ، استغرق ثلاثة ايام استشهد الصدر واخته ...

كان صدام قد اصدر قرارا رقمه ٤٦١ في ٣١ آذار ١٩٨٠ يقضي باعدام كل المنتمين الى حزب الدعوة والمؤمنين بأفكاره ، والمتعاطفين معه وباثر رجعي ...

كان الصدر واخته - الاديبة اللامعة - من اوائل من طبق عليهم هذا القرار الذي اهدر بموجبه دم كل المؤمنين بالفكر الاسلامي ...

وشهد العراق طيلة مدة الحرب ضد ايران مجازر بحق معتنقي الاتجاه الاسلامي وغيرهم. نفذ حكم الاعدام ايضا بحق عدد من المسيحيين بموجب القرار سيىء الصيت بتهمة التعاطف مع مبادىء الدعوة !

حدثني مسؤول كبير سابق ان صداما كان في استقبال ميشيل عفلق في مطار بغداد في احد ايام ١٩٧٠ ، وقد سر عفلق اعتقاداً انهم جاءوا لاستقباله وتحيته ، فاخبره (السيد النائب) أسفا ، انهم بانتظار :

- السيد محسن الحكيم ...

فسأله (القائد المؤسس)

- ومن هو هذا السيد ؟ !

فأوضح له صدام مكانة الحكيم الدينية والاجتماعية والروحية ....

عندها غضب عفلق وقال لصدام :

- اما نحن - (الحزب الحاكم) - او هذا الحكيم !

في تلك اللحظة وضع صدام يده على شاربه ، مقسما على تصفية السيد ... ولما عاجل الموت السيد الحكيم نفذ صدام وصية استاذه بتصفية خليفة الحكيم وتلميذه :

الشهيد محمد باقر الصدر

عبد العزيز العقيلي:
طموح الشجعان

في الثامن من أيار ١٩٨١ غيّب الموت واحداً من المع العسكريين العراقيين ، وأشدهم ذكاءاً وأكثرهم طموحاً ، وأبسلهم دفاعاً عن المبادىء التي آمن بها .

ولد عبد العزيز بن عبد الله بن محمد العقيلي في الموصل (١٩١٩) واكمل دراسته الثانوية فيها ، وفي مستهل ١٩٣٧ التحق بالمدرسة العسكرية في دورة المستقبل (بكر صدقي) حيث تخرج في نهايتها برتبة (ملازم ثان) ...

وفي ١٩٤٩ رشح لكلية الاركان في (كامبرلي) بانكلترا بعد أن أظهر الكفاءة المهنية ، وأمضى هناك سنة أكاديمية كاملة نجح فيها بتفوق ...

وفي ١٩٥١ تخرج في كلية الحقوق ببغداد ... بعد ذلك عين معلماً في كلية الاركان ثم مديراً لشعبة المناورات في مديرية التدريب (في المقر العام) . ثم رئيساً لاركان الفرقة الاولى في الديوانية ...

وفي ١٩٥٦ عين آمراً للواء الرابع في مدينة كركوك ... وفي ١٩٥٧ انخرط ضمن مجموعة (الضباط الاحرار) وعندما نجحت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عين قائداً للفرقة الاولى ... وبعدما إختلف الثوار واختلفت الامور عزل من الجيش ، وعين سفيراً في وزارة الخارجية وبعد فشل حركة الشواف في الموصل (اذار ١٩٥٩) اعتقل ومثل أمام المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة الشعب) مع رفيقيه ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وبقية الضباط الاخرين ...

واثر نجاح انقلاب شباط ١٩٦٣ رقي الي رتبة لواء وعين مديرا عاما للموانيء العراقية ثم استقال من منصبه وعاد اليه بعدالانقلاب المضاد

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، وبقي في منصبه حتى أيلول ١٩٦٥ حيث عين وزيراً للدفاع في وزارة عبد الرحمن البزاز وبقي في هذا المنصب حتى وفاة الرئيس عبد السلام محمد عارف ، واثر اختيار عبد الرحمن محمد عارف لرئاسة الجمهورية اعتزل السلطة ، وبقي عزبا حتى تصفيته...

اعتقل في تشرين الاول ١٩٦٨ . وتحمل شتى صنوف والوان التعذيب الجسدي والنفسي حتى قدم الى مايسمى بـ (محكمة الثورة) مع ثمانية عشر من رفاقه ممن كان يطلق عليهم اسم (زمرة العقيلي) وفي الحادي عشر من حزيران ١٩٧٠ حكم عليه بالاعدام ...

ونقل الي سجن (أبي غريب) في جناح (الاحكام الشاقة) وبعد أن أمضى فيه خمس سنوات قاسية صدر أمر في (نيسان ١٩٧٥) بخفض الحكم الى (المؤبد) . وظل يعاني من العذاب ، حتى إذا تسلم صدام حسين (الكرسي الاول) زاد التعذيب ...

وفي آب ١٩٨٠ نقلته مخابرات النظام الى أحد أوكارها المجهولة لفترة شهر تقريباً وأعادته مسموماً الى سجن (أبي غريب) « الاحكام الخاصة

وقد بدت عليه آثار مرض خبيث ، وراحت صحته تتدهور يوما بعد آخر ، بحيث راح جلده يتساقط ويتقيح ، ثم تعطل جهازه الهضمي بسبب انغلاق المرىء ،وتضاءل وزنه بشكل رهيب الى مايقرب أربعين كيلوغراما ، ثم فقد بصره ونطقه ، وظل في زنزانته التي لاتتجاوز مساحتها المترين طولا والمتر عرضاً ...

ورفضت إدارة السجن تقديم أي علاج له ، كما رفضت محاولات أسرته لعرضه علي طبيب من خارج السجن ، وكان يقوم على خدمته رفيقان له من السجناء حتى وفاته ...

العقيلي نموذج للعسكري الثوري ، الطموح ... كانت همته تسمو الى الزعامة والرئاسة .. وكان يمتلك كل المؤهلات لذلك :

من النسب الاصيل ... الى « الشهادة العسكرية » الحقيقية !

الى « الاركان » من أرقى الجامعات البريطانية.... الى « الحقوق »... و« اللغة الاجنبية »...

الي المشاركة في الانتفاضات والانقلابات المتعاقبة ...

وعندما لم تتحقق طموحاته في كل هذه الحركات التي هزت العراق لجأ الى وسيلة أخرى :

فبعد وفاة الرئيس عبد السلام محمد عارف (نيسان ١٩٦٦) جرت - أول وآخر مرة - عملية لاختيار الرئيس الثاني للجمهورية العراقية... شارك فيها قادة السلطة وأغلبهم من العسكريين - وتقدم ثلاثة لترشيح أنفسهم هم :

١- اللواء عبد الرحمن محمد عارف - رئيس أركان الجيش وكالة ..

٢- السيد عبد الرحمن البزاز - رئيس الحكومة (مدني) ...

٣- اللواء الركن عبد العزيز العقيلي - وزير الدفاع .

كان للعسكر سلطة شبه مطلقة ، وكان لعبد السلام الفضل على معظم حاضري ، الاجتماع ، واضافة الى هذا كان (عارف الثاني) محدود الشخصية ، مما يفتح (شهية المناصب) لكل من صوت له !

وكان من الطبيعي ان يدرج صدام حسين اسمي البزاز والعقيلي على لائحة الموت ، ما داما يطمحان الى المنصب الاول !

جمعتني بالعقيلي حجرة ضيقة في(قصر النهاية) عدة ايام من كانون الاول ١٩٦٨ . لم تكن بيننا معرفة مسبقة كان يبدو شاحبا ، وقد اطلق لحيته وبعد ساعات زال تردده .

انسجمنا ...وفتح الرجل لي قلبه الكبير ...

وسرعان ما تغيرت الصورة (الغائمة) التي كنت احملها له عن بعد .

انطلق يتحدث عن السياسة والفكر ، وكان يكثر من تلاوة القرآن الكريم ، ويؤدي الصلاة في اوقاتها ، ويطيل السجود ...

عندما استدعي ل (حفلة التعذيب) - اول مرة ،اثناء وجودي - لم يأرق لي جفن . جيء به بعد ساعات . واثار التعذيب الوحشي واضحة على معظم جسده النحيل .... وحاول ان ينام فلم يوفق ...

وفتح المصحف ، وبدت معالم السرور على وجهه واطلعني على الآية التي منحته الثبات والصمود ، فاذا هي (والذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (العنكبوت: ٥٩).

ولم اشأ ان اثقل عليه . غير انني لاحظت انه كان يردد بين الحلم واليقظة :

- كذب ...كذب ...

وانطلق العقيلي يحدثني في الايام التي ينساه فيها جلادوه عن . ذكرياته ، وآرائه وايمانه العميق بالقومية العربية والاسلام وضرورة الربط بينهما .

اذكر انني اختلفت واياه في بعض الامور ومنها (المشكلة الكردية) ...

بعد ذلك انتزع من حجرتنا . فاشتد قلقي على مصيره ...

ثم علمت انه اودع في حجرة انفرادية اصغر ! فاشتد حزني عليه ...

كان آخر عهدي به انني التقيت به ذات صباح في الرواق المؤدي الى (المرافق الصحية) ..

كان قد نحل كثيرا . وزاد شحوبه بشكل مرعب ... همس في اذني :

--انتبه .. الجماعة سيغرقون العراق بانهار من الدم !

--اهرب ان استطعت الى الخارج ...

وصح ما توقعه هذا العسكري الجريء .

ونفذت نصيحته باقرب فرصة (١٩٧٢)!

عندما اعتلى صدام الكرسي الاول (تموز ١٩٧٩) كان العقيلي :

١- محكوما بالسجن المؤبد قبل اربع سنوات .

٢- مقيما بصفة دائمة ومنذ اثنتي عشرة سنة في معتقلات وسجون النظام دون ان يتمكن من الاتصال باحد او العكس ...

فلماذا جرعه السم الذي ادت به الى الوفاة بعد عذاب وتعذيب شديدين ؟

حدثني وزير سابق ان صداما اطلع في احدى الليالي على محضر (تحقيق) مع العقيلي ، فلم يرقه ، وكان قد قدم لتوه من سهرة صاخبة امضاها في (مطعم فاروق) - احد اماكنه المفضلة ايامئذ ، فاستدعاه ليحقق معه بنفسه... واثناء احتداد المناقشة وجه اتهاما للعقيلي فعالجه هذا بالبصاق على وجهه ! فاقسم صدام على تصفية هذا «المصلاوي» العنيد .

منيـــف الـــرزاز:
أشـــرف الحكمـــاء

[ان اسـوأ مـايمكن ان يصيب الشعب في ظل الحكم الدكتـاتوري هو فقدانه للموازين الخلقية ، فالاقتصاد قد ينمو . ومستوى الحياة قد يتحسن ... والقوة العسكرية قد تتضاعف ، وتتعاظم ... والمدارس قد تتسع ، والحالة الصحية قد ترتفع ، والسياسة الخارجية قد تنجح ، ولكن شيئاً واحدا لا بد ان يتدهور باستمرار هو المستوى الخلقي ... المواطن الشاعر بمسؤوليته ليس له مكان في ظل هذا الحكم

« الدكتاتوري » انه لابد ان ينتهي به الأمر الى العزلة او السجن او الاهمال او الموت ، ومصيره دائما درس لغيره من المواطنين الذين يريدون ان يتعلموا الدروس] ...

هذه فقرات مجتزأة ، كتبها الدكتور منيف الرزاز في كتابه المعروف (الحرية ومشكلتها في البلدان المتخلفة) والمنشور في سنة ١٩٦٥...

هل كانت نبوءة منه ، ان يحلل ماسيجري في عراقنا الجريح بعد ثلث قرن ، على ايدي من تسلقوا كراسي الحكم باسم المبادىء والشعارات القومية ؟

كل ماتوقعه الرزاز حصل ...

من التدهور الخلقي ... حتى انتهاء الأمر بالمواطن الواعي الى : العزلة ... والموت ...

وهذا ماحصل له - هو - شخصياً !

ولد احمد منيف الرزاز في دمشق (١٩١٩) ، وفي ١٩٢٥ هاجر الى عمان ، ثم توجه الى القاهرة ليدخل كلية الطب ، وليتخرج فيها بتفوق.

وفي الاربعينات انتمى الى (حزب البعث) وساهم مع اطراف الحركة الوطنية في الاردن بتعزيز النضال ضد الاستعمار ... وفي ١٩٦٥ انتخب امينا عاما للحزب خلفا لعفلق ، فانتقل الى دمشق ثم عاد الى الاردن في ١٩٦٧ ، وشارك في الهيئات القيادية للمقاومة الفلسطينية.

وفي ١٩٧٧ اختير امينا عاما مساعدا للحزب فانتقل من عمان الى بغداد ...

وفي آب ١٩٧٩ نحي عن هذا المنصب اثر استيلاء صدام حسين على (رئاسة الدولة والحزب في العراق) ...

(التنحية) جاءت اثر اعتراضه على المسرحية التي افتعلها صدام والتي ادت الى مجزرة آب التي صفي فيها عدنان حسين ومحمد محجوب ومحمد عايش وعبد الخالق السامرائي وغيرهم ...

طالب الرزاز بالعودة الى (دستور الحزب) ، وعقد مؤتمر قومي استثنائي ، وفور مواجهته صدام بهذه المطالب اعتقل ، وتنازل صدام ، فأبقى على حياة الرزاز مكتفيا بفرض الاقامة الجبرية عليه في منزله ببغداد كانت اقصى حرية يتمتع بها (مفكر البعث) ...

السير خطوات قليلة في حديقة الدار ، ورش ورودها بالماء ! غير ان صداماً لم يرق له بقاء هذا - الأصلع - كما كان يسميه على قيد الحياة

وفي احد أيام ١٩٨٤ فارق الرزاز الحياة متأثرا بـ (الثاليوم المحسن) الذي دسه له (بطل القادسية) بواسطة احد مرتزقته !

ونقلت جثة الضحية الى عمان بحراسة عناصر مخابرات النظام ، ليشيع هناك تشييعا رسميا ، دون التطرق الى (ظروف الوفاة) ، و(طبيعتها) !

حدثني مسؤول (يشغل اليوم منصب سفير) ان صداما ترأس اجتماعا للمكتب الثقافي التابع للحزب ، بعد اعتقال الرزاز وكان كرسي الأخير ، المحتجز ، فارغا فتطلع صدام الى وجوه الحاضرين ، الواجمين متسائلا :

- من يحب ان يجلس في هذا الكرسي ؟ ! مشيرا الى كرسي الرزاز... فران الصمت والذهول على الجميع طبعا ! اليوم وبعد ثلاثة

عشر عاما من تربع صدام حسين على (عرش العراق) ونحر (حزب البعث) على يديه – نتلفت فلا نجد فيما يدعى بـ(القيادة القومية) بدءا من (عفلقهم) الذي علمهم الانحناء والتصفيق وتمجيد صدام (هدية العراق الى الأمة العربية) على حد زعمه ... لانجد فيها من رفع يديه احتجاجا على ممارسات صدام وجرائمه سوى قلة بينهم :

منيف الرزاز !

ولهذا فأنه يجب ان يبقى في ذاكرة كل الشرفاء والغيارى العاملين من اجل عراق ديمقراطي دستوري ...

تعرفت الى الرزاز في رحلتي الدمشقية الاولى (خريف ١٩٦٢) . في تلك السفرة التقيت كبار الساسة في البلد الشقيق اذكر منهم صلاح الدين البيطار ، عفلق ، ياسين الحافظ وغيرهم...

كان الفضل في كل هذا يعود الى صديقي شفيق الكمالي...

يومها اعربت للدكتور منيف عن اعجابي بكتبه ، وخاصة (معالم الحياة العربية الجديدة) . والذي كنت قد فرغت توا من طبع فصول صغيرة منه بكراسات في احدى مطابع شارع المتنبي ببغداد بتكليف من (السيد محسن الشيخ راضي) ..

ابدى الرزاز اهتماماً ببعض ما اثرته معه ، من قلة اهتمام (الحزب) بالثقافة والتثقيف . ودارت الايام وعاد (الحزب) الى السلطة في انقلاب ١٩٦٨ ولم تمض سوى شهور حتى وجدت نفسي مطمورا في احدى غرف (قصر النهاية) بأمر من صدام حسين وبعد اطلاق سراحي قابلت الرزاز الذي ابدى استغرابه (لشهادتي) عما جرى ويجري في

(دهاليز) القصر ، رسمت له صورة اعتبرها (سوداء قاتمة) واعتبرتها انا (رماديه) !

وباعدت بيننا الأيام ... انتقلت للعمل في السفارة العراقية بالكويت وانهمك هو في (التجربة الجديدة) وفي اللقاءات القصيرة التي تمت بيننا اواسط السبعينات وجدته متشائما ...

وفي تموز ١٩٧٧ عدت نهائيا الى بغداد ...

قيل لي ان (احمد حسن البكر) – الرئيس – يرغب برؤيتي ...

اعرب عن استغرابه لعودتي قلت للـ(الشايب) :

- انتهت مهمتي يا سيدي !

عندها همس في اذني :

- لقد فلتت الأمور !

وطلب مني ان اشد الرحال ، فلم اجد سبيلا سوى السفر بحجة الدراسة ، وبينما كنت استعد للسفر فوجئت بأحالتي الى (محكمة حزبية) برئاسة عبد الغني عبد الغفور ...

كانت التهمة ملفقة ، وسآتي عليها في مناسبة اخرى - غير انها خطيرة ، وتدخل البكر والرزاز وغيرهما لوأد التهم ..

وقبيل مغادرتي الى باريس ، حضرت حفلة اقامتها وزارة الثقافة والاعلام في (صدر القناة) وهناك كان الرزاز .... وفهمت منه انه يرغب الانفراد بي ، فأقترحت عليه ان نغادر معا في سيارتي الشخصية ...

ورحنا نتهادى على شارع (القناة) وانا الخص تصوري في ضوء ملاحظة (البكر) وما جرى للحركة الاسلامية في النجف وكربلاء من اعدام (الشيخ عارف البصري ومجموعته ، وما حصل لي ، وذكرته بمقالة عبد الخالق السامرائي عن (قصر النهاية) ، طأطأ النطاسي راسه بأسى وقال :

لقد صدق عبد الخالق بأن البعث (دفن) في هذا (القصر) ... لا حل الا بوحدة (العراق وسورية) والعودة الى مقترحات (عبد الخالق) ..الخ .

وقبلته دون ان ادري انه اللقاء الاخير ... وانها قبلة الوداع ..

افكر احيانا ... ماذا فعل منيف الرزاز في اقامته الجبرية طيلة خمس سنوات .. ؟ !!

في رسالة الى نجله (مؤنس) من منفاه البغدادي ، كتب يقول :

(طريق الآلام مشاها المسيح من الجثمانية الى الجلجلة مرة واحدة في حياته ، ومشيتها انا طيلة حياتي)...

شفيق الكمالي
استكان حامض

كان الرجل الاسمر في طريقه الى طبيبه الخاص عندما سقط فجأة على سلم العمارة الكائنة في شارع الرشيد ببغداد .

هرع شخصان كانا موجودين بالصدفة لنجدة الرجل ، وعندما هرع طبيبه الخاص لفحصه كان كل شيء قد انتهى .

غمغم طبيب القلب المشهور بأسى قائلا بحرقة :

وا أسفاه عليك ياصديقي العزيز !

ولد شفيق عبد الجبار الكمالي في (البوكمال) المدينة السورية المحاذية للعراق في اسرة متواضعة ، وعاش حياته وفتوته في احد الاحياء الشعبية بكرخ بغداد . واتجه الى الادب والمطالعة في وقت مبكر ، وكتب الشعر وهو على مقاعد الدراسة المتوسطة ، وكانت الكرخ من قلاع حزب الاستقلال القومي ، فانتمى اليه ، وراح ينشط في التبشير بمبادئه والدعوة لآرائه الاصلاحية ، وفي بواكير الخمسينات تعرف الى الشاعر سليمان العيسى وعدد من الشباب السوري الذين كانوا يدرسون في دار المعلمين العالمية (التربية اليوم) ، فعرضوا عليه مبادىء (حزب البعث) فانتسب اليه وتحمس في الدعاية لهذا الحزب الناشىء . وبسبب نشاطه تعرض الى الاعتقال مرات عديدة مما جعله يتنقل متخفيا بين العراق وسورية .

وبعد انقلاب شباط (١٩٦٣) شغل الكمالي منصبا « ثانويا » هو : المديرية العامة لوزارة الاعلام .

وعلى الرغم من ايمانه العميق بمبادىء الحزب ، ونشاطه العلني ، الا انه لم يكن يتمتع بـ« الانضباط الحزبي » فالرجل كان شاعراً ، رساماً خطاطاً ، مقبلا على الحياة .

كان الكمالي يفضل السفر الى اقصى الدنيا من اجل سماع قصيدة « بدوية »!

وكان الالتزام الحزبي والاجتماعات الجافة يخالفان سلوكه . !

في ١٩٦٥ ، اختير عضواً في القيادة القطرية السرية التي شكلها «حزب البعث» وعندما انهار « قيادي بارز » كشف اسماء القيادة ودخل الكمالي السجن وتعرض للأذى .

في هذه الفترة لمع نجم « صدام » ويروى انه كان وراء كشف اسماء القيادة القطرية للسلطة ! ولم تكن العلاقة بين الرجلين جيدة !

كان الكمالي من نجوم الشعر والادب والمجتمع ...

اما صدام فقد كان يتوارى في « اوكار الحزب » يخطط ويعمل ، من اجل تحقيق طموحاته في الاستيلاء على عرش العراق .

كان الكمالي من رجال السلم ...

وكان صدام ولا يزال ، رجل الحروب والشر ، وكان الكمالي يحظى بحب الجميع .

كان صدام يحتمي بالبكر والخط العسكري للحزب لتنفيذ خططه .

وكان الكمالي يعرف صداماً حق المعرفة ، يعرف طموحاته ، ولا يتوانى في تحذير من يثق به من خطر هذا « البلطجي » كما كان يسميه .

وذات يوم انتدب الكمالي وعبد الله سلوم السامرائي لحضور مؤتمر قومي للحزب .

وبضغط من البكر كلّفت قيادة بغداد « الرفيقين » بترشيح صدام لعضوية « القيادة القومية » .

وخلال المؤتمر لم يطرحا الاقتراح ، لعدم قناعتهما بكفاءة صدام لهذا المنصب ... وعندما عوتبا من قبله تعللا بباب «الدستور الداخلي» للحزب، عند ذلك جن جنون صدام واعتبر ذلك مؤامرة ، واقسم على تصفيتهما .

وبعد ان عاد « الحزب » الى السلطة مرة ثانية في ١٧ تموز ١٩٦٨ ، عين الكمالي وزيراً للشباب ثم وزيراً للاعلام ، غير ان صداماً ظل يعمل ضده

بمناسبة وبدونها ! فاقنع البكر انه لايصلح للوزارة وعندما يرد عليه البكر قائلا انها (شغلته الحقيقية) لكونه شاعراً، يرد صدام بخبث قائلا:

- انه مشغول بالنساء !

من هذا الخليط الرخيص ، استطاع ابعاد الكمالي سفيراً ، في حين كان الرجل يتمتع بأكبر رصيد اجتماعي - ثقافي ليس بين « البعثيين » فحسب ، بل بين تيارات الحركة الوطنية العراقية والعربية المختلفة .

في المقابل كان صدام يحكم سيطرته على الاجهزة العسكرية والامنية للحزب والدولة .

وظل صدام يسعى للايقاع بشفيق الكمالي بأي شكل.

من هذه المحاولات انه أوعز بتقديم تقارير تزعم انه - أي الكمالي - شرع بتشييد قصر شخصي له في منطقة « الصليخ » ببغداد بمبالغ خيالية تقدر بربع مليون دينار ... وطالبت التقارير بالتحقيق واياه وفق قانون قديم لاغ يحاسب الموظفين السارقين على أساس :

من أين لك هذا ؟ !

وتدخل البكر في اللحظة المناسبة لينقذه ...

وعندما تسلل صدام الى (رئاسة الجمهورية) عام ١٩٧٩ ، كان الكمالي ضمن لائحة التصفية ، ونجا بأعجوبة من أكبر مجزرة علنية شهدها العراق الحديث ، وراح ضحيتها خيرة القادة الحقيقيين للحزب الحاكم .

انهار الكمالي ، ووجد نفسه مضطرا لكتابة قصائد مديح ركيكة (للرئيس الجديد)! وراح المغنون يغنون قصائده في تمجيد « صدام » بينما كانت السلطات الامنية تقمع الالوف من المواطنيين وتزجهم في المعتقلات والسجون ، مما اثار استهجان واستغراب محبيه ومقدري مكانته الاجتماعية .

في هذه الفترة انزوى لادارة دار « آفاق عربية » - وبدأت أعراض الضغط والسكر والقلب تتناهبه - ووجد صعوبة بالغة في ترك التدخين - بناء على نصائح الاطباء - وكان يتألم لكل مايجري داخل العراق ، بينما لا يزال يحمل منصبا حزبيا هو : العضو المساعد للقيادة القطرية !

التقيت بصديقي العتيق شفيق في الكويت ، اثناء احدى زياراته لها

انفردت به في مقهاة تطل على البحر ، وكنت – كعادتي احتفظ بقصاصات مّما نشره في تلك الفترة المحزنة

سألته :

– لماذا – أبا يعرب – تكتب خلافا لرايك الحقيقي في (صدام) . تقول في قصيدة (محّجلة) تلقيها بنفسك في (تلفزيون بغداد) ، رأيت « اللّه » في عينيك ؟

سقطت الدموع من عينيه ، ونفث « سيجارة » – رغم المنع الطبي الشديد واعترف لي قائلاً :

– اسمي على لائحة التصفيات ، ولم يبق سوى تحديد موعد التنفيذ – وأنت – تعرف حقده عليّ وعلى أمثالي ممّن يعرفون ماضيه .

قلت له :

أنت الآن خارج العراق – ابق حيث أنت يمكنك العيش أجابني بحزن عميق :

وأسرتي ؟ ... لقد فكرّت كثيراً بالابتعاد ، ولكنني اعرف أنه سيبيد عائلتي كلها ...

وُضع الكمالي تحت المراقبة الشديدة ... وكلّف أكثر العاملين في (دار أفاق عربية) بمراقبته مراقبة شديدة ، ممّا زاد في وجعه وقلقه

وفي السنتين الاخيرتين اشتدت عليه الامراض في مقدمتها : القلب... و سافر الى الخارج للعلاج دون جدوى ، كانت الولايات المتحدة آخر البلدان التي زارها ، وكان الهدف نقل عدة شرايين ، وبعد الفحص الدقيق طلب منه الاطباء ان يعود بعد ستة شهور لاجراء العملية الجراحية المطلوبة ... وفي طريق العودة الى الوطن ، توقف في احدى المدن الاوروبية عدة ايام ... وقد ابدى (...) ، وكان يشغل منصب المستشار الصحافي في ذلك البلد الاوروبي سروره بلقاء رفيقه القديم ، وأقام له مآدب، واستدرجه الى الحديث عن الوضع في العراق والمنطقة والحرب ومسؤولية صدام في اندلاعها وغير ذلك ، وعلى الرغم من كل حذر الكمالي في تجنب مثل هذه الاحاديث الحساسة ، الا ان اشتداد وطأة المرض عليه ، ووجوده خارج « قفص صدام » جعلاه يبوح لصديقه بآرائه

الحقيقية وخلاصتها ان سبب ازمة الحزب وخراب العراق والمنطقة يتحمل مسؤوليتها شخص واحد صفّى رفاقه وانفرد بكرسي الحكم هو (صدام). وقد تولى (...) « الصديق المخلص » تسجيل هذا الحوار في شريط أرسله بالحقيبة (الدبلوماسية) الى سيده الكبير بالسرعة ليكافأ - في وقت لاحق - بتعينه سفيراً .

عاد الكمالي الى بغداد ، وبعد أيام فوجىء باعتقال نجله البكر «يعرب» بتهمة ملفقة ... واعتقل ليجابه (بالوثيقة المسجلة) ... شعر انه وقع في (المصيدة) وان نهايته اقتربت ... امر صدام بتعميم نبأ فصله من الحزب والدولة ، وحجزت امواله المنقولة وغير المنقولة وختم على مكتبته الشخصية بالشمع .

وسرعان ما انتشر الغضب في انحاء العراق ، لما يتمتع به من سمعة طيبة وراح الناس يتساءلون : كيف يحدث هذا لمناضل كتب (النشيد الوطني) للعراق ؟ ! ولم يقتنع احد بالشائعات التي اطلقتها الاجهزة الامنية لتشويه سمعته .

قرر صدام فجأة « العفو » عن شفيق الكمالي ...

لحظة اطلاق سراحه استدعاه مسؤول كبير في جهاز المخابرات وراح يعتذر اليه باسم سيّده ،ورجاه ان يمسح ماحصل من ذاكرته ، مشيداً بنضاله .. ثم سأله عما اذا كان حقا لم يكتب مذكراته الشخصية ...؟

رد الكمالي بهدوء :

- انه فعلا لم يكتب مذكراته الشخصية ، بل لاينوي ذلك .

وابتسم في قرارة نفسه ، فقد كان احتاط لمثل هذا الأمن حيث اودع (الرواية التسجيلية) التي كتبها اخيراً في مكان أمين ...

وقبل ان يغادر قبو المخابرات قدم له المسؤول : (أستكان حامض) .

بعدها بأيام سقط شفيق الكمالي صريع قطيرات سم (الثاليوم) التي دست له وفق احدث الوسائل التقنيـة التي يستعين بها صدام لتصفية خصومه : القدامى والجدد !

صالـح مهــدي عمـاش:
«إستكان الشـاي»

فجر الاربعاء ٣٠ (كانون الثاني) ١٩٨٥ بينما كان(السفير العراقي) يرتشف فنجان قهوته الصباحية ،بعد اداء الصلاة ، استعداداً للتوجه الى مقر عمله ، سقط على الارض .

هرعت زوجته لاستدعاء الطبيب ، ولكنه جاء متأخراً ..

فقد مات « الرجل الاسمر » وتعالى صراخ بناته يندبنه في بلاد الغربة. في اليوم التالي وصلت طائرة عراقية خاصة ،لنقل الجثمان (وبناء على توجيه وتوصية إنسانية من القائد المحبوب صدام حسين) سارعت عناصر السفارة (لتقديم التعازي) الى الاسرة المنكوبة .

وأصر هؤلاء على البقاء في بيت السفير (في هذا الظرف المحزن) كما قالوا لاهل المتوفى . وفي بغداد وبينما كان صدام يتلقى تقريراً عن الخسائر المريعة التي منيت بها قواته في إحدى معارك شرقي البصرة، وصله « النبأ السعيد » .

أطلق (أبو عدي) ضحكة مجلجلة وسحب ورقة صغيرة تتضمن مجموعة من الاسماء وشطب الاسم المرقم في اللائحة !

وأصدر أوامره بأعداد مائدة لائقة بهذه المناسبة في نادي الصيد وفي الوقت نفسه طلب ابلاغ موعد وصول (الطائرة الخاصة) ليشارك في واجب تشييع جثمان « رفيق عزيز » .

ولد صالح مهدي عماش في بغداد سنة ١٩١٤ في أسرة متواضعة وعاش صباه وفتوته في الاعظمية ، ودخل الكلية العسكرية ليتخرج فيها ضابطاً. وفي الخمسينات انضم الي إحدى الخلايا الثورية للضباط الاحرار، وعندما انفجرت ثورة ١٤ (تموز) ١٩٥٨ لم يتقلد منصباً مهما .

في ١٩٥٩ اضطهد ، وفي احد المعتقلات انخرط في صفوف (حزب البعث) بالتنسيق مع رفيقه أحمد حسن البكر ومجموعة من العسكريين القوميين ، وكان له دور بارز في الاعداد لانقلاب ٨ (شباط) ١٩٦٣ ، وفي صبيحة الانقلاب أخرج من المعتقل ليتولى حقيبة وزارة الدفاع ، وفي الستينات وبعد نكسة (البعث العراقي) اختير عضوا في القيادة السرية للبعث ، وكان له الدور الفاعل في التهيئة لانقلاب ١٧ (تموز) ١٩٦٨ والذي أعاد (البعثيين) للسلطة .

كان عماش واحداً من ثلاثة عسكريين يطمحون لحكم العراق باسم (البعث) الاخران هما : البكر وحردان عبد الغفار التكريتي .

لم يكن لصدام يوم الانقلاب الذي جاء بالبعث ثانية ، وظيفة ، كان مجرد واحد من أفراد الحماية الشخصية لرئيس الجمهورية البكر . وبقي في الظل حتى يوم ٣٠ (تموز) حينما ظهر خلف سيده وهو يحمل رشاشة روسية عتيقة من طراز (كلاشينكوف) ! حزبياً كان صدام عضوا في المكتب العسكري ، وفي عدد آخر من مكاتب الحزب ومؤسساته السرية .واستطاع أن يجرد البكر من صلاحياته عندما انتزع منه أمانة المكتب العسكري . في هذه الفترة خاض صراعاً مريراً لتصفية وابعادكل من حردان التكريتي ، عزت مصطفى ، عماش ، عبد الخالق السامرائي ،صلاح عمر العلي شفيق الكمالي ، عبد الله سلوم .....الخ .

وبأساليبه المعروفة والمجهولة والغامضة وفق في تعبيد الطريق

« الماراثوني » من أجل الوصول الي كرسي الرئاسة في

« كرادة مريم » وجاءت الفرصة الذهبية :

ذات يوم وفق في إرغام البكر على توقيع مرسوم جمهوري بتعيينه نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة . يومها شعر الجميع ان (صداماً) فاز بالضربة القاضية ، وان عليهم الاختفاء أو المواجهة الدموية .

كان الفريق عماش أكثرهم (حساسية) ، فهو أعرفهم بطبيعتة . وقبيل سفر الرئيس البكر الى خارج العراق في رحلة علاج ، وقع مرسوم بتولي صدام منصب (رئيس الجمهورية وكالة) .

لحظتها وجد عماش - وهو العسكري العريق . انها إهانة لاتغتفر، شاركه رفيقه عبد الكريم الشيخلي وجهة نظره ، بينما صمت الآخرون .

بعد عودة البكر قدم عماش والشيخلي استقالتيهما ، موضحين الاسباب . حاول الاخرون اثناء (الرفيقين) عن (الموقف السلبي) إلا أن المستقيلين أكدا (ان الكرامة جزء من قيم الحزب والثورة).وتساءلا بسخرية : أين شعار « القيادة الجماعية » الذي رفعه « الحزب » ؟ وأين العهود والوعود ؟ بعد جهود مضنية وافق عماش على العمل كسفير وهكذا غادر ليمثل العراق في باريس وموسكو وهلسنكي .

وانصرف الى الاعتناء بحدائق منازله وكتابة الشعر وممارسة الالعاب الرياضية المختلفة ، غير ان زهده بالمنصب وقبوله مثل هذه الوظيفة البسيطة ، لم يمنع (صداماً) من رصد حركاته ، وإحصاء أنفاسه بشتى الوسائل .

كان يعرف انه ضمن (لائحة التصفية) فكان حذراً في كل تصرفاته .

فجر صدام حربه الجنونية مع إيران فزاد عماش حزناً وإشفاقاً على معاناة الشعب العراقي .

وبدأت التقارير ترد زاعمة ان « أبا هدى » يتحرك وانه أقوى المرشحين لخلافة (صدام) ومن دمشق كتب له زبانيته ان مفاوضات تجري فيها لترتيب لجوء عماش تمهيداً للعمل العلني ضده .

عندها قرر تنفيذ الحكم .

استدعته وزارة الخارجية للتشاور ، فاعتذر وأقيمت ندوة للسفراء العاملين في الغرب واعتذر بعد شهور تكرر الاستدعاء وتكرر الاعتذار . وفكر صدام بطريقة ما لدعوة عماش الي بغداد . وأخيراً طلبت وزارة الخارجية الى كل سفراء العراق « التطوع » في الحرب ولم تنجح الخطة .

كان يشعر بتزايد الخطر ضده ...ولكن ما العمل ؟

أخيراً تفتحت « عبقرية » القائد المنصور في فكرة جهنمية :

دعا جميع سفراء العراق الى الجبهة (للمعايشة) وحكم على من يرفض مسبقاً بأنه جبان !

عماش رأى انه من المعيب عليه التخلف ... ستكون فرصته الاخيرة لزيارة بغداد بعد غياب طويل .

نجحت الخطة وابتلع السم الذي دس له في قدح إستكان شاي ذهبي قدمه له قائد أحد الفيالق « المغاوير » وسط حفل ضخم وموائد عليها مالذ وطاب .

راح « السم » يتغلغل في شرايين « المحارب القديم » عدة أيام ليفقد الحياة الى الابد في صقيع هلسنكي : مدينة السلام .

عمـــر الهـــزاع:
القـــانـــون ٨٤٠

تحت الرقم ٨٤٠ نشرت « الوقائع » العراقية ، وهي الجريدة الرسمية، القانون الآتي نصه :

« استنادا ً الى أحكام الفقرة (١) من المادة الثانية والاربعين من الدستور ، قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٨٦/١١/٤ مايلي :

أولا ً : يعدل نص المادة ٢٢٥ من قانون العقوبات رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ على الوجه الآتي :

المادة ٢٢٥ :

أولا ً : يعاقب بالاعدام ومصادرة الاموال المنقولة وغير المنقولة كل من انتقد بإحدى الطرق العلنية رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة أو أمين حزب البعث العربي الاشتراكي .
ثانيا ً : تلغى المادة ٢٢٦ من قانون العقوبات .

ثالثا ً : ينفذ هذا القرار من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .
صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة » .

المعروف أن رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة وأمين حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق هو شخص واحد - لاشريك له. وأستغفر الله العظيم !

ولكن لماذا صدر هذا القانون في هذا الوقت بالذات ؟

القانون لم يثر استغراب أحد ، فالبغداديون يتندرون بأن القانون في

عهدة « شعوبي أبراهيم » . وهو أشهر عازف على آلة القانون في العراق وربما في العالم العربي !

وتنفيذ عمليات الاعدام في العراق ، لايحتاج الى استصدار قانون، فرئيس النظام منح صلاحيات تنفيذ حكم الاعدام الى جميع ضباط أمنه، بل الى مديري الشرطة ، دون مراجعة أحد !

القانون صدر في أعقاب تنفيذ حكم الاعدام بالعميد عمر الهزاع، ونتيجة تنبيه أحد التكارتة بالتحديد !

ولكن لماذا نفذ حكم الاعدام بالهزاع التكريتي ؟

عمر الهزاع ضابط تكريتي سبق له المشاركة في الانقلاب الذي أودى بالزعيم عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٣ . وعرف عنه شدة ولائه للرئيس السابق أحمد حسن البكر ، الذي كان يعتمد عليه في كثير من المهمات...

ويروى أنه طالما حذر البكر من طموحات صدام ، إلا أن الاول لم يكترث لهذه التحذيرات حتى استطاع صدام تجريده من كل صلاحياته (الشكلية)، وإرغامه على التنحي له عن رئاسة الجمهورية في تموز (١٩٧٩) وعندما تولى صدام السلطة باشر بالتصفيات . وضمن تصفية مجموعة البكر من مدنيين وعسكريين ، أحيل الهزاع الى التقاعد .

غير أن صداماً لم يترك من صفاهم نهائياً ، فهو يعيش الخوف الدائم من الجميع .. فقدم لهؤلاء إغراءات للعمل في المقاولات والتجارة ..

وقد حاول الهزاع العمل في التجارة والاستيراد غير أنه فوجىء بمضايقات شديدة ،وكان هدف المضايقات واضحاً ، وهو أنه لابد أن يعلن الولاء المطلق لصدام ، وهذا مالم يفعله ، بل أنه رفض « رشاوى » قدمها له صدام ، وهي قطعة أرض زراعية واسعة وسيارة «سوبر » فخمة ، عند ذلك أدرك صدام أن الهزاع يضمر شيئاً ، فأوعز الى جهاز المخابرات بتصفيته ، وضع الرجل تحت المراقبة وكذلك نجله الضابط (فاروق)، ورتبت عملية للايقاع به ،تتلخص بالايعاز الى احدى (الساقطات) العاملات في جهاز المخابرات نصب (كمين) له ، وكان الهزاع قد اقتنى مزرعة صغيرة في إحدى ضواحي بغداد يمضي فيها وقته ، وذات يوم وهو في طريقه الى المزرعة فوجىء بشابة جميلة تطلب منه أن يصطحبها معه على طريقه (الاوتوستوب) ، وقدشكت له همومها ومشاكلها،

وانطلت الحيلة على الرجل الطيب ، وبعد ليلة بيضاء خرجت (الشابة) بعد أن قامت بمهمتها خير قيام !

أما المهمة فتلخصت بتسجيل المعلومات التي حصلت عليها منه في جهاز صغير أخفته في حقيبتها الشخصية . قام الهزاع بإغلاق جهاز التلفزيون الذي كرس لجولات صدام وخطبه ، وكانت فرصة ليبوح لها بما في قلبه من حقد على هذا الطاغية الذي ورط العراق في حرب مجنونه ، وساق الالوف من أبناء الشعب الى محرقة بدون سبب ... وفي لحظات غضب وانتشاء أكد لها أن صداماً مجهول الأب ، معروف الأم !

وكرر : نحن التكارتة نجهل من هو والد صدام !

في صباح اليوم التالي خرجت (الشابة) لتسلم (الكاسيت) الوثيقة الى أسيادها ، ووجد صدام في هذه (الوثيقة الدامغة) الفرصة (القانونية) لتنفيذ حكمه على (هذا التكريتي المشاغب) . ولإرهاب الآخرين ، جمع (وجهاء تكريت) وأسمعهم الشريط ، وطلب منهم بشكل ديمقراطي (!) تحديد عقوبة هذا (العاق) ..صمت الجميع ، إلا أن أحدهم ، وهو من أكثر المنتفعين مادياً ، قال : هذا يستحق القتل !

ابتسم صدام بينما تمتم آخر :

- لاتوجد في قانون العقوبات مادة خاصة بشتم رئيس الجمهورية !

- ضحك صدام وأجاب :

- القانون ؟ أنا القانون ! ومن أجل عينيك سيصدر قانون خاص !

في اليوم نفسه ، وأمام (وجهاء تكريت) نفذ حكم الاعدام بعمر الهزاع غير أن (القائد المنصور) لم يكتف بهذا أرسل مجموعة من جلاوزته الى دار الهزاع الكائنه في حي اليرموك ببغداد ، قرع هؤلاء الجرس فخرجت زوجته وبناته مذعورات ، فطلبوا منهن ترك البيت فوراً لتفتيشه ، تعالى بكاء النسوة ، ولم يسمح لهن بلبس عباءاتهن أو التقاط ماليديهن من مصاغ ذهبي أو نقود ...

خرجت النسوة ودخل أفراد العصابة ،وما هي إلا دقائق حتى دوى انفجار رهيب سمع من مسافة بعيدة ، وتهدم البيت نتيجة وضع عبوات ناسفة من الديناميت تنفيذاً لأمر صدام ...

تراكض أبناء المحلة مرعوبين ، ولم يستطع أحد منهم أن يتكلم أو يعلق ... همس أحدهم في أذن والده :

لقد شاهدت مثل هذا المنظر في التلفزيون ،ولكن الفرق في المكان والسلطة ،.

طــاهــر يحيــى: والشقــي

في ١٩ (مايس) ١٩٨٦ غيب الموت واحداً من أبرز القادة العسكريين في العراق .

لم ينل الرجل كلمة نعي من (الدولة) التي خدمها نحو نصف قرن .

فلقد رفضت الصحف الرسمية نشر سطور موجزة تقدمت بها أسرته ولم يحظ الابيضع كلمات - مدفوعة الأجر - نشرتها جريدة ثانوية .

وقيل إن صدام حسين عندما بلغه نعيه سُر كثيراً ، ونام بهدوء بعد أن أقام حفلة خاصة بالمناسبة .

ولد طاهر يحيى في تكريت سنة ١٩١٣ من أسرة لها مكانتها الاجتماعية والدينية وتلقى تعليمه في مسقط رأسه ، ثم انتقل الى بغداد حيث دخل المدرسة العسكرية ليتخرج ضابطاً ، ويتدرج حتى وصل الى رتبة فريق .

لم تكن لـ « أبي زهير » اهتمامات سياسية ولكنه وجد نفسه في الخمسينات في إحدى خلايا الضباط الاحرار التي دخلها بتشجيع صديقيه عبد السلام عارف ورفعت الحاج سري .

عند قيام الجمهورية العراقية في ١٤ (تموز) ١٩٥٨ ، أسند اليه منصب « مدير الشرطة العام » ، ولم يبق في هذا المنصب سوى أشهر ، حتى دب الخلاف بين رفاق السلاح ، فأصاب الرجل ما أصاب غيره ، وفي ٨ (شباط) ١٩٦٣ تسلم الانقلابيون السلطة ، فتعاون وإياهم من خلال عارف وتولى مناصب عسكرية رفيعة بينها رئاسة أركان الجيش . وعندما أغرق العراق بالدماء وتجبر القابضون على السلطة اتفق طاهر يحيى مع عارف - مرة أخرى - على « تصحيح الاوضاع » وتم ذلك عبر انقلاب

عسكري نفذ في ١٨ (تشرين الثاني) ١٩٦٣ حيث تسلم على الاثر رئاسة الحكومة ... وظل طاهر يحيى يشغل هذا المنصب في العهدين العارفيين (عبد السلام وعبد الرحمن) حتى تسلم (الحزب الاوحد) السلطة مرة ثانية في ١٧ (تموز) ١٩٦٨ ، ولم يترك السلطة إلا في فترات استراحة قصيرة ... تركها مرة لزميله (العسكري) ناجي طالب وأخرى للمدني (عبد الرحمن البزاز) .

وفي العهد الجديد أودع الرجل – مع غيره – المعتقل ، ولم يطلق سراحه إلا بعد أكثر من عشر سنوات ، عانى خلالها من التعذيب الجسدي والنفسي مايعجز عنه البشر ،ولولا إيمانه الشديد بالله ، لانهى حياته بشكل ما ، كما أكد لأحد أصدقائه المخلصين قبيل وفاته .

انشغل طاهر يحيى في حكومته الأولى بمعالجة الآثار التي خلفهاانقلاب « شباط » والتي أثرت بدورها على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وكانت القضية الكردية من القضايا التي أخذت الكثير من وقته ، وكان يؤمن أن الأحزاب السياسية من أسباب « خراب البلاد والعباد » كما كان يؤكد .

وجرت في عهده محاولات لانشاء حزب واحد – هو الاتحاد الاشتراكي – لكنها باءت بالفشل .

وطبق في عهده تأميم مرافق الدولة ، وفقا للتنظير الناصري ، فزاد التخبط الاقتصادي والاداري سوءا . وفي ماعدا ذلك كان الاستقرار والهدوء النسبيين يسودان العراق ، كان العراقي آمنا على نفسه وعلى أسرته يتمتع بحرية التحرك والسفر والعمل دون قيود وهي أمور أصبحت بعد ذلك في حكم الاحلام .

وقد يتساءل أحدهم :

لماذا أعتقل طاهر يحيى أكثر من عشر سنوات ؟

وهل يجيز قانون – أي قانون – احتجاز حرية انسان هذه السنوات الطويلة دون أن يقدم الى المحاكمة ؟

حتى قانون العقوبات البغدادي، لا يجيز اعتقال المواطن – بلا محاكمة – أكثر من خمسة عشر يوما !

ولكن هذا القانون مجمد ، في عراق « صدام » ، شأنه شأن القوانين التي داس عليها بحذائه .

مشكلة طاهر يحيى انه من مدينة : تكريت .

وتكريت ظالمة ومظلومة !

ظالمة لأنها أنجبت سفاحاً يدعى صدام .

ومظلومة لأن أبناءها البررة ، الخيرين ، لايذكرون ، بعد أن حجبهم الظالم ، الغشوم !

وعندما تولى طاهر يحيى رئاسة الحكومة أول مرة (في تشرين الثاني) ١٩٦٣ ، دشن عهده بتصفية بعض الحزبيين وأنصارهم ، وفي أوائل ١٩٦٥ بدأت مجموعة جديدة بإعادة بناء (حزب البعث) من جديد وكان صدام حسين من هؤلاء فصدرت مذكرة بالقاء القبض عليه وحاول صدام أن يتوسط لدى طاهر يحيى لغض النظر عن نشاطه ، وقام بالوساطة ضابط تكريتي متقاعد معروف ، كان جواب طاهر :

- صدام يعتقل ، ويحاسب ، ليس باعتباره من رجال السياسة ... بل لأنه واحد من أكبر الاشقياء في العراق ... وعندي « مستمسكات » وأدلة تؤكد بأنه مسؤول عن جرائم كثيرة يعاقب عليها القانون .

غضب صدام ، ثم تمكن من الهرب بعد أن دفع مبلغاً طائلاً من المال لبعض رجال السلطة .

وظل طاهر يعتقد أن « صداماً » لايصلح إلا « للشقاوة » وعندما نجح حزب صدام في تسلم السلطة (عام ١٩٦٨) كان طاهر يحيى من أوائل المعتقلين .

أشرف صدام حسين بنفسه على التحقيق معه ، بعد أن جمع ما استطاع من « وثائق » ومستمسكات رسمية .

وتعرض طاهر يحيى لتعذيب شديد نفذه جلاوزة ناظم كزار وبرزان التكريتي وغيرهما .

كان صدام حسين يطلب من زبانيته تعذيب الرجل - حتى إنهم كانوا يرغمونه على تقليد مشي بعض الحيوانات أو تقليد أصواتها .

وكان يختفي في غرفة مخصصة له في « قصر النهاية » ليشاهد ذلك متلذذا بتعذيب هذا الرجل وسواه من خصومه .

حاول عدد من الزعماء العرب التوسط لاطلاق سراحه فلم يوفقوا ، كما سعى أحمد حسن البكر لاطلاق سراح زميله السابق ، وابن مدينته غير أن صداماً كان يعرقل كل مسعى ، وفي كل مرة يزعم أن اسم طاهر يحيى ورد في « مؤامرة » وما أشبه .

وعندما استعاد طاهر يحيى حريته ، كاد يفقد بصره بعد غياب عن النور سنوات طويلة .

حاول الرجل السفر الى الخارج لمعالجة عينيه ، فقيل له إنه لابد أن يكتب مذكرة الى صدام حسين يطلب منه الاذن ، ولكنه رفض

« الاسترحام » اوقبيل وفاته بأيام ، تمكن أحد أصدقائه القدامى من زيارته ، وبعد حديث طويل داعبه :

– ها ، لم تتحقق نبوءتك ... فها هو صدام حسين يشغل منصب رئيس الجمهورية !

لم يكن طاهر يحيى مشهوراً بالنكتة أو بسرعة البديهة ، غير أنه أجاب هذه المرة إجابة أدخلته في عداد الظرفاء ، فقد رد هامسا :

– لم أقل أن صدام حسين لن يتسلم منصب رئاسة الجمهورية ... قلت إنه لن يكون غير شقي ...) عربنجي !

عـزيـز السيــــد جـاسـم:
«عمــلاق الرافـدين»

صباح يوم خريفي نودي عليه بصوت عال ، فترك زنزانته الصغيرة الملحقة بقصر النهاية في بغداد ، بعد أن بشر بـ« مـرحـمـة » إطلاق سراحه .

ابتسم الرجل بمرارة وشكر جلاديه على هذا النبأ الذي سيدخل السرور في قلوب أولاده وأسرته ومحبيه بعد غياب قسري استغرق عدة شهور.

عزيز السيد جاسم كاتب ، يتميز بالثقافة الموسوعية ، ولد في إحدى النواحي التابعة لمحافظة الناصرية / ذي قار ، ومال الى الادب والمطالعة منذ صغره ، وفي مقتبل شبابه اقترب من الحركة الشيوعيةّ غير أن مواقف هذه الحركة من القضية الفلسطينية جعلته يبتعد عنها في منتصف الستينات ، وجاءت هزيمة (حزيران) ١٩٦٧ لتؤصل اتجاهه العروبي .

وعندما تسلمت مجموعة (الحزب الاوحد) السلطة في (تموز) ١٩٦٨ كان عزيز من دعاتها وسرعان ما وجد فيه القادة الجدد مؤهلات تناسبهم ، وهكذا أفسحوا له المجال في الصحافة . واسندو اليه الاشراف على تحرير مجلة « وعي العمال » ووجد « عزيز » في بعض القادة صفات لم يجدهافي غيرهم ، فاقترب منهم كثيراً .

وعندما تسلق صدام حسين رئاسة الجمهورية في تموز ١٩٧٩ دشن عهده بمجزرة راح ضحيتها مجموعة من القادة الحقيقيين لحزبه ، ثم شن حملة تصفية شملت الاحزاب والقوى الاجتماعية المختلفة .

كل هذه الاسباب جعلت صاحبنا ينزوي في داره منصرفاً الى المطالعة والتأمل . ومكنته قدراته الثقافية العجيبة ، التنوع في التأليف فألف في النقد والسياسة والفلسفة والاجتماع والدين والرواية وبلغت

مؤلفاته نحو الخمسين كتاباً ، حتى شبهه البعض بالكاتب الموسوعي المعروف عباس محمود العقاد .

وضمن حملات القمع والاضطهاد شددت « وزارة إعلام اللطيف » على المثقفين والكتاب وطالبتهم بالكتابة عن « القادسية وبطلها المغوار » واعتبرت عدم المساهمة ، موقفا سياسياً يحاسب عليه !

ولم يجد « عزيز » مفراً من الكتابة ، فنالت بعض كتاباته في جريدة « العراق » وهي لسان المتعاونين من الاكراد مع النظام (!) ثناء صدام حسين ، وقيل إنه « كافأه » عن بعضها ....

و« المكافأة » أو « المكرمة » لايمنحها صدام « مجاناً » فهي مشروطة، ومن أصولها الاستمرار في « التمجيد » و« التلميع » وهذا لم يحصل من « المثقف المشاكس » .

كان عزيز يراقب الخراب الذي عم العراق بسبب الحرب التي فجرها صدام ضد الجارة المسلمة إيران ، ويتألم لما يجري في البلد من دمار واضطهاد ورعب ، فوجد في العودة الى التاريخ الاسلامي لذة لا تعادلها لذة ، أعاد اكتشاف شخصية الامام علي بن أبي طالب . فعكف على تأليف كتاب يوضح فلسفة الحكم عنده ... هذه الفلسفة التي تنهض على العدل الاجتماعي ، وتقوم على الزهد بمغريات الحياة ، وعندما فرغ من الكتاب دفعه الى أخيه الذي يدير الشؤون الثقافية في وزارة « اللطيف » على أمل نشره ، غير أن أخاه اعتذر مبررا ذلك بأسباب عدة ، وصادف أن كان أحد الناشرين اللبنانيين موجوداً في بغداد فعرض عليه نشره وخلال أسابيع ، وبينما كان الكتاب قيد التجليد في بيروت وقعت الواقعة !

فقد تسرب خبر الكتاب الى مخابرات النظام والقي القبض على المؤلف وأخيه الموظف .

سئل عزيز هل الفت هذا الكتاب ، أجاب :

- نعم

- لماذا ؟

- لاعجابي بشخصية علي :

ثم تساقطت الاسئلة :

مارأيك بصدام ؟ ورأيك بفلسفة الحكم عند ه ؟ ولماذا لم تؤلف عن صدام ؟ القادسية ؟ ... الخ ...

راح عزيز يجيب على هذه الاسئلة بكثير من اللباقة والاناة ، مؤكدا إنه لايستطيع تأليف كتاب عن رجل « حي » لعدم توفر الوثائق المناسبة، ولهذا السبب فإنه تمكن من اعداد دراسة عن ظروف مقتل عبد الناصر.

ظل « عزيز » رهن الاعتقال ، وتعرض لتعذيب قاس ، جسدي ونفسي وغسلت ذاكرته ، وفق أحدث الوسائل « التقنية » التي أشرف عليها ضباط « الغستابو » في أقبية المخابرات .

واتصلت سفارة النظام في بيروت بالناشر طالبة منه تسليمها كل الكمية المطبوعة من الكتاب . وتم اجراء مايلزم بعد أن قبض الناشر أثمان النسخ « بالدولار الاميركي » مع التعهد بعدم تكرار مثل هذه « الجريمة » وأرسلت الكمية المطبوعة في شاحنة كبيرة الى بغداد لتحرق باشراف لجنة أمنية .

وبقي المؤلف ينتظر مصيره !

وفي فجر أحد الايام نودي عليه :

- مشكلتك حلها « السيد الرئيس حفظه الله » ... لكن بشرط صغير.

- ماهو ياسيدي ؟

- باختصار أن تؤلف خمسة كتب - دفعة واحدة - عن :

١- أبي بكر الصديق .

٢- عمر بن الخطاب

٣- علي بن أبي طالب

٤- عثمان بن عفان

٥- صدام حسين

صعق عزيز لهذا الطلب اللامعقول .

وأضاف محدثه المسؤول .

- المطلوب منك أن تؤلف هذه الكتب وفق مفاهيمنا الفكرية ، أي بعد أن تقرأ خطب وتصريحات وأفكار صدام حسين ومؤلفات عفلق و ...

وتابع المسؤول : أما كتاب صدام حسين فسنقدم لك الوثائق والاشياء التي تعينك على إنجازه شرط أن يكون عنوانه « عملاق الرافدين » .

- ولكنني الفت كتابا عن سيدنا علي ؟

- لقد احرق هذا الكتاب ، عليك أن تعيد تأليفه وفقا لما حدثتك به ...

تأليفك هذه الكتب ينقذك ... والافانك تعرف مصير من يخالف !

في اليوم التالي ، باشر عزيز عمله ، بعد أن زود بالمراجع والوثائق « العقائدية » وخلال أسابيع عكف على إعداد المطلوب ، وتولت مطابع «دار الحرية» طبع المؤلفات الجديدة .

وأخيراً أطلق سراحه فجر اليوم الذي وزعت فيه وزارة « اللطيف » المؤلفات

وكان خامسها (عملاق الرافدين) ؟ !

تشرين الثاني ١٩٨٩

عبد الرحمن محمد عارف:
المظلـــوم!

فوجىء مشاهدو تلفزيون بغداد مؤخراً بظهور عبد الرحمن محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية الاسبق على الشاشة الصغيرة ، وهو يدلي بتصريحات تؤيد صدام حسين ودعاواه في. (محافظة الكويت) و(الحقوق التاريخية والوطنية) وغير ذلك مما يردده أعلامه المعتل ليل نهار لصرف أنظار الشعب العراقي عما جرى ويجري ، لعله ينسى « أم المعارك » وذيولها المفجعة !

وتساءل الناس بينهم وبين أنفسهم : لماذا تذكر الطاغية هذا الرجل الشريف ابن السادس والسبعين الآن ؟ ماذا يريد منه ؟ ولماذا لايتركه يعيش خريف أيامه بهدوء بعد أن اعتزل السياسة وتركها لاحفاد مجيد ؟!

لماذا تذكره اليوم ، وهل يحتاج الى رأيه ؟ وهل« الكويت » قضية ، بعد أن فقد النظام السيادة على ثلثي العراق باعترافه ؟

لماذا لم يتذكره عندما فجر حروبه ، والرجل « عسكري » - ولم يكن « مؤرخاً » في يوم ما ؟ !

حينما بلغني خبر ظهوره المباغت على الشاشة الصغيرة ، تذكرت منظراً لا أنساه : -

ففي احد ايام شباط ١٩٦٣ كنت في زيارة لدار اذاعة بغداد عندما فوجئت بقدوم مجموعة من حاملي الرشاشات يتوسطهم كهل مذعور ،عرفته فوراً ، بعد دقائق أعلن مذيع التلفزيون انه سيقدم :

السيد عبد القادر إسماعيل البستاني

وراح الرجل الوقور يتحدث بأسى ، معرباً عن ندمه لاعتناق مبدأ معين طيلة ما يقارب أربعين سنة !

الاساليب التي يتبعها النظام في محاولة تشويه صور الشخصيات الاجتماعية والوطنية التي يكّن لها شعبنا التقدير والاحترام لاتتغير !

إنها أساليب انتزاع « البراءات » باسلوب صدامي ثوري !

اسم عبد الرحمن عارف ارتبط في أذهان شعبنا بالسلم والامان والوداعة وكل هذه الاشياء وغيرها افتقدها بعده !

ولد عبد الرحمن بن محمد عارف بن ياس بن خضر في محلة سوق حمادة بكرخ بغداد في ١٩١٦ ، وهو ينتسب الى عشيرة « الجميلة » . كان والده بزازاً ورث المهنة عن أبيه ، وأمه تكريتية من بيت «شنداخ»...

وكان للاسرة ذكر في التاريخ - فلقد قتل الانكليز عمه السيد عباس في الرمادي ، وأنتقموا لمقتل ضابطهم « لچمن » على يد الشيخ ضاري - خال عبد الرحمن - فذهب ضاري شهيداً يتغنى العراقيون ببطولاته التحق عبد الرحمن بالكلية العسكرية ، وأظهر تفوقاً ، فنذر حياته للخدمة العامة ، وخلال فترة قصيرة انيطت به مسؤوليات عديدة وفي أواسط الخمسينات انضم الى تنظيمات حركة الضباط الاحرار » وشارك مع زملائه في الاطاحة بالملكية وإقامة النظام الجمهوري كما ساهم بالانقلابات والحركات اللاحقة . وتنقلت به المسؤوليات الى تولي رئاسة أركان الجيش في عهد أخيه .

وفي مساء الثالث عشر من نيسان / ١٩٦٦ توفي شقيقه الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف أثر تحطيم طائرته قرب مدينة القرنه كان عبد الرحمن يومها في موسكو ، فعاد فوراً ليجتمع بكبار المسؤولين - عسكريين ومدنيين - لاختيار رئيس جديد . وترشح ثلاثة هم : عبد الرحمن محمد عارف وعبد العزيز العقيلي - من العسكريين - وعبد الرحمن البزاز من المدنيين .

وفاز اللواء عبد الرحمن بالمنصب ليشغل رئاسة الجمهورية حتى فجر السابع عشر من تموز ١٩٦٨ ... ففي صبيحة ذلك اليوم فوجىء بمجموعة يتوسطهم نفر مّمن كان يعول عليهم في الحفاظ على نظامه ... ولما كان الرجل مسالماً ويكره الدماء آثر الاستسلام وتسليم مفاتيح القصر الجمهوري للزمرة التي أعلنت في بيانها الاول انها «ثورة بيضاء» فكان أن حولت العراق والمنطقة الى بحيرة من الدماء !

أختار الرئيس عارف تركيا منفى له وبعد أن أمضى هناك أكثر من عقد من السنوات فضل العودة الى الوطن ليواصل العيش في داره المتواضعة ، وبراتبه التقاعدي ، لايخرج من منزله إلاّ للضرورات الاجتماعية .

وتأدية صلاة الجمعة في مسجد يقع قرب منزله .

تعرفت الى الرئيس عبد الرحمن محمد عارف في أحد مقاهي الاعظمية سنة ١٩٦٠. وتعمقت صلتنا في ١٩٦٣ وما بعدها ... ولمست فيه أصالة ووفاء وطيبة وهدوءاً ، وحباً للخير وابتعاداً عن الشر خلافاً للكثيرين ممن أعرف .

وأشهد أن اللقاءات التي كانت تتم بيننا جعلتني اقتنع انه متواضع ، ولقد أخذت حريتي في الكتابة في عهده الى أقصى حد وعبرّت عن آرائي ككاتب أيامه ، أذكر انه طلب لقائي مرة - وهو في منصب الرئاسة - وخشيت زوجتي أن يؤدي اللقاء الى اعتقالي ! غير أن الرجل أراد تفقد أحوالي ، وأفهمني أن أحداً ممّن وجهت له نقداً على صفحات الجريدة التي كنت أكتب فيها قد شكاني عنده ، محرضاً أياه ضدي ... وأوضح لي الرئيس عارف انه طلب من ذلك المسؤول أن يردّ عليّ في الصحف لقد كبر الرجل في عيني ، وتذكرت ذلك الحادث بعد أقل من سنتين عندما وجدت نفسي مطموراً في إحدى غرف (قصر النهاية) ، معتقلاً بأمر شخصي من صدام حسين لسبب يتعلق بالصحافة أيضاً !!

أيام الرئيس عبد الرحمن محمد عارف أيام هناء وسلام فتح السجون والمعتقلات فأطلق معظم من فيها ، على اختلاف آرائهم ومعتقداتهم ...

وجمع رجال السياسة في « قصره » ليناقشوا أوضاع العراق بصوت عال - ممهداً بذلك لمرحلة سياسية جديدة تقوم على تعدد الاراء والشورى.

ومن عجب أن تستغل طيبته ، وزهده الاستئثار بالسلطة !

والاعجب أن ينقلب عليه أقرب الناس منه ، ليصافحوا من جاء على ظهر دبابة ليتسلم السلطة بأسم شعارات كاذبة !

الغريب ان معظم الذين خذلوه صفوا في وقت لاحق !

- عبد الرزاق النايف اغتالته مخابرات النظام في لندن ...

- سعدون غيدان سلطت عليه أشعة كيمياوية فمات بالسرطان كمداً وغماً !

ويبقى المهيب صدام حسين (عابر الشط) و(بطل القادسية) ومفجر (أم المعارك) وقائد (الثورة البيضاء) بانتظار :

رصاصة الرحمة .

محمـود العبطـة:
الـديمقراطي الشعبي

ظلت « الديمقراطية » غائبة عن الساحة السياسية العراقية ، فطيلة ثلاثة أرباع القرن العشرين ، لم يتمتع بها الشعب العراقي إلاّ في أوقات قصيرة ، عابرة .

غير أن هذه الحقيقة المؤلمة لم تمنع وجود وجوه ديمقراطية من واجبنا التعريف بها للاجيال الطالعة . لتستلهم منها الصبر والجلد في مواصلة الكفاح من اجل بناء عراق ديمقراطي دستوري مسالم .

محمود العبطة : واحد من هذه الوجوه الاصيلة .

ولد محمود بن إبراهيم بن جاسم في (الست نفيسة) في كرخ بغداد (١٩٢١) ، من تلك المحلة ، استمد بذور شخصيته الاولى من بيئتها الشعبية المضمخة بالتراث البغدادي ، الكرخي الاصيل . وبعد ان اتم دراسته في (الجعفرية والكرخ) اختار (الحقوق) طريقاً له لخدمة مجتمعه، وعندما تخرج فيها (١٩٥٣) مارس المحاماة فترة طويلة حتى (١٩٦٦) حيث اضطر الى قبول الوظيفة فعيّن حاكماً في عدة محافظات ومدن منها خانقين ،بعقوبة ، وبلدروز والكوت والبصرة حتى (١٩٧٢) بعدها عاد الى عالمه الحرّ : المحاماة ، في هذه الفترة كان قد كسر إضرابه عن الزواج ، فتزوج في (١٩٦٦) وكان حصاد زيجته أربع بنات منحهن اهتماماً واسعاً في التوجيه والارشاد وحبّ الخير . وظل يواصل الكتابة والمطالعة والتأمل ويتابع الكوارث التي حلّت بعراقنا الجريح حتى اخترمه الموت في ١٤ تشرين الثاني ١٩٨٦ .

أعجب العبطة في صدر شبابه بجعفرأبي التمن وكامل الجادرجي، وكان لمعروف الرصافي – الشاعر – تأثيره العميق على افكاره في الحرية والديمقراطية ، وجاءت وثبة ١٩٤٨ ، لتضع العراق على عتبة تحول

اجتماعي عمّق وعي شعبنا بالمخاطر التي يتعرض لها ، فوجد في (الحزب الوطني الديمقراطي) ضالته المنشودة ، فأنتمى اليه ، وكرس حياته وفكره للمبادىء الديمقراطية التي مارسها انطلاقاً من بيته ، حيث كان شقيقة (محمد) ينتمي الى (حزب الاستقلال) - أي التيار العروبي - وظلت علاقاتهما يسودها الحب والاحترام المتبادل ، رغم تغير الظروف وتشابكها فيما بعد .

ويمكنني أن أؤكد أن (محموداً) ظل وفياً للديمقراطية ولشعبه طيلة حياته ، فلم يغره منصب ، ولم يسل لعابه لثروة ، ولم يستغل ظرف مالتحقيق غاية شخصية .

كانت المقاهي أماكنه المفضلة، وأخبرني انه ورث هذا -الداء الشعبي - من والده ، الذي كان معماراً بارزاً ، شيّد الكثير من المساجد والقصور كجامع حنان ، وجامع الشيخ صندل وبعض دور آل المميّز في (الصرافية) وآل الظاهر في (الصالحية) وغيرها .

وفي السنوات الاخيرة اتخذ مقهى (الزهاوي) المطل على شارع الرشيد مقراً له كان يزجي أوقاته برشف (النارجيلة) وفي الوقت نفسه يراقب مايجري ، ويتأمل ويتألم ...

كان المخضرمون من الادباء وقراء (المقامات العراقية) هم خلطاؤه المختارون ، وكان يسرّ بتحلق الشبيبة حوله . كان هؤلاء يعجبون بتعليقاته وأحاديثه وتحليلاته لما يجري على أرض الرافدين والمنطقة بأسلوبه : السهل الممتنع .

تعرفت الى محمود العبطة في ربيع ١٩٥٨ ، وكان صديقي العتيق خضر الولي صلة الوصل ، وقد ادهشتني شخصيته المتمردة ، الساخرة ، ونكاته اللاذعة التي يوجهها ببساطة وعفوية بعد اندلاع بركان تموز تحول مكتب محاماته الكائن في (ساحة الشهداء) الى خلية نحل ... وكانت ١٩٥٩ وما بعدها بقليل صعبة عليّ - وعلى أمثالي - واشهد انه (حماني) من بعضهم ، بل كان يصحبني الى مقرات الحزب الوطني الديمقراطي في (الاعظمية) وغيرها ويطالبي بالنقاش ، وابداء الاراء الصريحة فيما كان يجري ! وبواسطته تعرفت الى صفوة الديمقراطيين والتقدميين ، وتعلمت احترام الرأي المضاد ! وباعدت بيننا الايام ، غير انه كان يرفدني بما ينتج ، وعندما اعتقلت بأمر شخصي من صدام حسين (أواخر

١٩٦٨) قدم بغداد خصيصاً ليحاول (عمل المستحيل) وبذل والدي-رحمه الله - جهداً لمعرفة المكان السري لاعتقالي فلم يجرؤ أحد على إخباره بذلك ، إلاّ صديقه محمود العبطة الذي أخبره بأنني (مطمور) في (قصر النهاية) الذي لايبعد سوى خمسمائة متر عن داري !!

وفي ١٩٧٢ التقينا لقاء مطولاً : كنت أستعد لترك العراق، (للعمل رسمياً في الكويت) وكان قد ترك الوظيفة كحاكم عائداً الى (المحاماة) بعد أن عجز عن تأدية واجباته نتيجة تدخل عناصر (الحزب الاوحد) في كل شيء !

وجاء الحديث على ذكر مستقبل العراق في ضوء قيام (الجبهة الوطنية التقدمية ...) فعلق قائلاً :

- لاثقة لي بهؤلاء ... وأشار الى صورة تجمع بين (البكر وصدام)...

البلد مقبل على مجازر والجبهة (عرس واويه) !

وصدقت نبوءته ! فلقد تحقق العرس وارتدت ملايين النساء أثواب الحداد في وقت لاحق !

محمود العبطة شخصية بغدادية فذة ، وقلائل يعرفون أن لقبه جاء من اسم جدته !

سألته يوماً عن معنى لقبه ، فاحالني الى (لسان العرب) ، وعندما راجعت هذا المعجم اللغوي الشهير وجدت للعبطة عدة معان منها : الداهية !!

وقلائل يعرفون أن محموداً كان (تكريتي) الاصل والفصل !

ولو شاء (إعلان) هذه الحقيقة ، واستثمارها (تجارياً) ، باصقاً على ماضيه الوطني ، شاطباً على مبادئه القائمة على الايمان بالديمقراطية والحرية ، لزاحم اليوم (خير الله طلفاح) والاربعين من لصوص بغداد وما جاورها !

غير أنه لم يفعل ذلك ، فذهب الى وجه ربه ناصع النقاء ، سليم القلب.

وعندما سرق صدام حسين (الراية) من سيّده البكر (تموز ١٩٧٩) اراد استماله الناس اليه بشتى الوسائل الترغيبية والترهيبية .

من بين هؤلاء أبناء مدينة (تكريت) !

فأصدر (فرماناً) يقضي بمنح كل من ينتسب الى تكريت :

قطعة أرض وسيارة أضافة الى عدة الوف من الدنانير وامتيازات أخرى .

ولقد تبارى بعضهم في محاولة ايجاد وشيجة مالهم بأحد (التكارتة) للحصول على تلك الامتيازات التي كانت أيامئذ تعادل ثروة حقيقية .

حدثني محمود العبطة في آخر لقاء لي به أنه فوجىء ذات يوم بضابط أمن يسأله بجدٍّ :

- قيل لنا إنك تكريتي ... بهذا فانك تستحق (مكرمة السيد الرئيس) ، اكتب لنا (شجرة) نسبك رجاء ...

أضاف أن النكتة لم تفارقه في تلك اللحظة ، فأجابه :

لاخير ... معلوماتكم غلط ... فأصلي من (تلكيف) !

عــــدنان خيـر اللــه:
عاصفة الحقد!

اعادة كتابة التاريخ مسألة ينبغي ان تستأثر باهتمام كل الساعين من اجل عراق ديمقراطي دستوري ... من الأشياء التي تستحق التأمل والدراسة حادث (عاصفة بامرني) الذي اودى بحياة وزير دفاع النظام وأحد اعمدته .. اكان الحادث قضاءا وقدرا .. ام مدبرا ؟!

ولد عدنان بن خير الله بن طلفاح بن مسلط ببغداد في الثالث والعشرين من ايلول ١٩٤٠ ، درس الابتدائية وشيئا من المتوسطة في تكريت ، وأتم الاعدادية في ثانوية الكرخ (١٩٥٨) ، وفي ١٩٦١ تخرج في الكلية العسكرية ، وفي ١٩٧٠ تخرج في كلية الاركان ، وفي ١٩٧٦ نال (البكلوريوس) في القانون والسياسة ... وفي ١٩٧٩ نال شهادة مماثلة في الأدب الانكليزي ...

سياسيا كان قد انتمى الى حزب البعث في ١٩٥٦ وشارك في انقلاب شباط ١٩٦٣ ، وفي ١٩٧٧ اختير عضواً في القيادة القطرية للحزب الحاكم في ٢٣ كانون الثاني ١٩٧٧ استوزر أول مرة ،وزيراً للدولة ... وفي ٤ ايلول من السنة نفسها عين عضوا فيما يدعى بمجلس قيادة الثورة ، وفي ١٥ تشرين الاول ١٩٧٧ عين بمنصب وزير دفاع النظام ، وفي ٢ نيسان ١٩٧٨ منح رتبة فريق أول ركن طيار ، وفي ١٦ تموز ١٩٧٩ عين نائباً لرئيس وزراء النظام ...وفي أيار ١٩٨٩ أصدر صدام حسين بياناً - بعد صمت غير عادي - نعى فيه عدنان خير اللّه ، خلاصته انهما كانا سوية في (زيارة للشمال) فتوجه هو - صدام وعائلته الى الموصل - بينما عاد عدنان بطائرة سمتية ترافقه طائرتان ... وفي طريقه من سرسنك الى بغداد صادفته عاصفة غبراء ... فهوت طائرته الى الارض ، وتهشمت وهشمت قوة الصدمة من كان فيها ، ولم ينج الا واحد من ركابها - مازال في المستشفى - فيما نجت الطائرتان الأخريتان من العاصفة ... الخ .

ولم ينتظر الشعب العراقي نتائج (لجنة التحقيق) التي اتهمت الجو والغبار اللذين (أصطادا) طائرة واحدة ، وابقيا على اثنتين سليمتين !! فالشعب العراقي الذي يقرأ المستور أو « المحي » عرف بحسه العالي ان « المسرحية » ليست متقنة - خاصة وان حالة الجو كانت مستقرة - فلم تكن ثمة عاصفة ، بل كانت السماء صافية ... ونجاة الطائرتين المرافقتين تؤكد ذلك ، والشخص الجريح الوحيد اختفى ، ثم صفي في وقت لاحق ... ولم يستغرب أحد تصفية ابن الخال، ذلك « الفارس » الذي اعترف (صدام) يوما بأنه علمه خط الحروف الاولى على رمال مدينة تكريت قبيل أن يلتحق بالمدرسة في العاشرة من عمره ! شهوة الحكم تظل الطاغية ، ولو راجعنا تاريخ الدولة العباسية - مثلاً - لأكتشفنا كم خليفة قُتل بسيف أخيه او ابنه أو أخيه ... يكرر التاريخ نفسه أحيانا ! كان صدام في مقدمة مشيعي ضحية - العاصفة الغبراء - كالمعتاد وكان عدنان قد (نال) أحد عشر نواط شجاعة وأوسمة الرافدين والقادسية كما (حاز) لقب قادسية الشؤم وسيفها أيضاً !!

ومرة أخرى أخفق صدام حسين في إخراج مسرحية « العاصفة الغبراء » والسبب انه أوكلها لصهره حسين كامل ، نائب الضابط الفاشل الذي تربع على وزارة دفاع النظام خلفا للعسكري الحقيقي -

(ابن الخال) الراحل ... تعرفت الى عدنان خير الله في صيف ١٩٥٩ بواسطة (م) - أحد أصدقاء طفولتي ، كنا نلتقي في العطيفية - قرب جسر الصرافية - حيث تقع دار والد عدنان - وجمعتنا وشائج كثيرة ، بينها الاحلام المشتركة ... فلقد انتمينا الى (الحزب) في عام واحد ، ونحن من مواليد سنة واحدة وهو يكبرني بأربعين يوما فقط وكانت هذه مادة للنكتة وعمقت صلتنا اهتماماتنا بالادب والشعر والمطالعة ... وعندما واصل عدنان اختيارالعسكرية طريقاً للحياة ، لم يتغير كثيراً ، وظلت مقاهي بغداد وأزقتها ، والمناسبات العامة تجمعنا ، كان الكرم من طباعه فعندما كنت أعيره كتابا كان يعيده لي مع كتاب آخر يقتنيه من مكتبات (سوق السراي) ! هكذا دارت الايام ، وتعرضنا - هو وأنا - الى الاذى والاعتقال - شأن الالوف من العراقيين - ولم أجد فيه تغيرا إلا خلال ١٩٦٧ ، وشعرت فوراً أن مهماته الحزبية - العسكرية قد تضاعفت - أصبح عدنان يميل الى الصرامة والكتمان والتقليل من الاهتمامات الثقافية ، ولم أستغرب أشتراكه في انقلاب تموز ١٩٦٨ وصعود نجمه ...

وفي اواخر ١٩٦٨ اعتقلت بأمر شخصي من صدام حسين وأودعت في (قصر النهاية) - كما أسلفت - ... فجأة اكتشفت انني معتقل مع مواطنين كنت أعتبرهم حتى - يوم اعتقالي : أعداء وعملاء وخونة ! باشرت فوراً مراجعة وتقويم ونقد الذات ، والتفكير بمستقبل البلد ، وبينما كنت أراجع نفسي مع عبد الرحمن البزاز - شريكي في الغرفة لعدة أيام - فوجئت بمجموعة من «كوادر الحزب» جاءت «تتفرج» و«تتسلى» على الموجودين في (أقفاص) قصر النهاية ... كان عدنان يتوسط المجموعة ، وما أن شاهدني حتى سارع مبدياًاستغرابه مقسماً أنه سيبذل المستحيل مع (أبي عدي) - صدام - لاطلاقي من (مكان الحقراء) - كما سماه ! ولم يفعل شيئاً من أجلي ... فقاطعته ... وظل هذا الجرح ينزّ في قلبي فلم أره بعد ذلك ... رفضت محاولاته الحثيثة للقاء ... وبلغني انه جاء على ذكري في حديث ذكريات أدلى به لاحدى المجلات العربية التي تصدر في لندن ... وحتى هذا الحديث لم أعن بالاطلاع عليه ...

في نيسان ١٩٨٩ كنت في زيارة للشقيقة الكويت وذات ليلة نقل التلفزيون مشاهد « إنسانية - مؤثرة تمثل زيارة أسرية لصدام الى البصرة ... كان عدنان موجوداً الى جواره في لقطات يبدو من خلالها انهما في انسجام تام ! يومها تساءلت مع نفسي : ماذا يخطط «العراب» من وراء هذه المشاهد؟ جاء الجواب بعد أقل من شهرين في حادث (العاصفة) (اللاموجودة) افي تشرين ثان ١٩٨٩ كنت في بغداد مدعوا لحضور (مربد النصر) ولم أضيع وقتي بسماع الشعر الرديء، فلقد كان حادث عدنان يدور على كل لسان ، بشكل سري ! وحدثني مسؤول في مخابرات النظام انه زار (الطب العدلي) فأكتشف ان ضحايا الحادث ، من مرافقي عدنان مزقت ظهورهم بالرصاص ، مما يؤكد انهم ضربوا من الخلف بواسطة قناصة حسين كامل!

المتتبع لمسيرة عدنان يلاحظ انه قفز في ١٩٧٧ ، والفضل يعود في ذلك الى أحمد حسن البكر الذي اكتشف (متأخراً) أن صداماً ليس أهلا لثقته العمياء ، وانه - صدام - جرده من كل شيء ، فوجد في عدنان مؤهلات شخص يمكن أن يثق به ويضرب صداماً به في اللحظة المناسبة ... صاهر البكر عدنان بتزويجه إحدى بناته وتنازل له عن وزارة الدفاع غير أن صداماً عاجل البكر بتنحيته واضطر للاعتماد على عدنان ، خاصة

وان الاخير واحد من ثلاثة أشخاص ممن يملكون حق سحب الرصيد السري المودع في أحد بنوك سويسرا ... صفي الاول - عدنان حسين في مجزرة آب ١٩٧٩ ، ولم يبق من الثلاثة سوى العراب صدام نفسه ...

في السنوات الاخيرة حدثت خلافات داخل الأسرة الحاكمة لعب فيها عدي دورا بارزا عندما أمر هيثم البكر بتطليق زوجته - وهي خالته - أخت (أم المجد) ليتزوجها - فيما بعد - وطبان إبراهيم ثمّ ختم (مناقبه) بقتل مربيه كامل ججو ، أدت هذه التصرفات الى إثارة غضب عدنان ، الذي كان قد سجل اعتراضات جوهرية خلال قادسية العار ، وخاصة في مسألة (الفاو) وقضية (فرق الاعدام) التي كانت تلقي الرعب في صفوف المقاتلين ...

بالرغم منهم ! كان عدنان عسكرياً حقيقياً ، يحترم ذوي الخبرة والمهارة ، وفي السنوات الاخيرة كان ينتقد صدام وتصرفاته وجهله بالشؤون العسكرية ، علنا ...واثر اعتقال مجموعة من العسكريين والمدنيين أغلبيتهم من سامراء ، التي يشكّل اسمها (عقدة) للـ (القائد المنصور) لأسباب عديدة من بينها انها مدينة عبد الخالق السامرائي ، ونتيجة التعذيب الشديد زعم أحدهم بأنه في حالة حدوث (شيء ما) سيكون البديل : عدنان خير الله ...

النجف: مدينة العلم

استهواني (علم الرجال) منذ الصغر ... وهذا العلم يُعنى بتراجم وسير الشخصيات التي لها اثر في المجتمع . وفي ١٩٥٩ تعرفت الى عبد الرحيم محمد علي - احد ادباء النجف المعروفين . لقد جمعتني به روابط كثيرة بينها عشق الكتب والمخطوطات وكل ما له صلة ..بتراث السلف ...

كان عبد الرحيم بقامته القصيرة وشواربه الكثة . شعلة من الحيوية.. وكان ايمانه (العروبي) قوياً ولا يعادله الا ايمانه بـ(الاسلام) غير انه كان يرى ان الاثنين اذا اجتمعا فيمكنهما بناء دولة قوية راسخة....

لعبد الرحيم افضال كثيرة علّي اهمها انه قدمني الى (المجتمع النجفي) ... النجف مدينة غامضة . لا تفتح اذرعها لأي مخلوق بسهولة ... وبواسطة عبد الرحيم تعرفت الى صفوة العلماء والأدباء والشعراء في طليعتهم الائمة والشيوخ .... محسن الحكيم وابو القاسم الخوئي واغا بزرك الطهراني ، امطرهم اللّه بشآبيب رحمته .

وحضرت مجالس وندوات ادبية وعلمية واجتماعية تركت في قلبي براكين من السرور ... وان انس لا انسى الشيخ الجليل اغا بزرك صاحب موسوعة (الذريعة) والذي كنت اراه يعمل بنشاط وهمة ، يتكأ على حصير بسيط في باحة داره وبيده قصبة ، يكتب فيها بيده المرتعشة وحوله عشرات المخطوطات والمصادر النادرة ، كان يحمل على ظهره تسعين عاما وعلى الرغم من ذلك كان يتحدى الزمن ويصارع الدهر وظل يؤلف وينقر حتى توفاه الله (في العشرين من شباط ١٩٧٠).

اما الامام (ابو القاسم الخوئي) فان مجلسه ساحر لا يمل ، فهذا الفقيه العالم بالاصول والرجال والمؤلف المكثر له حافظة عجيبة ومعرفة واسعة بعشائر العراق والمنطقة (وسأخصه بدراسة وافية ان بقيت فسحة من ايامي باذن الله) ... زرناه مرة في(الكوفة) ، وكان معنا الاديب والمؤرخ عبد الرزاق الهلالي فسأله رأيه بكتاب (العشائر العراقية) للمحامي عباس العزاوي فطلب من احد اولاده دفترا ضخما تبين انه يتضمن ملاحظاته على هذا الكتاب !

كان (الخوئي) يتجنب الخوض في غمار السياسة ، غير انه كان يمتلك آراء متزنة لو اتبعت لتجنب العالم الاسلامي الكثير من المشكلات والأزمات ..

خلال الحرب مع ايران حاول (صدام) استغلال بعض الخلافات بين العلماء ، فسعى للحصول على (فتوى) منه ، الا ان السيد (ابا القاسم) رفض ذلك بشدة ، مما جعله يدخل ضمن(القائمة السوداء) فيتعرض للمضايقة ، وتمنع عنه (حوالات)(الخمس) و(الزكاة) وغيرها مما كان يرده من انحاء العالم .

في ١٩٧٩ وبينما كان صدام يستعد لشن عدوانه ضد (الجمهورية الاسلامية)اوفدت وكالة الانباء الفرنسية احد مندوبيها لتغطية ما يجري في العراق . فطلب هذا مقابلة (الخوئي) ، فتولت وكالة الانباء العراقية ترتيب المقابلة فجهزت الصحفي الفرنسي بسيارة تعود الى احد موظفيها ممن يحسن الانكليزية مع محرر آخر..

أدلى الامام (الخوئي) بتصريحات متزنة تدعو الى تسوية الامور بين البلدين المسلمين ، بالطرق السلمية والدبلوماسية وتجنب إراقة الدماء... الخ

وما أن نشرت التصريحات – بعد ثلاثة أيام – حتى تم اعتقال موظفي الوكالة ... وكان احدهما من (سامراء) والآخر من (الكرخ) ...

أودع الشابان في (قصر النهاية) وتعرضا لتعذيب عنيف ، وكانت تهمتهما تزويد صحفي أجنبي بمعلومات خاطئة ، تضليلية !

كانت الوكالة الفرنسية قد قدمت لتقرير مراسلها تعريفا جاء فيه :

- الامام الخوئي ، الزعيم الروحي للشيعة الذين يمثلون أكثرية في العراق ... الخ ...

ورد الموظفان ، بأن أحداً لم يوجه لهما مثل هذا السؤال ... فللوكالة (أرشيف) ... لم يجرؤ النظام على إتهام (الخوئي) غير انها دخلت (ملفه)!

في تشرين ١٩٧٩ زرت (الامام الخوئي) في داره العامرة وكان معي عبد الرحيم كالمعتاد ، وإذا بنا نجده على غير عادته ... كنا نقدر الظروف القاسية التي يمر بها العراق ، فمضايقات العلماء مستمرة ، والاعتقالات مستمرة ...

كان كل شيء يؤشر الى قرب اندلاع (القادسية السوداء) ...

صمت الامام قليلا ، ثم قال :- إنهم لايخجلون ! ... بالأمس أرسلوا لي أحد النكرات وبيده كتاب عنوانه : (النجوم الزواهر في شجرة الأمير ناصر) كله افتراءات وأكاذيب ! يزعم هذا الكتاب أن صدام وخير الله طلفاح وغيرهما ينتسبون الى(بيت النبوة) !! لقد قدم لي هذا الشخص (شجرة) مرتبكة الاغصان وطلب مني أن أباركها ومقابل ذلك ترك لي (تقدير الثمن)!

قال هذا ثم (حوقل) وقال : النبي بريء من هؤلاء المجرمين عديمي الأصول والجذور!

هنا ذكّرته (رحمه الله) بأن بعض أدعياء العلم زعم ان فاروق - ملك مصر السابق - ينتسب هو الآخر الى بيت النبوة ! فسرى عنه وضحكنا كثيراً ....

كان ذلك آخر لقاء لي بالامام وبصديقي ...

في أواخر ١٩٨٠ انتزع عبد الرحيم محمد علي من داره - كانت تهمته : التعاطف مع حركة المعارضة ، عذب عدة أيام ثم نفذ به حكم الاعدام ليدخل عداد الشهداء ... وصودرت مكتبته ...

وبعد اندلاع انتفاضة آذار / شعبان ١٩٩١ ووقوف الامام الجليل

(الخوئي) الى جانب شعبنا ، أعتقل ثم وضع رهن الاقامة الجبرية - اثر الضجة العالمية ...

ولم يخجل النظام من اعتقال أكثر من مائة مواطن من أفراد أسرته ومريديه ...

حدثني صديق كان من شهود الانتفاضة ... وكتب الله له الخلاص : ان النجف تحولت الى خرائب وأطلال بـ (فضل) مدفعية – القائد المهزوم ! – فلقد تم نسف معظم المساجد والمكتبات العامة ، وأماكن العبادة والعلم و (الحسينيات) الخ ...

ونسف الجلادون بيوت عدد من دور العلماء الأجلاء ... وبين هذه الدور:

دار الامام الخوئي والتهمة ايواء الثوار!

وذكر لي أن (الضباط الصداميين) اعتبروا معظم مواطني النجف من المشاركين في (الانتفاضة) ، ولا يعتبر المواطن (بريئاً) إلا إذا ردد الشتائم التي يريدونها ، والهتاف باسم صدام !

صفـــاء الحيـــدري:
الصَـفـيّ

لاتسألوني ، بل اسألوا الظروف !

هكذا كان ينهي إحسان عبد القدوس رواياته الرومانسية ، على لسان أبطاله الخائبين ، لاسباب قاهرة ، خارجة عن إرادتهم !

تذكرت هذه العبارة – اللازمة وأنا أسفح دمعات على روح صديق شاعر ، رحل من دنيانا الفانية في بغداد مؤخراً ، وهو مثقل بالاحزان والوحدة والذنوب أيضاً !

ولد صفاء بن أكرم الحيدري في أنقرة (١٩٢١) في أسرة عراقية – عريقة – كان والده ضابطاً في الجيش ويبدو أن الابناء لم ترق لهم هذه المهنة . فترك صفاء المدرسة مبكراً لينصرف الى الادب وكتابة الشعر، ومنذ الاربعينات اتخذ الصحافة مهنة له ، فأصدر مجلة الاقباس (١٩٤٥) ، ثم جريدة (صدى العراق) التي عطلت في (١٩٥٤) وفي هذه الاثناء كان ينشر نتاجاته الشعرية على صفحات مجلة (الاديب) اللبنانية وغيرها وفي ١٩٤٧ أصدر ملحمته الشعرية (أوكار الليل) ثم تبعها بـ(عبث) (١٩٤٩)، (يوميات مراهق) (١٩٥٠) وفي ١٩٦٣ أصدر مجموعته الشعرية (قنوط) وفي ١٩٧٨ أصدر أعماله الكاملة تحت عنوان (ديوان الحب الكبير) ثم كرر طبعه بعد إضافة قصائد جديدة ، وتعديل أخرى .

لم يعرف عن صفاء أي انتماء سياسي ، عاش معظم حياته عزباً ، وحيداً متنقلاً في أحياء بغداد وعاش في السنوات الاخيرة في منطقة (العلوية) قرب شارع السعدون .

وفي أواخر السبعينات بدأت مشكلاته :

كان النظام قد فرغ من بناء جهاز مخابراته بأشراف (السيّد النائب)

– وكان قد قسم بغداد الى ثلاثة أقسام رئيسة . كانت المنطقة التي اتخذها صفاء سكناً له حساسة ،فهي قريبة من مديرية الامن وقيادة القوة الجوية وغيرها . ولهذا أخضع السكان فيها الى مراقبة دقيقة ، وذات مساء دهم (زوار الفجر) (مشتمل) صفاء ليخضعوه الى (تحقيق طويل) ، وجوبه بتسجيلات ووثائق تثبت (تطاوله) على صدام حسين والحزب الحاكم و..و.. الخ !

ولم يطلق سراحه إلاّ بعد أن وقع على تعهد يقضي بحضوره الدائرة نفسها أربع مرات سنوياً ، و(يتعاون) معها .

عاش صفاء أياماً مرعبة بعد استيلاء صدام على (الكرسي الاول) واندلاع (قادسية البؤس) ... وكاد أن ينتحر – كما اعترف لي لاحقا غير انه استشار صديقاً عزيزاً فنصحه قائلاً :

– الحل بسيط ... مادمت لاتريد الرحيل والتغرب كما فعل بلند فليس عليك – وأنت شاعر – إلاّ أن تمدح (بطل القادسية) ! وسمع صفاء هذه (النصيحة الثمينة) فكرس كل طاقاته في مدح صدام والتغني بحروبه ويوم ميلاده ... الخ ...وراح يطبع كتبه الشعرية وهي تحمل صورة الدكتاتور فينتفع بها رجال الامن ممن كلفوا بمراقبته مكتفياً هو بـ : السلامة !!

تعرفت الى صفاء في تشرين الاول ١٩٦٠ فور تعييني موظفاً في وزارة الاصلاح الزراعي ببغداد ، بسعي مشكور من صديقي الاستاذ عبد المجيد حسيب القيسي المقيم حالياً في دولة الامارات .

كان صفاء – يشغل وظيفة (مدير التوجيه والنشر) وقد سعدت بالعمل وإياه وعاملني الرجل بكل أدب وكياسة ، وبعد انقلاب شباط ١٩٦٣ فصل من عمله – واضطررت أن أشغل وظيفته ، بل (كرسيّه) – لظرف سياسي أقتضى ذلك ، وفوجىء بي مساء يوم فصله وأنا أزوره في داره!

– رمى (الكأس) من يديه ، واستقبلني بالاحضان ضاحكاً -باكياً! وبعد أيام رجاني أن أساعده في إطلاق سراح أخيه بلند والذي كان معتقلاً في (خلف السدة) – سيىء الصيت .

اتصلت بالعميد رشيد مصلح التكريتي – الحاكم العسكري العام يومئذ ورجوته معاونتي في إطلاق سراح مجموعة من أصدقائي الشعراء والمثقفين المدفونين في ذلك المعتقل القاسي .

قهقه – أبو قيس – وطلب مني أن أعيد كلمة (الشعراء) مع ذكر الاسماء!

هنا أوردت قائمة منها : بلند الحيدري ، رشدي وماجد العامل ، محمود الريفي ، علي الشوك ، سلمان الجبوري ، جيان (يحيى عبد المجيد) خالد عريم .. الخ ..

وتم فعلاً إطلاق سراح هؤلاء – وغيرهم – وتعمقت صلتي بآل الحيدري وظلت صلتي بصفاء متينة ، لكن هذا لا يمنعني من القول بأنه لم يجد له مكانةمناسبة في خارطة الشعر العراقي المعاصر ، الذي يموج بالمبدعين وفي مقدمتهم شقيقه بلند – أحد رواد القصيدة الحديثة . بدأ (صفاء) مقلداً لمدرسة المهجر الشعرية والياس أبي شبكة – وظل ملتزماً بالاساليب الكلاسيكية ولعل لفشله العاطفي الذي تجسّد في مجموعته (قنوط) الاثر في ذلك !

كان (صفاء) يحرص على تزويدي بكل نتاجاته ، وعندما تلقيت مجموعته (قصائد لبطل القادسية) والتي يحمل غلافها صورة ملونة لصدام يتظاهر فيها بالصلاة في أحد المراقد المقدسة ، والمسدس يتدلى على يمينه .. كتبت اليه :

– تلقيت هديتك ، وأجمل .مافيها توقيعك الصافي الذي لم يتغير !

رحم الله – أبا حيدر – وإيانا .

حاشيـــة:

هذا الذي قتلوه مرتين: كان أخي!

بقلم: بلند الحيدري

قبل اسابيع مرت ، حملت اليّ سماعة التلفون صوت صديق يعزيني بموت اخي « صفاء الحيدري » ولم اكن قد سمعت بنبأ وفاته من قبل والذي كان قد قرأه في صحيفة اردنية نقلاً عن صحيفة عراقية .

وصفاء شاعر كبير كان يكبرني بخمس سنوات وكانت تجاربه الشعرية والرومانسية من ركائزانطلاقة جيلنا في الحداثة الا ان ابتعاد الرجل عن الشهرة وانكفاءه على ذاته لم يعط لدوره الاهامشا صغيرا في هذا الكتاب او ذاك من الكتب التي ارخت للشعر العراقي الحديث .

ولم نكن ، أنا واخي ، على كثير من الود ، منذ ان عرفت فيه الطفل المدلل في البيت ، ومنذ ان عرفت نفسي في الطفل المهمل ، فكل طلباته تلبى وكل طلباتي ترفض ، . وصار دأبه ان يحجمني كما يريد ، في الملاكمة والشعر . وصار دأبي ان اتحداه ، وكلما كبرنا ، كبرت النفرة في ما بيننا ، ومع ذلك فما أن ينالني احد بكلمة سوء في مجلس من مجالس الاوانتصر لي بحماسة ، مؤكدا بأني مجدّد في شعراء جيلي . وما ان ينال احد من مجالسي بنقد شعره الاوانتصرت له مبينا اهمية عطائه الشعري وغنى ماورثنا من رهافة رومانسية ، وكلما وصلني خبر عن دفاعه عني كنت اكتب اليه شاكرا صنيعه فيرد علي بأن « الدم لن يصبح ماء » .

ترك الملاكمة وتركتها بعد ان آمن كل منا بأن انتصاري عليه فيها او انتصاره علي ليس بذي قيمة ما دمنا لن نستطيع ان نكون ملاكمين مشهورين في العراق ولا حتى في مدارس بغداد . وانصرف الى شعره

وانصرفت الى شعري . وظل شعره مرتبطاً بمشاعره الذاتية المرهفة واجواء حبيباته الموهومة في كثير من الاحيان ، وصار من بعض همومي في الشعر ان اعلن عن موقفي السياسي ، وزادت مآخذه على شعري وعلى مواقفي ، وبقدر ما كنت اندمج في واقع عراقنا الاجتماعي ، كان صفاء يؤكد يوما بعد آخر ابتعاده عن المجتمع مكتفيا بداره الصغير ومكتبته وكلبه المستلقي امامه ، يقرأ له مايكتب ثم يضحك من نفسه ومن كلبه ومن تخيله بأنه يفهم مايقرأ عليه . كما روى لي ذات مرة - بلند يتزوج ويصبح صاحب عائلة ثم يسجن ، ثم يهاجر الى لبنان ... وصفاء يظل في بغداد وفي ذات الدار ... ويموت الكلب فيستبدله بآخر ، ولن افكر في الزواج مطلقا .

ومن حين لآخر كان يكتب اليّ واكتب له ، وتختلف كل رسالة من رسائله عن الاخرى ، فإ حداها ملأى بالحقد لأني سرقت وهجه الشعري كما ظن ، والاخرى ملأى بالمحبة وبما يعانيه في وحدته القاتلة وغربته في بلده. ويقول لي ذات مرة : « كان على واحد منا ان لا يولد او ان يموت يوم ولادته ، بدلا من ان يتمنى كل واحد منا ان يقتل الآخر » ...وارد عليه بكل ما يمكن ان يطيب خاطره وانني احبه لن انسى بانه هو الذي جعلني اكتب الشعر ، وان شعري دون شعره ، والشهرة ظالمة يا صفاء ... وان علينا ان نتجاوز ما ترسب في اعماقنا من طفولتنا .

وكان ما يجمعنا الى بعض هو انه لم يوظف شعره لخدمة حاكم ، « وانني لم اكتب ولا بيتا واحدا من الشعر في مدح اي حاكم » وذلك ما كنا نقول ونعتز به ونثمن موقفينافي زمن كثر فيه حملة دفوف « اعشى ميمون » من المداحين وماسحي الاحذية .

وفجاة يصلني ، وبعد انقطاع طويل ، ديوانه « قصائد لبطل القادسية » ايمكن ان يكون هذا حقيقة ... صفاء يكتب قصائد في مدح صدام حسين!؟ استكبرت الامر واستنكرته واعدت ديوانه اليه وعلى « صفحته الاولى كلمة موجزة « لِم هذا الانتحار المشين يا صفاء، ولم يرد علي بشيء وتنقطع رسائله عني ، وان كنت قد بقيت اتسقط اخباره من حين لآخر، فيؤلمني ان صحته تتدهور بسرعة. وان « السكري » ارتفع الى درجة مخيفة وكذلك ضغط الدم عنده .. فاكتب اليه متسائلا عن كل ذلك وناصحا اياه بضرورة تغيير نمط حياته ، فيزداد صمتا وازداد الحاحا من دون اية فائدة .

وامس قرأت في جريدة الوفاق كلمة طيبة للدكتور جليل العطية وككل كلماته التي يستعيد بها ذكريات اصدقائه الحميمين فيقول في فقرة منها : [... وفي اواخر السبعينات بدأت مشكلاته ! كان النظام قد فرغ من بناء جهاز مخابراته باشراف السيد النائب . وكان قد قسم بغداد الى ثلاثة اقسام رئيسة ... كانت المنطقة التي اتخذها صفاء سكنا لها حساسية ، فهي قريبة من مديرية الامن وقيادة القوة الجوية وغيرها ، ولهذا اخضع السكان الى مراقبة دقيقة ... وذات مساء دهم زوار الفجر مشتمل صفاء ليخضعوه الى تحقيق طويل وجوبه بتسجيلات ووثائق تثبت تطاوله على صدام حسين والحزب الحاكم ... الخ ... ولم يطلق سراحه الابعد ان وقع على تعهد يقضي بحضوره الدائرة نفسها اربع مرات سنويا ويتعاون معها .

عاش صفاء اياما مرعبة بعد استيلاء صدام على الكرسي الاول ، واندلاع قادسية البؤس ... وكاد ان ينتحر - كما اعترف لي بذلك - غير انه استشار صديقا عزيزا . فنصحه قائلا : الحل بسيط ما دمت لاتريد الرحيل والتغرب كما فعل بلند ، فليس عليك وانت شاعر الا ان تمدح بطل القادسية ... وسمع صفاء هذه النصيحة « الثمينة » فكرس كل طاقاته في مدح صدام والتغني بحروبه ويوم ميلاده ... الخ . وراح يطبع كتبه الشعرية وهي تحمل صورة الدكتاتور فينتفع بها رجال الامن ممن كلفوا بمراقبته ، مكتفيا هو بالسلامة ... عندما تلقيت مجموعته ، قصائد لبطل القادسية . والتي يحمل غلافها صورة ملونه لصدام يتظاهر فيها بالصلاة والمسدس يتدلى على يمينه كتبت اليه : تلقيت هديتك واجمل مافيها توقيعك الصافي الذي لم يتغير].

لِمَ ياصفاء لم تخبرني بكل ذلك لكيٍ لااتهمك فاظلمَك ، لمَ لم تخبرني بانهم قتلوك عندما اجبروك على مدحِ صدام ؟ وأنهم قتلوك ثانية لأنهم لم يعطوك الفرصة لتقول بصدام غير الذي قلته ، وانك متّ بندمك على ماقلت ...

رحم الله صفاء الحيدري ... وآمل أن يعفو عن اساءاتي الكثيرة اليه ، ويغفر لي ماجنيته عليه .

من مجلة (المجلة) لندن - العدد ٦٨٠ في ١٧ شباط ١٩٩٣

السيد كاظم الطباطبائي:
شاعر القضية العراقية

في الرابع والعشرين من آب ١٩٩٢ غيّب الموت واحداً من أبرز العراقيين المكافحين ضد النظام الدكتاتوري، ممن كانوا يحلمون أن يشهدوا فجر الخلاص والانعتاق .

ولد السيد كاظم بن محمد بن مصطفى الطباطبائي الحسني الحكيم ببغداد (١٩٣٧ م) في أسرة علوية شريفة يتصل نسبُها بالامام علي بن أبي طالب (رض) ، أنجبت الكثير من العلماء والادباء والشعراء . درس في مدارس بغداد وتركها ليتلقى العلم على علماء مدينة الكاظمية وغيرهم ، ولظروفه المعيشية الصعبة عمل في الصحافة والاذاعة . وعندما ضيّق (الحزب الاوحد الحاكم الخناق على العراقيين الذين رفضوا دخول (الحزب) غادر بغداد أواخر ١٩٧٣ م ليحط رحاله في بيروت وأمضى فيها ١٣ شهراً ،ولما لم يجد عملاً يسدّ فيه رمق أسرته غادر الى الولايات المتحدة الامريكية ليقيم في مدينة (لتل روك) بولاية (إركنساس) ولم تمض سوى فترة وجيزة حتى اقتحمه (الربو والفقْرات القَطَنية) على أن هذه الامراض وغيرَها لم تمنعه من أن يواصل خدمة شعبه بكل ماأوتي من عزم فشارك في الكثير من المؤتمرات والتجمعات الاسلامية والوطنية التي أقامتها فصائل المعارضة العراقية على الساحة الامريكية ، والتقى ونشر العشرات من القصائد والمقالات التي تعرّي نظام صدام حسين وزمرته.

وعندما ولد (تجمع الوفاق الديمقراطي العراقي) كان من أوائل المرحبين به ،والمتحمسين لافكاره الوطنية – فانتمى اليه ، وراح ينشر قصائده التحريضية ومقالاته الناريّة على صفحات جريدته . ولما انعقد المؤتمر التأسيسي للتجمع في لندن – أوائل أيار ١٩٩٢ م ألقى قصيدةً وطنية الهبت حماسَ الحاضِرين ، وفي ختام المؤتمر أُنتخب عضواً في

اللجنة التنفيذية للتّجمع ، فعاد الى منفاه ليضاعف من نشاطه الوطني والادبي ، وكان أكثر مايتمناه انعقاد مؤتمر للمعارضة العراقية يكون أساس انطلاقة تنهي آلام وعذابات العراقيين ، غير أن المنية حالت دون تحقق الامنية .

خلف السيد كاظم عشرة أولاد ومسودات طائفة من الكتب التي كان يأمل أن يراها بين أيدي الناس ، منها : حصادي في المهجر وثورة الغرباء - شعر - حكايتي مع العراق - ذكريات سياسية - مايلحن فيه اللاحنون ، مايلحن فيه المذيعون والعامة ، - لغة - سفير الاسلام الى العالم دراسة تتناول حياة وأعمال السيد حسن الشيرازي (اغتالته عصابات مخابرات النظام العراقي في بيروت - ٥ أيار ١٩٨٠ م) ، فن التقطيع الشعري وغير ذلك .

تعرفت الى السيد كاظم في ١٩٥٩ م ، أيامها كان يعاون خاله المرحوم عبد الحميد التحافي في جريدته - الوطن - . ولقد لمست فيه قابليات أدبية وطاقات فكرية لاحدود لها ، واكتشفت فيه خصالاً نادرة أهمها : الوفاء والتواضع والطيبة والنقاء وتوثقت صلاتنا من خلال - إتحاد الكتاب والمؤلفين . شعرياً كان من تلامذة المدرسة النجفيه التي ظلت وفيه للعمود الشعري ، وأجادة الطباطبائي كتابة الشعر جعلت شعره يختلط بشعر الجواهري - قمة الشعر - وهي شهادة لصالحه تبعث على الفخر والاعتزاز !

يمتاز شعره بقوة السبك وبساطة المعاني ، وهو يمتلك ديباجة عباسية تذكّر بالبحتري وغيره من الفحول . لدى مغادرته بغداد مبتدئاً رحلة المنفى الشاقة ، كتب قصيدة خاطب فيها ابنته الصغيرة يومها - آلاء - جسدت المأساة ، مطلعها :

من أجل عينيك ياآلاء أرتحلُ   أطوي الفيافي لاحادٍ ولاجملُ

وقصائده الجيدة كثيرة ، بينها : لماذا ؟ لست أعلم ، كتبها أثر قيام النظام بجريمة تهجير الالاف من العراقيين بدعوى انهم ينتمون الى أصول إيرانية ، وهذه القصيدة تجاري أخرى شهيرة للشاعر المهجري

(إيليا أبي ماضي) ، يقول فيها :

قيـــل « صدام » منـــسوبٌ لاهلـــي وعشيـــري

قلت : حاشى أن تكون البوم من نسل الطيـور

وظــلام الشـــؤم لايـنـــسب - حقـــاً - للبـــدور

نسبوه لـ« حسين » ، وهـو من نسل الشرور

أمــه أخــت « طلفيح » وأخت « الشر » تُشتمْ

تبعيـاً ، قيـل سمّيـت ! لمـــاذا ؟ لست أعلم

أما تضلعه اللغوي فهو معروف ، حتى أن مؤسسة الاذاعة والتلفزيون طلبت منه أن يعدّ لها دراسة تتناول أغلاط المذيعين والمذيعات طبعتها في كراس وزعته لمنتسبيها .

حدثني المرحوم محمد هاشم الجواهري - وهو شاعر وأديب - انه أراد أن يتأكد من حسن إحاطة السيد كاظم باللغة ودقائقها ، فسأل العلامة مصطفى جواد في قضية ذاكراً رأي السيد أيضاً ، فما كان من الدكتور جواد إلاّ أن يؤيد وجهة نظر « السيّد » قائلاً :

إذا قال (الطباطبائي) فصد قوه !

وهو بهذا يشير الى البيت الشهير :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ماقالت حذامِ

وللسيد مواهب أخرى فهو اديب له إسلوب يحسده عليه (عبد الحميد الكاتب) و(ابن المقفع) ، ومن اتيحت له مراسلته غنم الكثير من كنوز يراعه ، وبيادر كلماته التي تقطر حباً ووفاء . وعندما بلغني (أصعب الانباء) أجهشت بالبكاء وأنا أتذكر عشرة ثلاثة وثلاثين عاماً ورحت أنبش ملفاتي ، أقلّب رسائله وأستعيد قراءة قصائده ، وأتمثل بنيته النحيفة التي عدت عليها أيام الهجرة والنفي والقهر .

اكتشفت إنني أملك نحو أربعين رسالة منه مكتوبة بإسلوبه الادبي البليغ ، المفعم بايات المودة والأخاء والصفاء ، وانفجرت دموعي وأنا أقرأ رسالته المؤرخة في ٥ آب ١٩٩٢ م والتي يقول فيها :

انتهيت مؤخراً من القصيدة التي وعدت نفسي بالقائها في المؤتمر الثاني للمعارضة العراقية القادم ... هذا المؤتمر الذي أحسّ بأعماقي انه

سيكون «مؤتمر الخلاص» «مؤتمر: الكلمة النهاية، و«كن أو لا تكن...
وآمل أن تكون افتتاحية المؤتمر ، فإنها لاجود ما نظمت خلال هذا العام بخصوص القضية العراقية ، والقصيدة رائية مضمومة ...وإذا القيتها، وكتب الله لي ذلك ، فإنها ستكون بمثابة قنبلة ، تنفجر يوماً مع تفجر قنابل الخلاص ، الازف ، القريب بإذن الله .

وطويت الرسالة وأنا أردد بيت الشاعر (جورج صيدح) في رثاء صديق يقول :

كيف تمضي ، كيف لاأمضي معك ؟ !

عزيز علي:
كل حال يزول...!

فوجيء مشاهدو تلفزيون بغداد بمقابلة مع الفنان الساخر عزيز علي استغرب المواطنون ظهوره بلا مناسبة ،وبعد غياب أكثر من ربع قرن من الشاشة الصغيرة ... وتساءل الغيارى بينهم وبين أنفسهم – لماذا لايرحم الاعلام الصدامي المعتل هذا الشيخ المهيب ابن الثالثة والثمانين؟

ألم يخجلوا من أنفسهم انتزاعه من فراش المرض المحاط بالعشرات من الادوية ، وقوارير الاعشاب الطبية ؟

سرّ تذكر النظام لهذا المبدع الاصيل أن شائعة سرت خارج العراق برحيل هذه النخلة الشامخة ، ممّا جعل الاقلام الشريفة التي تعيش في الخارج تتصدى للتذكير به ، باعتباره واحداً من أكثر فنانينا أهمية ، وأكثرهم التصاقاً بهموم شعبنا .

كنت ممن تصدى للكتابة عليه في مقالة عنوانها (فنان الشعب) نشرت في العدد السادس والاربعين من جريدة (بغداد) الصادرة في(لندن) ١٨ تشرين الاول ١٩٩١ ، وتتضمن المقالة خلاصة بسيرة هذا الفنان العصامي وتقويمه .

النظام يتلذذ بتعذيب رموز الشعب العراقي ، ممن يكن لهم شعبنا كل احترام وتجلة ، وهو يحاول حرق هذه الشخصيات الاجتماعية !

ولا بأس أن نذكّر كيف اختطف الامام المجاهد « أبو القاسم الخوئي » وهو في التسعينات من عمره من فراش مرضه في (الكوفة) وزجّ في واحدة من طائراته – الملوثة بدماء شعبنا – ليجلس بين يدي الطاغية صدام في وضع يبدو فيه (القائد الرائد) أطول قامة – بسبب ارتفاع كرسي (عرشه) المهترىء من الزعيم الروحي الكبير .

تأسست إذاعة بغداد في مستهل ١٩٣٧ ، وقد فوجيء مستمعوها بشاب يقدم اشعاراً تختلف وزناً ولحناً ومعنى عن الاشعار الكثيرة المتداولة ، وسرعان ماتجاوبت ازجاله وأقواله مع مشاعر الناس ، بمختلف أعمارهم ومداركهم . كان هذا الشاب يدعى عزيز بن علي بن عبد العزيز بن علي بن حاتم بن هاني واشتهر باسمه البسيط : عزيز علي .

اللون الذي قدمه سماه : المونولوج وهو تعبير مستخدم في لبنان ، والكلمة لاتينية تعني : المقال الفردي – الخطاب .

حقق منولوجه (احچي) الذي قدمه أواخر ١٩٣٨ شهرة شعبية واسعة نظراً لفضحه فساد أجهزة الدولة ، الرشوة ، التفاوت الاجتماعي وفيه يقول :

گـــام الــــداس ياعبـاس   جافت سمچتنا من الراس
يـــاناس ضـــاع المقيـاس   مــاظل شـــيء نعلن لفلاس
لـــكن مـن يقــره ويسمــع   والشـكَك هـــم مايتــرگـع
والحچـــي مــاظن ينفـــع
شــحچـــي مـــاأحچـــي

واشتهرت في هذه الفترة منولوجاته : دكتور ، أمان (في رثاء الملك غازي) ، منّه ، منّه ، وبعد فشل حركة مايس ١٩٤١ اعتقل ثلاث سنوات ، وفي بداية ١٩٤٨ وقف وراء ميكروفون الاذاعة بعد غياب طويل ، ليصرخ بوجه المستعمرين قائلاً :

حـبـسـونـه عذبـسـونـه   واللّـــه لـــولا تقتـلونـه
وتـــركونـه وتـــذرونـه   لـهذا الـوطن حنا نصونه
منـــخونـــه ، لا تـظـنـــونـــه

صور عزيز علي الامة العربية على هيأة سفينة تسير وسط خضم هائج، شراعها ممزق ، وصاريتها مائلة ، وصوّر عراقنا كبستان يعبث فيه اللصوص من (النواطير النشامى)، وشن حملة ضد نوري السعيد في عدة منولوجــات بينهــا (صل على النبي) و (اسكت) و (البــاشــا والفن) و(اليحچي الصدك) ، وفي اذار ١٩٥٨ تنبأ بسقوط العهد الملكي من خلال

(كل حال يزول) ، والذي ابعد بسببه عن الاذاعة . وبعد انقلاب تموز ١٩٦٨ اعتقل ضمن مجموعة بتهمة الماسونية ، واحيل الى احدى المحاكم الصورية (الثورية) لينال السجن المؤبد . ولقد امضى عشر سنوات في سجن (ابي غريب) سيء الصيت - ، وخلال تلك الفترة الشائكة مرضت رفيقة عمره مرضاً خبيثاً لا يرجى شفاؤه ، وسعت اسرته لتحصل على موافقة السلطات الرسمية لتمنحه اجازة يومين او ثلاثة ليلقي نظرة الوداع عليها غير ان (السيد النائب) رفض بشدة ، في حين كان (الماسونيون الحقيقيون) قد تمتعوا بهذا الحق ! وكان صدام قد وضع هاتفاً يستمع فيه الى (شكاوى المواطنيين) ليحلها بطرقه السحرية وعندما اتصلت بصدام احدى قريبات الفنان الكبير ، رد عليها (بطل القادسية) قائلاً :

احذري ان تعيدي اسمه على مسامعي ......

ثم اغلق الهاتف بغضب !

اعترف لي سعدون شاكر الرئيس الاسبق لجهاز مخابرات النظام ووزير داخليته ، اثناء لقائي به في الكويت (ايلول ١٩٧٤) ان عزيز علي لم يكن ماسونياً واوضح لي ان نشرة طبعت متضمنة اسماء مجموعة من معارضي النظام ، اضيفت الى اسماء ماسونيين حقيقيين ... ولم يكن فناننا معارضاً ، الا ان موقفه كان (سلبياً) على حد تعبير (شاكر) ... رفض عزيز علي الكتابة الى (صدام) ليشمله ب (العفو) ، ولم يفرج عنه الا بعد صدور عفو عام شامل ، وبعد خروجه من السجن فجع بوفاة ابنه البكر (عمر) .

تربطني بعزيز علي وشائج تمتد الى ١٩٥٦ عندما كنت اسمعه من الاذاعة في مسقط رأسي - الكوت - ، ورحت اواظب على الاستماع اليه ، بحيث تحول (الاربعاء) - موعده الاسبوعي - الى عيد حقيقي لي - حتى تعرفت اليه بعد انتقالي الى بغداد (١٩٥٩) ، وعقدت واياه صداقة اعتز بها ، وخضت من اجله ، ومن اجل المبدعين الاخرين ، معارك في صحافة الستينات ، وتزاملنا في وزارة الثقافة والاعلام فوجدته انساناً ، مؤمناً بوطنه ، واسع الثقافة ، طيّب القلب ، سريع البديهة وجمعتنا أواصر كثيرة وتعمقت صداقتنا بحيث كان واحداً ممن خطبوا لي زوجتي ورفيقة حياتي (العلوية أم محمد) وذلك في (أيلول ١٩٦٧) !

في (تشرين ثان ١٩٨٨) زرته في بيته المتواضع في حي العدل بكرخ بغداد ، وتعانقنا كثيراً بعد فراق طويل ، وتحامل فناننا العبقري على نفسه ونهض ليضع بين يدي رزمه صحف عتيقة بينها ماكتبته دفاعاً عنه ،وتقويماً لفنه وكفاحه من أجل أغنية هادفة .

وأنسحبت وانا أغالب دموعي متمنياً له طول العمر وان يقصر اللّه أعمار من اضطهدوه وحرموا الناس من إبداعاته وخرجت من داره مردداً معه :

ماتظل الدنيا بفد حال

تتحول من حال لحال

هذا دوام الحال محال

كل حال يزول

كوركيس عواد :
النجم الغائب

الانباء الواردة من بغداد لاتبعث إلاّ على الاحزان ، فمن إعدام التجار الى إعدام كوكبة من المواطنين في العمارة الى تساقط العلماء الافذاذ الذين خدموا بلاد الرافدين وشعبنا باخلاص ، آخر النجوم التي تهاوت كوركيس عواد .

ولد كوركيس بن حنا بن عواد في مدينة الموصل في التاسع من تشرين الاول ١٩٠٨ في أسرة مسيحية ، متوسطة الحال تمتهن النجارة، انصرف الاب الي صناعة الالات الموسيقية ، ونجح في صناعة (عود) لقي نجاحاً ، ولم تقتصر موهبة الاب على هذه الحرفة بل كان يمتلك ثقافة جيدة ، وخطاً جيداً ، ولاتزال الاسرة تحتفظ بمخطوطة كتبها مؤسسها بخطه النسخي الجميل في الموصل ١٨٨٧ م .

هكذا نشأ كوركيس وهو يهيم بكل ماله صله بتراث السلف ،بدأ باقتناء المطبوعات . ثم توفر على كل مهم يعثر عليه من مخطوط أو مطبوع أو لقى آثارية فيشتريها ويطالع ويعلق ، ويفهرس ويبوب ، حتى أضحت له – في وقت لاحق – مكتبة يضرب فيها المثل !

استطاع كوركيس إنشاء مكتبة تقدر بخمسة عشر ألف عنوان ، اتخذ لها طابقاً كاملاً في داره القديمة الكائنة في (أرخيته) بالكرادة الشرقية في بغداد ، درس كوركيس في دار المعلمين الابتدائية في بغداد وتخرج فيها سنة ١٩٢٦ وعمل في ميدان التعليم عشر سنوات ، انتقل بعدها الي مديرية الاثار حيث تولى إدارة مكتبة المتحف ، وكان فيها من الكتب حينذاك ٨٠٤ مجلدات فلما أحال نفسه الى التقاعد سنة ١٩٦٣م كانت محتويات تلك المكتبة قد بلغت نحواً من ٦٠ الف عنوان في ١٩٣٦ انتقل الى بغداد والفضل في ذلك يعود الى ساطع الحصري الذي كان يدير

مؤسسة الاثار ،وفي بغداد تعرف كوركيس الى جمهرة من العلماء كان من أبرزهم الاب انستاس ماري الكرملي ويعقوب سركيس وقاسم محمد الرجب - صاحب مكتبة (المثنى) ومصطفى جواد وعباس العزاوي المحامي وغيرهم وكان لهؤلاء الاثر عليه في المضي في البحث والتنقير . حدثني أبو محمد قاسم الرجب - رحمه الله - ان (مرتب) كوركيس المتواضع لم يكن يسدّ رمق أسرته ، ومع هذا كان منهوماً لايشبع ، فكنت أسجل مقتنياته من الكتب في دفتر خاص ، وعندما يتسلم مرتبة المتواضع ، كان يزورني مباشرةً ويسلمني اياه ،قائلاً :

- خذ ماشئت منه ، وأبق ماشئت إن شئت !

يضيف الرجب : انه كان يشفق على كوركيس ، فلا يأخذ من (مرتبه) أكثر من ثلثه ، ويترك الباقي له ولاسرته ، ويبقى حسابه (مداوراً ، مفتوحاً) للشهور اللاحقة !

نال كوركيس عواد شهرة علمية وعالمية هو أهل لها ، فانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٤٨ م) ، وعضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي (١٩٦٣ م) وعضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية الاردني (١٩٨٠ م) ، وعضواً مؤازراً في المجمع العلمي الهندي .

ونشرت له مجلات هذه المجامع دراسات وبحوثاً نالت استحسان العلماء والباحثين ، وعبر ستين عاماً من العمل الجاد الدؤوب نشر أكثر من أربعمائة عمل مابين كتاب وبحث ودراسه بينها أكثر من ستين كتاباً وله أصول كتب ودراسات لم تتح لها الفرصة بالنشر ... نشر المقالة الاولى في مجلة (النجم) الموصلية وعنوانها الاسكتشاف الجغرافي العالمي(١٩٣١ م) أما آخر مقالة فكان عنوانها (الرحلات التي قام بها أصحابها الى العراق) نشرت في مجلة (المورد)

(١٩٨٩ م) . ومن أعماله المعروفة : جمهرة المراجع البغدادية ، معجم المؤلفين العراقيين ، الديارات للشابشتي (تحقيق) ، بلدان الخلافة الشرقية (ترجمة) ، بيبليوغرافيا المتنبي ، الفارابي ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الشريف الرضي سيبيويه ...الخ ...

تعرفت الى كوركيس في بغداد (١٩٦٠ م) ... تم اللقاء في قاعة المطالعة بمكتبة المتحف العراقي في موقعها القديم في شارع المأمون المجاور للجسر العتيق ... كان كوركيس يجلس وسط القاعة محاطاً

بأكداس المخطوطات والكتب ، وتقدمت اليه وأنا في منتهى التردد والخجل ، وعندما أحسّ بي ، التفت اليّ قائلاً :

– تفضل ياولدي ..

وسرعان مازال ترددي ... وترك الرجل القاعة ليجلب لي بنفسه ماطلبت ... هكذا كانت بداية صداقة وتلمذة استمرت أكثر من ثلاثين عاماً . اذكر أنه سألني بعد تعارفنا بفترة قصيرة :

– هل يمكنك أن تزودني بثبت – أي قائمة – بعنوانات وأماكن المقالات أو القصص أو التحقيقات التي نشرتها ؟

فوجئت بالسؤال وضحكت مجيباً :

– ياسيدي أنا لاأملك سجلاً ، لانني لم أفعل شيئاً يستحق الذكر ... وأنا لم أستقر بعد و... قاطعني قائلاً .

– أنت متوهم ، التوثيق مهم ... ماتكتبه اليوم ستكون له أهميته غدا ... ألا ترى أن المتنبي دوّن ماقاله من شعر في صباه في ديوانه ؟

وسكت هيبة له ، ثم روى لي أن المستشرق الفرنسي لويس ماسينون (المتوفى في ١٩٦٢ م) زار بغداد في العشرينات ، وقابل الاب أنستاس ماري الكرملي طالباً منه ثبتاً – قائمة – بأعماله العلمية – وهي كثيرة – فاستغرب عندما اكتشف انه لا يملكها فكان أن توليت صنع ثبت بأعمال الكرملي نشر في كتابي الذي أعددته عنه (صدر في ١٩٦٦)

قلت لاستاذي كوركيس : واعدك أنني سأعدّ لك ثبتاً مشابهاً بعد عمر طويل ان شاء اللّه !

فضحك والحمد للّه انني وفقت في ذلك فقد نشرت بيبليوغرافيه خاصة به نشرتها في عددين من مجلة (دراسات شرقية) (باريس – ١٩٩٠ م) .

لكوركيس أفضال كثيرة عليّ – وعلى غيري فلقد شجعني على البحث والدراسات وعشق التراث ، وكان الرجل يتجنب السياسة والخوض في غمارها – وعندما أعتقلت بأمر شخصي من صدام (أواخر ١٩٦٨) ساوره القلق ، وعندما أطلق سراحي ابتهج كثيراً وطلب مني أن أقدم له شهادتي : فصارحته ورسمت له صورة العراق من خلال مارأيت وشاهدت في (فندق السعادة) ...

عندما فرغت من شهادتي – التي أوجزتها – رفع كوركيس عواد يده ليضرب رأسه ببراءة طفل وصرخ :

– أي مستقبل لعراقنا ... سيغرق البلد في حمام دم !

حزن كوركيس لما حصل لعبد الرحمن البزاز وناصر الحاني والشيخ عبد العزيز البدري ،

-وهو يعرفهم جيداً – ثم همس في أذني اهرب :

ونفذت وصيته في حزيران / ١٩٧٢ م فسرّ كوركيس وغيره بهذه الخطوة واستمرت الصلة بيننا وتواضع عندما سمح لي أن اشترك واياه في تحقيق كتاب (الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور) والذي نشر (بغداد – ١٩٧٤ م) ...

وجاءت (القادسية) لتدخل عراقنا في نفق مظلم ، وظل كوركيس بعيداً عن الاضواء ، يواصل جهوده العلمية وذات يوم فوجيء باستدعائه الى إحدى الجهات الامنية

- لم يستطع تمييزها لكثرتها - قيل له :

- لماذا لاتشارك في (قادسية صدام) ؟

استغرب ابن الخامسة والسبعين مثل هذا السؤال الاحمق وتساءل : ماالمطلوب ؟

- إذا لم (تتطوع) في (الجيش الشعبي) ، استخدم قلمك !

عاد الشيخ يرتجف ووقع مريضاً ، وبعد أن استعاد وعيه واستشار بعض خلصائه ، وضع كتاباً قيماً عنوانه – مصادر دراسة التراث العسكري عند العرب ...

صدر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء وهو مثال للجهد العلمي القيم .

في ١٩ تموز ١٩٩٢ / توفي كوركيس عواد عن ٨٤ عاما أمضى معظمها في خدمة تراثنا الشامخ .

بعد هذا لا تتعبوا أنفسكم بالبحث عن اسمه في سجل من منحوا

(الانواط) و (النياشين) من قبل (صدام حسين) فمثل كوركيس لايستحق شيئاً من (أبي المكارم) ! .

الاخـــــوان

الاخوان ظاهرة تعتمد بروز شخصين او اكثر في مجال ما في اسرة واحدة ... وعبد الحق واكرم ابنا فاضل الصيدلي اخوان كان والدهما من شعراء الموصل اللامعين .

عبد الحق قاص ولغوي ولد في الموصل (١٩١١) وتخرج في كلية حقوق بغداد ، ومارس الوظيفة والمحاماة ورأس تحرير مجلة (المجلة) التي صدرت في تشرين الاول ١٩٣٨. وكانت من انجح المجلات الأدبية العراقية.

في منتصف الاربعينات التحق بالسلك الدبلوماسي حيث عمل في عدة سفارات وبعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عين وكيلا لوزارة الخارجية ، فسفيرا في بكين (١٩٦٠) وبعد انقلاب شباط ١٩٦٣ فصل من وظيفته فتغرب ليستقر في المغرب .

انصرف في السنوات الاخيرة الى الدراسات اللغوية وعاد الى العراق مؤخرا حيث أدركته المنية في كانون الثاني ١٩٩٣ .

وقرأت عمودا في احدى صحف النظام ابدى فيه كاتبه استغرابه لجهل وتجاهل الصحافة لهذا الأديب الرائد الذي بخل عليه بلده حتى بنعي صغير ، واعترف انه علم الخبر من جريدة (العلم) المغربية !

ولامجال للاستغراب مادام عبد الحق فاضل قد احترم تاريخه واسمه ولم يمدح (ام المعارك) وبطلها (الذي هز واشنطن وضواحيها) ؟ !

كان عبد الحق من المثقفين المؤمنين ان العراق لايمكن ان يتقدم الا في ظل نظام ديمقراطي .

وفي اواخر الثمانينات زار بغداد مدعوا الى احد (مرابدها) فزلت ساقه في قبو مبنى (الجندي المجهول) !

حدثني الدكتور اكرم – رحمه الله – ان المسؤولين اصروا على قيام جميع المدعويين بزيارة المبنى الذي كلف النظام مبالغ طائلة وتقتضي مراسم الزيارة ان يخلع الزائر حذاءه ويرتدي نعلا بسيطا (خفا) خاصا بالمبنى المرمري الفخم ، فكان ان ارتبكت ساقا عبد الحق فسقط على الارض ، ولم يلتفت اليه احد ، حتى ان الأرجل داسته ، ولم ينقل الى المستشفى الابعد ساعات ، وبقي في المستشفى مهملا نحو شهرين ، لم يزره (مسؤول) ولم يتفقده احد ....وعندما خرج من المستشفى لم يحصل على اذن بالسفر ، بل (حقق) معه في الامن !

(وحوسب) لانه لم يغادر مع (مدعوي المربد العتيد) وبعد مراجعة ووساطات وفق في الهرب والعودة الى (مراكش)!

اما اخوة اكرم فكان هو الآخر اديبا ، شاعرا ، بدا حياته معلما وعشق الادب الفرنسي واتم دراسة الدكتوراه في القانون في احدى الجامعات الفرنسية وامضى سنوات طويلة من حياته مدبرا للفنون والثقافة الشعبية واشرف على اصدار مجلة (بغداد) بالفرنسية وبقي يكتب حتى توفاه الله في سنة ١٩٨٧ .

اصدر اكرم عدة كتب موضوعة ومترجمة بينها ديوان عنوانه (الكوميديا البشرية) ١٩٤٨ ، و (الآباء والبنون) لتورجنيف ، يا لحياة المنفى من مهنة شاقة لناظم حكمت « ١٩٥٩ » ، الحياة في العراق منذ قرن « ١٨١٤ - ١٩١٤ » ، للسفير الفرنسي بيير دي فوصيل ١٩٧٨ ، تعليقات على لهجة بغداد العربية للمستشرق الفرنسي ماسينون ، « ١٩٦٢ ».

قال ذو النون ايوب في تقديمه (الكوميدياً البشرية) معرفاً به : اكرم شاب صغير السن ، رقيق المزاج ، تضيق نفسه ويضيق عقله وحسه بكل مباني الوجود من قيود ، فيطلق على سجيته بعض الأحيان ثائرا متجاهلا كل عرف وتقليد ، ثم ينتبه فجأة ، كما ينتبه المرء من حلم فيدرك انه قد اشتط في سلوكه ، فينكص على عقبيه خائفا تعبا .

لاكرم فضل في اكتشاف الفنان الفطري عبد المنعم فرات ، وفي حفظ وتسجيل صفحات مشرقة من تراثنا العراقي الشعبي . وكان يساعده في تحرير مجلة بغداد باللغة الفرنسية راهب فرنسي يدعى جان فييي وهو استاذ درس في المدارس الدومينيكية بالموصل عشرات السنين ، ثم انتقل الى بغداد .

وفي سنة ١٩٧٣ وشي به الى مخابرات النظام فعد (جاسوسا) ، واصدر صدام حسين - بصفته - السيد النائب - امرا بطرده من العراق بعد مضايقات كثيرة فغادر الى بيروت .

روى لي صديق قال اخبرني اكرم فاضل ان صداما زار (وزارة اعلامه) ، ولما دخل مكتبه تجرأ اكرم فقال له :اسمح لي ان اقول ان (دائرة الأمن) امرت بنفي جان فييي ، مع انه رجل صادق ، خدم العراق سنوات طويلة في التدريس وعاون في اصدار مجلة (بغداد) بالفرنسية ، وكلها اشادة بتراث العراق وحضارته ... الخ.

اكتفى صدام بالنظر اليه شزرا ، ولم يعلق ...!

اعود الى الاخوين فأقول قديما اشتهر (الخالديان) في القرن الرابع الهجري وهما ينسبان الى الخالدية قرية كانت بجوار الموصل ... وعلي ومصطفى امين ، صحفيان مشهوران اخترمت المنية (عليا) فواصل (نصفه الشقيق) المسيرة ... وفي العصر الحديث لمع (الاخوان رحباني) في الموسيقى والغناء . و (حسو اخوان) شركة تجارية معروفة في بغداد ...

وصدام وبرزان ووطبان وسبعاوي (اخوة) لهم (مآثر) يمكنك مراجعتها في ملفات اقرب جمعية من جمعيات حقوق الانسان ...!

محتـــــويـــات الكتـــــاب

قالوا في جليل العطية وكتاباته

- يمتلك جرأة، وحساً ديمقراطياً عميقاً يعبّر عن هذا الوعي الذي تكوّن عندنا بعد كل هذه الكوارث... من يقرؤه يشعر بأنه مشدود حتى اللعنة إلى العراق وترابه.

أنور الغساني

- أجمل ما فيه أنه أدرك نفسه في الذي أراد أن يدركها فيه: في عمقها الإنساني. وكان لي من الإنسان الذي عرفته فيه ما أكبرته مفكراً وأديباً ومؤرخاً ورجلاً أميناً لرسالته.

بلند الحيدري

- إننا بحاجة إليه وإلى أسلوبه... إنه يمارس عملية صحية، يمد يده في المخابىء ويخرج الجرذان ليضعها في موقعها المناسب: مزبلة التاريخ.

حميد رشيد

- يا لروعة ما يكتب...! وما أجمل ما يخطه يراعه

زينب (فنانة الشعب) السويد

- يرصد بدقة متناهية تاريخ العراق المعاصر... ومن يدمن على قراءته يحس وكأنه لا يزال في العراق... وإن فرنسا بالنسبة إليه عبارة عن «فندق» عابر.

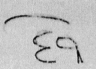
علاء طاهر

- يكتب بروح مرحة عن أحداث مرة، وهو يذكرني بـ (شارلي شابلن) في السينما!.

قاسم حول

- هل وضع ثمناً لرأسه؟ هل يعرف كم يساوي قلمه؟ هل أمّن على كلماته؟ أسئلة تحضرني كلما قرأت له... إنه صاحب رسالة اجتماعية

هـ (رسالة مهربة من بغداد)



THE HOTEL OF HAPPINESS

" TALES FROM IRAQ UNDER SADDAM "

L ' HOTEL DU BONHEUR

" CONTES DE L"IRAK DE SADDAM "

BY - PAR

JALIL AL-ATTIYA

PREFACE

SALAH OMAR AL-ALI

DAR AL-HIKMA



Desin de couverture : rémi ROSSET